

مجلة
إسلامية
شهرية
جامعة

البيان

AL BAYAN

العدد السادس والعشرون . العدد ٢٨٨ . شعبان ١٤٢٢ هـ . يوليو ٢٠١١ م

أسلمة العَلمانية

البناء العلمي لطالب العلم

أبراليون هؤلاء؟

حوار مع المتحدث الإعلامي

باسم الجماعة الإسلامية
في باكستان



التحول العربي

ومحاولات الاحتواء

مستشفى أبها الخاص

الراعي الطبي لمهرجان أبها للتسوق



اتفاقية التعاون الطبي مع جامعة ماكجيل بكندا ومركز ديترويت الطبي العالمي

استشاريون سعوديون في جميع التخصصات

مجمع خاص ومتكامل للنساء

كفاءات طبية متميزة

تجهيزات طبية حديثة

وحدات متخصصة في خدمتكم

وحدة طب وجراحة المخ والأعصاب
وحدة جراحة العظام والعمود الفقري
وحدة جراحة التجميل وشفط الدهون
وحدة جراحة الكلى والمسالك البولية
وحدة الجراحة العامة والمناظير
وحدة الأنف والأذن والحنجرة
وحدة الأمراض الباطنية والمناظير
وحدة أمراض الشرج والمستقيم

وحدة أمراض الكلى
وحدة السمونة والسكر
وحدة الطب النفسي
وحدة أمراض القلب والشرابين
وحدة علاج الروماتيزم والمفاصل
وحدة طب وجراحة الأسنان
وحدة العناية المركزة

وحدة طب وجراحة العيون
وحدة النساء والولادة
وحدة الأطفال وحديثي الولادة
وحدة جراحة الأفضال
وحدة الجلدية والتناسلية
وحدة الأمراض الصدرية
وحدة العلاج الطبيعي والتأهيل

وحدة الطوارئ واستقبال الحوادث على مدار ٢٤ ساعة



جهاز الليزر الأخضر KTP
لاستئصال تضخم البروستاتا



جهاز الأشعة تحت الحمراء
للبواسير



جهاز الموجات الصوتية رباعي الأبعاد



جهاز الليزر الكربوني للعناية بالبشرة



جهاز قياس جهد القلب



المنظار
الجراحي



جهاز ديكسا DEXA لقياس هشاشة العظام



الافتتاحية

٤ **ولا تعثوا في الأرض مفسدين**
التحرير

الشرعية والعقيدة

٦ **خطورة أتباع المتشابه**
د. إبراهيم بن محمد الحقل
١٠ **السلفية... رحابة وسعة فهم**
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
١٢ **محاسن السياسة الجنائية الإسلامية**
محمد وفيق زين العابدين

الغرب: قراءة عقدية

١٦ **تحريف التوراة... متى وكيف؟ (١)**
فيصل بن علي الكاملي

قضايا دعوية

١٨ **الحلقة المفقودة**
منصور باوادي
٢٠ **بصائر من تذكرة سورة (عبس)**
أبو عمر الدعيج

قضايا تربوية

٢٤ **الأشقاء الفرقاء... كيف نجعل الأشقاء أصدقاء؟**
عبد العزيز مصطفى الشامي

الإسلام لعصرنا

٢٨ **أبراليون هؤلاء؟**
أ. د. جعفر شيخ إدريس

معركة النص

٣٠ **أسلمة العلمانية**
فهد بن صالح العجلان

نص شعري

٣٣ **الوعد فتح الباري**
مرعي بن محمد القرني

حوار

٣٤ **حوار مع الدكتور عبد الحليم عويس**
أجرى الحوار: جمال سالم

رئيس التحرير

أحمد بن عبد الرحمن الصويان
alsowayan@albayan.co.uk

مدير التحرير

د. عبد الله بن سليمان الفراج

هيئة التحرير

أحمد بن عبد العزيز العامر
د. عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف
د. يوسف بن صالح الصفير
فهد بن صالح العجلان
د. أحمد بن عبد المحسن العساف
فيصل بن علي أحمد الكاملي

سكرتير التحرير

إسلام السيد علي

الإخراج الفني

محمد سالم لرضي
راشد عبد الله الحماد

عنوان المجلة على الشبكة العالمية
www.albayan.co.uk

YouTube | f | t

الحسابات

السعودية: مصرف الراجحي
آي بان: SA1٢٨٠٠٠٠٢٩٦٦٠٨٠١٠٠٢١٠٠٧

الاشتراكات

السعودية ودول الخليج ١٢٠ ريال سعودي
بريطانيا وإيرلندا ٤٧ يورو
أوروبا ٥٥ يورو
البلاد العربية وإفريقيا ٤٥ يورو
أمريكا وبقية دول العالم ٥٥ يورو
المؤسسات الرسمية ٦٠ يورو

خدمة العملاء

السعودية

ص. ب ٢٦٩٧٠ الرياض: ١١٤٩٦.
الهاتف المجاني: ٩٢٠٠٠٤٥٤٨
هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ - فاكس: ٤٥٢٢١٢١
خدمة العملاء مباشر: ٢٢٥١٩٦٧

للمراسلات عبر البريد الإلكتروني

التحرير

editors@albayan.co.uk

خدمة العملاء

sub@albayan.co.uk

التسويق

sales@albayan.co.uk

العلاقات العامة

pr@albayan.co.uk

الموزعون

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥
هاتف: ٥٢٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٢٣٧٧٣٢.

الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات
للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩
هاتف: ٢٩١٦٥٠١، فاكس: ٢٦٦١١٢٦.

سلطنة عُمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص. ب
٤٧٢ - العذبية ١٣٠ - هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ -
فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠.

البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف -
المنامة: ص. ب ٢٢٤ - هاتف ٥٢٤٥٥٩ - ٥٢٤٥٦١،
فاكس ٥٢١٢٨١.

السعودية: الشركة الوطنية للتوزيع:

هاتف: ٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.

السودان: الخرطوم، مكتب المجلة ٨٢٢١٢١٨٢.

قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف:
٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.

الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع،
ص. ب: ٢٩١٢٦ - الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ -
هاتف: ٤٥٠٢٣٢١ - ٢٤١٧٨١٠ - فاكس: ٢٤٧٨٠٩.

المغرب: سوشيرس للتوزيع، الدار البيضاء،

ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٢ -

هاتف: ٤٠٠٢٣٢٣ - فاكس: ٢٤٦٢٤٩.

اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء:

ص. ب ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة
القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ - فاكس: ٤٠١٣٥

تونس: الشركة التونسية للصحافة، ت
٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٩٩ - فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٢٢٤٠٠٤



[كلمة صغيرة]

بين المبادئ والمصالح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم

الأنبياء وإمام المرسلين، وبعد:

فإن من أكثر الامتحانات تمييزاً لمعادن الرجال: أن تتعارض في طريقهم المبادئ مع المصالح الشخصية؛ فترى الرجل الصادق عاضاً على مبادئه بالنواجذ، لا تغريه المصالح، ولا تميل به الأهواء، ولا تُسِخِطُه الفتن، ولا تشبهه المكائيد، وحاله كما قال الشاعر:

تزول الجبالُ الراسياتُ وقلْبُه

على العهدِ لا يلوِي ولا يتغيَّرُ

أما النفوس الضعيفة، فإنها تتصاغر أمام بريق المصالح، فتُعْرَضُ عن مبادئها، وتتكرّر لقيمها، وربما باعتهَا بعَرَضِ زائل، أو بثمنٍ بخس.

وما أكثر أولئك المتساقطين في زمن الأهواء؛ ذلك الزمن الذي باع فيه بعض الساسة قيمهم، وتساقطوا الواحد بعد الآخر في امتحانهم أمام شعوبهم، وتناول فيه بعض علماء السوء فجعلوا المعروف منكراً والمنكر معروفاً، واستسلم فيه بعض المتقنين والمفكرين لأهوائهم وراحوا يزورون الحقائق ويتملقون بطريقة فجأة، وأصبح كثير من الإعلاميين يتحدثون عن القيم والأخلاق دون أن تُرَى حقيقتُها على أعمالهم، وأخذ بعض التجار يلهثون وراء مطامعهم المادية؛ حتى وإن كانت على حساب الآخرين!

إن القيم والمبادئ ليست شعارات سياسية أو اجتماعية يتدنر بها الناس للزينة والتباهي؛ وإنما هي ركائز راسخة في نفوس الصادقين يتقربون بها لرب العالمين وحده لا شريك. وإذا أردتم أن تروا كيف تنتصر المبادئ وتسمو النفوس على زخارف الدنيا، فاقروا قصة صهيب الرومي - رضي الله عنه - عندما ترك ماله كله للمشركين شوقاً للهجرة إلى النبي ﷺ، وقد استقبله ﷺ بقوله: «يا أبا يحيى! ربح البيع»، وتلا قول الله - تعالى - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ .

[البقرة: ٢٠٧]^(١)

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: (٣ / ٣٩٨). وقال الشيخ مقبل الوداعي: «له طرق أخرى أغلبها مراسيل، كما في الإصابة وفي الطبقات لابن سعد، وهي بمجموعها تزيد الحديث قوة وتدل على ثبوته»، الصحيح المسند من أسباب النزول، ص ١٥.

تحقيقات

٤٠ البناء العلمي لطالب العلم

أحمد بن رمضان مقرم النهدي

المسلمون والعالم

٤٨ مجاز سوروية والجذور الباطنية

د. محمد الناصر

٥٢ الأسباب الخمسة لامتناع الغرب عن معاقبة الأسد

عصام زيدان

٥٦ تطورات الثورة اليمنية والدور الخارجي لإجهاضها

أنور بن قاسم الخضري

٦٠ مصر... ثورة مضادة لإبعاد الجيش وعزل الإسلاميين

عامر عبد المنعم

٦٤ مستقبل النظام الإقليمي العربي في عصر الثورات

محمد سليمان الزواوي

٧٠ مرصد الأحداث

جلال سعد الشايب

قصة قصيرة

٧٥ الرؤيا

عبد المنعم فرح ناصر الدلعه

حوارات

٧٦ حوار مع الشيخ عبد الغفار عزيز

أجرى الحوار: أحمد أبو دقة

عين على العدو

٨٠ دوافع القلق الصهيوني من فتح معبر رفح

د. عدنان أبو عامر

في دائرة الضوء

٨٢ الإرهاب بين المفهوم القانوني والاستخدام السياسي المزدوج

د. أكرم عبد الرزاق المشهداني

فكرية

٨٦ القومية والوحدة والانفصال... رؤية شرعية

د. توفيق البديري

بأقلامهن

٨٩ إلى أحبتي في الشام

د. وفاء إبراهيم

قراءة

٩٠ تعدد الزوجات في ميزان الأخلاق

د. أحمد إبراهيم خضر

الورقة الأخيرة

٩٥ علاقة العلم بعمل القلب

أ. د. محمد أمحزون



ولا تعثوا في الأرض مفسدين

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على

خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وبعد:

فقد تواترت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة في الحديث عن الفاسدين والمفسدين، وبيان صفاتهم وأماراتهم؛ ليكون الناس على بينة من أمرهم؛ فيحذروهم ويدركوا العقلية المنحرفة والموازن المضطربة التي يتعامل بها أولئك المفسدون مع غيرهم.

وقد تكاثرت هؤلاء المفسدون في عصرنا الحاضر، وتعددت راياتهم، وتفننوا في ابتكار صنوف الفساد والإفساد في كل الميادين، وكان وجودهم من الأسباب الرئيسية لتخلف الأمة وتردي مكانتها؛ من أجل ذلك كان من الواجب علينا أن نتدارس صفاتهم بياناً للحقيقة، وإيقاظاً للامة، وتحذيراً من تغول المفسدين وطغيانهم في البلاد.

تزييف الواقع وخداع الرأي العام. قال الله - عز وجل - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤] وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٥].
والبصير الفطن يدرك حقيقة هذا التلبيس، ولا تنطلي عليه تلك الزخارف والألاعيب المكشوفة، كما قال - سبحانه وتعالى - : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَاتِهِمْ وَتَعَرَّفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٠].

الصفة الثالثة: الصد عن سبيل الله:

فحال المفسدين الذين يزينون للناس الباطل ويصدونهم عن سبيل الحق، كمثل قطاع الطرق الذين يعترضون سبيل الناس ويسعون في الأرض فساداً. قال - تعالى - في وصف هؤلاء المفسدين: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقال فيهم - جل وعلا - : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ زَندَانُهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل: ٨٨].

وطرائق المفسدين في الصد عن سبيل الله - تعالى - تتنوع وتتجدد بتجدد الأماكن والأزمان، ويجمعهم وصف الله لهم في قوله - جل شأنه - : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦]، وكذلك وصف النبي ﷺ في قوله: «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها»^(١).

الصفة الرابعة: الغش والخيانة:

غش الأمة وخيانتها صفة ملازمة للمفسدين في جميع العصور والأمكنة؛ لأنهم لا أمانة لهم؛ ولهذا تراهم يتساقطون في

ومن أبرز الصفات التي جاء بيانها في القرآن الكريم:

الصفة الأولى: العلو والاستكبار في الأرض:

فالعلو والطغيان والاستكبار في الأرض صفات ملازمة للمفسدين، كما قال - تعالى - : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لُجُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] وبصدها تتبين الأشياء، وكما قال - سبحانه - : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ [١٠] الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴾ [الفجر: ١٠ - ١٢].
ومن علامات هذا العلو والطغيان: تناول المفسدين على الضعفاء وانتهاك كرامتهم والتعدي على حقوقهم، كما قال - جل وعلا - : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِيعُ أُنْيَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

الصفة الثانية: زخرفة القول بالباطل:

فالمفسدون يتدثرون بحلاوة اللسان وزخرفة القول بالباطل، ليخدعوا الناس، ويلبّسوا عليهم بتغيير الحقيقة ونكران الواقع، وأدعاء الرأفة والرحمة بالخلق ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦]. وربما عقدوا الأيمان الكاذبة إمعاناً في التلبيس والكذب. ولقد زادت قدرتهم في الخداع، والتلبيس بتعدد وسائل الإعلام المعاصرة التي أسهمت في

(١) أخرجه البخاري.



﴿لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ [التوبة: ٤٨].

وتأمل العقلية الفرعونية الطاغية التي تتجدد في كل عصر وتجتهد في قلب الحقائق؛ فقد قال الله - عز وجل - عن أحد الفراعنة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]. ففرعون ها هنا يزعم أنه يحافظ على دين قومه من تبديل موسى - عليه الصلاة والسلام - أو إظهاره الفساد في الأرض! وهكذا هي سنة المفسدين في كل عصر، يعترضون طريق المصلحين ويشوهون صورتهم، ويزعمون أنهم وحدهم الدعاة إلى الإصلاح والنهضة في المجتمع، على الرغم من أن مشروعهم في الحقيقة لا يعدو أن يكون إفساداً للمجتمع وتشويهاً لهويته ومنهاجه.

وبعد: فهذه بعض صفات المفسدين، وعندما نقرأها بعين واعية ونتأمل أخبار المفسدين عبر التاريخ الماضي أو الحاضر، أياً كانت مواقعهم، فنستجد اجتماع المفسدين على التخلُّق بهذه الصفات المذمومة، ليصدق عليهم قول الله - جل شأنه -: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

لقد سقطت البلاد العربية في مستتعات الفساد رداً طويلاً من الزمن، واستضعف المفسدون شعوبهم، فأسرفوا في التعدي على حرمة الدين وحقوق المجتمع وكرامة الإنسان، وتحول الفساد في كثير من الأحيان من ممارسات شاذة محدودة لبعض الناس إلى مأسسة له وتبني لنواديه ورعاية لمنابره؛ ولهذا كان واجب المصلحين حقاً أن يواجهوا أولئك السفهاء، ويأخذوا على أيديهم، ويبصروا المجتمع بمخازيهم، امثالاً لقول الله - جل وعلا -: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦]، وقوله - سبحانه -: ﴿الَّذِينَ يَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥٢].

دركات الخيانة وغش الأمة والمجتمع، لتحقيق مصالح شخصية مزعومة، وما أسهل أن يبيع المفسد دينه ويخون أمته! قال الله - تعالى - مبيناً لونا من ألوان الغش الذي يتميز به المفسدون (وهو الغش الاقتصادي): ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ [١٨١] ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [١٨٢] ﴿وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ - ١٨٣]، وقال - جل وعلا -: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [هود: ٨٥]. وسياسة الكيل بمكيالين وبخس الناس أشياءهم: سياسة متجذرة في أخلاق المفسدين (السياسية، والفكرية، والثقافية، والاجتماعية).

الصفة الخامسة: إشاعة الفاحشة:

من مخازي المفسدين أنهم يسعون لإشاعة الفاحشة في المجتمع، ويؤسسون مراكز ونوادٍ لنشر المنكر، وإفساد الأخلاق والقيم الاجتماعية بلا حياء ولا خجل، وتأمل حال كثير من القنوات الفضائية لترى كيف يلهث أولئك المفسدون لإشاعة الفواحش وتحطيم القيم ومحاربة الفضيلة. قال الله - عز وجل -: ﴿وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأنتونَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٨] ﴿أَنْتُمْ لَأنتونَ الرِّجَالِ وَتَقَطَّعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٢٩] ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٨ - ٣٠].

الصفة السادسة: انقلاب الموازين:

من مخازي المفسدين وسوءاتهم أنهم يقلبون الموازين، ويزيفون الحقائق، ويسمون الأمور بغير مسماياتها؛ ولهذا قال الله - عز وجل - في وصفهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [١١] ﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢]، وهذا من تقليب الأمور الذي جاء بيانه في قوله - تعالى -:



خطورة اتباع المتشابه

د. إبراهيم بن محمد الحقييل

ممن فتتوا بالغرب وحرثته^(١).

٢ - يستطيع متبع المتشابهات أن يحكم بالجنة لأصحاب الديانات الأخرى ممن كفروا بالإسلام مستدلاً بقول الله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. متعامياً عن معنى الآية وهو: (من آمن منهم برسوله قبل بعثة محمد ﷺ ومات على إيمانه)، ويترك هذا الملبس مئات الآيات والأحاديث التي تحكم بالنار لكل من لم يتبع دين محمد ﷺ. وكثير من الليبراليين يستدل بها على صحة دين الكفار!

٣ - يستطيع النصراني أن يستدل على عقيدة التثليث، وعلى بنوة المسيح لله - تعالى - بالقرآن الكريم؛ مع أنها شرك أكبر، وقدح في الله تعالى؛ وذلك حين يأتي النصراني إلى الآيات التي فيها أن عيسى - عليه السلام - يبرئ الأكمة والأبرص ويحيي الموتى ويخبر ببعض الغيب فيستدل بها على ألوهية عيسى - عليه السلام - باعتبار أن هذه الأفعال التي قام بها عيسى من خصائص الله - تعالى - ويعمى عن الآيات التي تثبت بشريته؛ وأنه مخلوق لله وأنه - تعالى - أجرى على يديه هذه الخصائص معجزة تثبت صدقه - عليه السلام - كما

قبل سنوات عشر أو تزيد استضافت قناة الحرة الأمريكية مارونياً من لبنان في حلقة نقاش عن تجديد الخطاب الديني في الإسلام، فعلق في ذهني من قوله: نستطيع أن نستخرج إسلاماً ليبرالياً عن طريق التفتيش في المذاهب الفقهية المختلفة والانتقاء منها، فذكر من الأمثلة: الحرية الجنسية كما هي في الغرب الليبرالي؛ بأن نأخذ مذهب الشيعة في المتعة ونوسعه قليلاً؛ بحيث يصبح عندنا حرية جنسية، ونأخذ مذهب أهل الكوفة في النبيذ فتكون المشروبات الكحولية الموجودة في عصرنا مباحة، وتكون طريقة الخمر البدائية غير الصحية بتخمير العنب أو التمر ممنوعة وهو ما يتوافق مع الإسلام.

ذهلت وقتها مما سمعت؛ ليس لفجور هذا القول وجرأته ولا لمصدره؛ ولكن لأنه يصل إلى ملايين المسلمين في بيوتهم، ويفسد أفكارهم، ثم رأيت أن من يقوم بعملية انتقاء النصوص أو النقل وبتراها يستطيع بالقرآن - وليس فقط بالمذاهب الفقهية - أن يبيح كبائر المحرمات، وعظائم الذنوب، ويسقط أهم الواجبات والفرائض، ومن الأمثلة على ذلك:

١ - يستطيع متبع المتشابه أن يستدل على جواز الكفر بقول الله - تعالى - ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] فيزعم أن الله - تعالى - خير الناس بين الإيمان والكفر، والتخيير بينهما يقتضي استواءهما، ويغض الطرف عن الآيات الكثيرة التي تتوعد الكافر بالنار، ومنها آخر هذه الآية التي يستدل بها على فساد قوله؛ فهي في سياق التهديد والوعيد وليس فيها تخيير ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]. وقد استدل بهذه الآية على الحرية الدينية كثير

(١) مثل غلام أحمد برويز الذي تنسب إليه الفرقة البرويزية في الهند وباكستان، وقد كثره ألف عالم من علماء المسلمين. وممن استدل بها عبد المتعال الصعيدي في تقريره للحرية الدينية في الإسلام، وجرت بينه وبين الشيخ الأزهرى عيسى منون مناقشات على صفحات مجلة الأزهر. وأخذ الاستدلال بها على الحرية الدينية عن الصعيدي كثير من الكتاب المعاصرين، وقبلهم وفي عهد شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ألف وزير كتاباً زعم فيه أن النبي ﷺ قد رضي دين اليهود والنصارى، وأنه لا يُنكر عليهم ما هم فيه من الكفر، ولا يذمُّون ولا ينهون عن دينهم، ولا يؤمرون بالانتقال إلى الإسلام، مستدلاً على ذلك بقول الله - تعالى - ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]. فرد عليه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى: ٢٨/٢٦٠ وما بعدها.

قال - تعالى - ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ثم يأتي إلى الآيات التي تثبت أن عيسى ولد بلا أب فيستدل بها على بنوته لله - تعالى - ويعمى عن الآيات الكثيرة التي تنفي الولد عن الله - تعالى - والآيات التي تذكر قصة ولادة عيسى، عليه السلام.

ثم يأتي إلى الآيات القرآنية التي فيها كلام الله - سبحانه وتعالى - عن نفسه بصيغ جمع العظمة نحو قوله - تعالى - : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فيدعي أن الله - سبحانه وتعالى - متعدد وليس واحداً، ويعمى عن الآيات التي فيها إثبات وحدانية الله - تعالى - وبطلان عقيدة التثليث والآلهة المتعددة نحو قول الله - تعالى - : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣].

وقد روى أئمة التفسير وأهل السير أن نصارى نجران احتجوا على النبي ﷺ بهذه الحجج زاعمين ألوهية عيسى وبنوته لله - سبحانه وتعالى - فأنزل - سبحانه - صدر سورة آل عمران في دحض حججهم.

وإذا كان بإمكان متبع التشابه أن يصحح العقائد الزائفة، ويساوي الكفر بالإيمان، ويحكم لأصناف الكفار بالجنة، ويستدل لما يقول بنصوص ينتقيها من القرآن، ويعرض عن غيرها على طريقة أهل الكتاب في إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعضه؛ فإنه يستطيع من باب أولى أن يبيح ما دون الشرك والكفر من المحرمات: كالاختلاط، والخلوة بالأجنبية، وسفر المرأة بلا محرم، وغير ذلك من المحرمات، ويستدل لما يريد بنصوص مشتبهة ويترك المحكم الواضح.

وإذا كان متبع التشابه يستطيع أن يبطل التوحيد بنصوص ينتقيها من القرآن فلن يعجز عن إبطال ما هو دون التوحيد من الواجبات: كصلاة الجماعة، وحجاب المرأة، ووجوب المحرم لها، وغير ذلك، وسيجد من النصوص ما يؤيد باطله إذا كانت العملية عملية انتقاء واختيار.

ولخطورة اتباع التشابه وترك المحكم من النصوص في إفساد دين من يفعل ذلك، وإضلاله لغيره، حذر الله - تعالى - عباده من سلوك هذا المسلك، وأخبر أن من يسلكه إنما يبتغي الفتنة لمرض في قلبه، وهذا المرض: إما أن يكون بشبهة ودواؤه العلم، وإما أن يكون بشهوة: كمن يريد بفعله عرضاً من الدنيا، ودواؤه تقوى الله

- تعالى - والخوف منه. قال الله - تعالى - : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

ولأن اتباع المتشابه من النصوص سبب لفساد القلب وزيفه، فقد ناسب أن يعقب آية التحذير منه آية أخرى تخبر عن دعاء الراسخين في العلم وهي قولهم - كما أخبر الله تعالى عنهم - : ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

كما أن النبي ﷺ حذر من اتباع المتشابه في الأحكام؛ لأن من شأنه أن يزيل الورع من الإنسان إلى أن يصل به إلى الحرام، فقال ﷺ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ»^(١).

فصار الناس تجاه اشتباه النصوص واشتباه الأحكام على فريقين:

الفريق الأول: أهل الإيمان القوي والعلم الراسخ، ومن تبع جادتهم؛ فهؤلاء يتثبتون أمام المتشابهات ولا يتزعزعون؛ لقوة إيمانهم بدينهم، ورسوخهم في علوم الشريعة؛ فلا يتركون المحكم لأجل المتشابه، ولا يضررون النصوص بعضها ببعض، ويقابلون المتشابه بما أخبر الله - تعالى - عنهم ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، كما أنهم يتورعون عن المشتبه بين الحلال والحرام في الأحكام؛ عملاً بقول النبي ﷺ: «فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ».

الفريق الثاني: ضعيفو الإيمان، وليس لهم رسوخ في العلم؛ فأى وارد لشبهة يميد بهم، فتزيع بالمتشابهات قلوبهم؛ كما ذكر الله - تعالى - حالهم بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]. ويتساهلون في مشتبه الأحكام حتى يجاوز بهم إلى الحرام كما قال النبي ﷺ: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ».

وتقسيم قلوب أصحاب هذين الفريقين (الراسخ والزائف) يكون على وفق ما جاء في حديث حذيفة - رضي الله عنه - حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا؛ فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكْتُ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتُ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُرْبَادًا كَالْكُوْزِ مُجْحِيًا لَا

(١) رواه من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - البخاري: (٥٢)، ومسلم: (١٥٩٩).

يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»^(١).

ولما حَدَّثَ ابن عباس - رضي الله عنهما - بحديث في الصفات فانتفض رجل استكاراً لذلك، قال ابن عباس: (ما بال هؤلاء يجذون عند مُحْكَمِهِ ويهلكون عند متشابهه؟)^(٢).

وفي بيان خطورة فتك اتباع المتشابه بالقلب، وسرعة انتكاس صاحبه وتغيُّر دينه يقول النبي ﷺ: «سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ؛ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»^(٣).

قال ابن الأثير - رحمه الله تعالى -: (يتجاري الكلب: التجاري: تفاعل من الجري، وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة، والتداعي فيها، تشبيهاً بجري الفرس. والكلب: داء معروف يعرض للكلب، إذا عض حيواناً عرض له أعراض رديئة فاسدة قاتلة، فإذا تجارى بالإنسان وتمادى هلك)^(٤).

وَمِنْ نَصَحِ النَّبِيِّ ﷺ لِعُمُومِ أُمَّتِهِ تَحْذِيرُهُ مِمَّنْ يَتَّبِعُونَ الْمُتَشَابِهَاتِ، وَتَحْذِيرُهُ مِنْهُمْ يَتَّضَمَّنُ الْحَذَرَ مِنَ مَجَالِسَتِهِمْ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ لِمَنْ قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ، وَالْحَذَرَ مِنَ الْإِسْتِمَاعِ لِشِبْهَاتِهِمْ فِي الدِّينِ؛ وَلَا سِيَّمَا لِمَنْ لَمْ يَتَّحِصِنْ بِعِلْمٍ وَإِيمَانٍ يَرُدُّ بِهِ شِبْهَاتِهِمْ، وَالْحَذَرَ مِنَ التَّرْوِيجِ لِشِبْهَاتِهِمْ أَوْ إِعَانَتِهِمْ عَلَى نَشْرِهَا بِأَيِّ وَسِيلَةٍ كَانَتْ؛ لِأَنَّ فِيهَا إِضْرَارًا بِالْعَامَةِ وَتَلْبِيسًا عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ؛ فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَلَا آيَةَ الْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»^(٥).

وإذا وردت الشبهة على القلب عبر سماعها أو قراءتها في وسيلة إعلامية، أو تداولها في مجلس ونحوه فعلى من أراد سلامة قلبه أن يدفعها بالإيمان والذكر، ويزيل أثرها بسؤال الراسخين في العلم؛ ذلك أن أهل الشبهات يضربون ما استقر عند الناس من المحكمات بالمتشابهات، وربما زادوا على ما رويوا، وكذبوا في ما أوردوا من نصوص وحوادث، أو كيفوها؛ بحيث لا يستطيع من يجادلهم لأول وهلة أن يدفع شبهاتهم عن المحكمات إلا بعد بحث وتأمل.

وفي وصية عظيمة نافعة في هذا المجال ينقلها ابن القيم عن شيخه ابن تيمية - رحمهما الله تعالى - فيقول: (وقال لي شيخ الإسلام - رضي الله عنه - وقد جعلتُ أُورِدُ عليه إيراداً بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاج المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته؛ وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات أو كما قال، فما أعلم أي انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك) اهـ^(٦).

وقد تضافر المنقول عن السلف الصالح في التحذير ممن هتتوا في دينهم باتباع المتشابه وترك المحكم، فقال مصعب بن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهما -: (لا تجالسن مفتونا؛ فإنه لا تخطئك منه إحدى خلتين؛ إما أن يفتكك فتتبعه، وأما أن يؤذيك قبل أن تضارقه)^(٧).

وقال أبو قلابة - رحمه الله تعالى -: (لا تجالسوا أصحاب الأهواء؛ فإنني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم ما تعرفون)^(٨).

وقال رجل للحسن - رحمه الله تعالى -: (تعال حتى أخاصمك في الدين، فقال الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني فإن كنت أضللت دينك فالتمسه)^(٩).

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى -: (من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التقل)^(١٠).

والحقيقة أنه يصدق على هذا الزمن أنه زمن بث الأهواء والشبهات في الدين، واستخراج المتشابهات وضرب المحكمات بها؛ وذلك حين صارت الشريعة وحماها كلاً مباحاً لكل من هبَّ ودبَّ من ذوي الجهل والهوى، ويستطيعون إيصال شبهاتهم للناس عبر الإعلام، وهو ما يحتم على أهل العلم والدعوة النفير في ميادين الإعلام لحماية الناس من أهل الأهواء والشبهات، وكشف باطلهم، وتحذير الناس منهم؛ نصحاً لله - تعالى - ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين وعامتهم.

(١) رواد البخاري: (١٣٦٨)، ومسلم: (١٤٤) واللفظ له.

(٢) رواد عبد الرزاق: (٢٠٨٩٥)، وابن أبي عاصم في السنة: ٢١٢/١، وشرحها الألباني بأنهم يجتهدون في فهم المعنى المراد من القرآن عند محكمه. وجاء في رواية ابن أبي شيبة: يؤمنون عند محكمه. (٢٧٩٠٢).

(٣) رواد أحمد: ١٠٢/٤، ومن طريقه أبو داود: (٤٥٩٧).

(٤) جامع الأصول: ٣٣/١٠.

(٥) رواد من حديث عائشة - رضي الله عنها -: البخاري: (٤٢٧٣)، ومسلم: (٢٦٦٥).

(٦) مفتاح دار السعادة: ١٤٠/١.

(٧) رواد أبو عبيد في الأمثال: (٢٢).

(٨) رواد الدارمي: (١٢٠).

(٩) رواد الفريابي في القدر: (٣٨٠).

(١٠) رواد الأجرى في الشريعة: (١٤٣).



مَدَارُ الْوَطَنِ لِلنَّشْرِ

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب

أول مركز متخصص في العالم الإسلامي لخدمة الراغبين في التبرع بطباعة وتوزيع الكتب والنشرات الإسلامية



يسره أن يعلن : < لمكاتب الدعوة وإدارات الشؤون الدينية بالوزارات والعلاقات العامة بالشركات ومراكز الأحياء وجماعات المساجد والجمعيات الخيرية ولكل من يرغب في التوزيع الخيري بمناسبة شهر رمضان المبارك :

المشروع الرمضاني للجميع

وسائل دعوية متنوعة

1 الحقائق الدعوية

حقائق سلوفانية فاخرة بمقاسات متنوعة

حقيبة الأسرة الرمضانية
4 رسائل
مقاس 12x 17

أد عادل الشدي
أد أحمد المزيدي
تأليف



حقيبة صائمات

4 رسائل
مقاس 14x 21

أد أحمد المزيدي
أد عادل الشدي
تأليف



2 الكتب والرسائل

أكثر من 40 كتاب رمضاني شامل

رسائل الصائمين
30 رسائل



تأليف : د. عائض القرني
مقاس 14x 21

لأئمة المساجد للقراءة على المحصلين وللجتماعات الأسرية في رمضان .



تأليف : د. سعيد بن مسفر القحطاني
مقاس 14x 21

مقاس 14x 21
مقاس 12x 17
مقاس 12x 17
مقاس 14x 21

3 القراءة للجميع

أكثر من 40 كتيب رمضاني متنوع

إشراقاً للتبصرة
في رمضان



كتيبها
خالد أبو صالح
مقاس 12x 17

رمضان
حكم وقوائد سنن واداب



إعداد
القسم العلمي
بهدار الوطن
مقاس 12x 17

قصص ومواقف
رمضانية



كتيبها
خالد أبو صالح
مقاس 12x 17

فتاوى
للنساء
في رمضان



إعداد
القسم العلمي
بهدار الوطن
مقاس 12x 17

رمضان
تذكريات الصبر

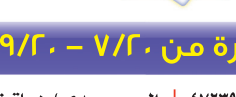


كتيبها
خالد أبو صالح
مقاس 12x 17

رمضان
والقرآن



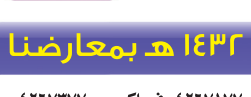
صيام
أهل الأعدار



صلاتك
في رمضان



دمعة
في رمضان



4 المطويات

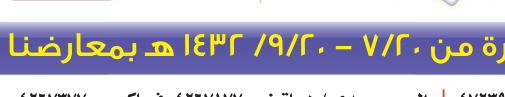
عرض مميز
أكثر من 100 مطوية رمضانية

حال النبيل في رمضان
من التيسير في رمضان
المحفات لاغتنام شهر رمضان

• زد رصيدك في رمضان
• 10 عادات سيئة في رمضان
• رمضان والعبادات القلبية
• فتاوى المرضى في رمضان

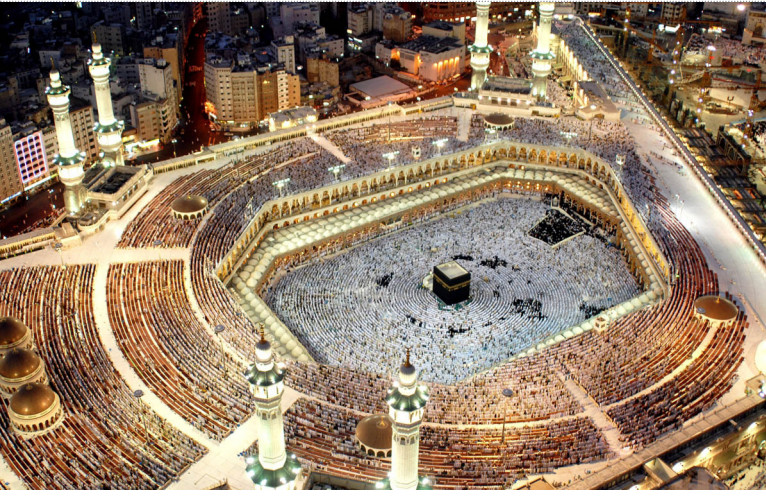
5 الكروت

أكثر من 50 كارت رمضاني



شارك معنا فعاليات البرنامج الرمضاني الرابع عشر في الفترة من 7/20 - 1432/9/20 هـ بمعارضنا
الرياض : المملز / هاتف: ٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط) فاكس: ٤٧٢٩٤١ | السويدي / هاتف: ٤٢٦٧١٧٧ فاكس: ٤٢٦٧٣٧٧
مندوب الرياض: ٠٥٣٢٦٩٣١٦ مندوب الغربية: ٠٥٤١٤٣١٩٨ مندوب الشرقية والدمام: ٠٥٣١٩٣٢٦٨ مندوب الجنوبية: ٠٥٣١٩٣٢٦٩
مندوب الشمالية والقصيم: ٠٥٤١٣٠٧٢٨ مسؤول التوزيع الخيري للجنوبية والشرقية: ٠٥٣١٩٣٢٦٩ التوزيع الخيري لباقي مناطق المملكة: ٠٥٦٤٣٨٠٤
تطلبات الجهات الحكومية: ٠٥٠٩٩٦٩٨٧ الموقع على الإنترنت: www.madaralwatan.com البريد الإلكتروني: pop@madaralwatan.com

• استعداد كامل للشحن داخل وخارج المملكة
الخط الساخن لخدمة العملاء
0566665451



السلفية... رحابة وسعة فهم

د. عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف (*)

www.alabdullatif.net

وسعة الفهم ورحابة الأفق كالوسطية التي تميّز بها أهل السُّنة عن سائر الطوائف؛ فليست الوسطية تعني التذبذب والتلون، أو الترخُّص والتفلُّت؛ وإنما هي الوسطية التي اعتبرها الشرع المنزَّل؛ وهي الإيمان بجميع النصوص الشرعية، وأخذ الدين كلّه وقبوة، مع مجانبة الترخص الجافي، والتشدد الغالي. وأيضاً: فإن سعة الفهم وشموله لا يكون إلا بالاعتصام بدين الله - تعالى - في الدلائل والمسائل، والقيام بالحنيفية السمحة (علماً وعملاً)، ومفارقة الإفراط، ومجانبة التفریط وتبُّع الرخص؛ إذ اتباع الرخص هو من أهواء النفوس، وقد نهى الشارع عن اتباع الهوى وأمر بلزوم الهدى. قال - تعالى -:

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَجْعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال - تعالى -:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠].

وقد بيّن الشاطبي عواقب تبُّع الرخص؛ وأنها تفضي إلى «الانسلاخ من الدين بترك اتباع الدليل إلى اتباع الخلاف، وكالاستهانة بالدين؛ إذ يصير بهذا الاعتبار سيئاً لا ينضبط...»^(٣). وصدق - رحمه الله - فهذا واقع مشاهد، إذا صار الدين في غاية الرقة والهشاشة، وأضحى الدين يشفُّ عما تحته فهو أرقُّ من ثوب السابري^(٤).

والحاصل أن سلفنا الصالح أظهروا هذه الرحابة وسعة المفهوم كما هو مبين في المسائل التالية:

مذهب السلف الصالح هو الإسلام المحض الخالص، وكما قال ربعي بن عامر - رضي الله عنه - لرستم فارس: «الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها...»^(١).

والسلف الصالح يعلمون الحق ويرحمون الخلق، وهذه الرحمة والإشفاق توجب انشراح الصدر، كما في حال الرحمة بالصدقة وسائر الإحسان. يقول ابن القيم: «المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره... فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح، وقوي فرحه، وعظم سروره»^(٢).

وإيمان أهل السُّنة بجميع النصوص الشرعية، ورسوخهم في العلم أورثهم رحابة وسعة في الفهم؛ إذ يقبلون الحق من كل أحد: فهم أسعد الطوائف باتباع الدليل، فيأخذون بنصوص التنزيه والإثبات معاً في صفات الله - تعالى - وكما يثبتون القضاء والقدر، فإنهم يثبتون أن العباد فاعلون حقيقة، ويقروون أن مطلق الذنوب تنقص الإيمان لكنها لا تُخرج من الملة، ويفرِّقون بين موارد الإجماع ومسائل الاجتهاد، ويراعون عوارض الأهلية كالجهل والتأوّل ونحوهما.

وكما تُلحظ هذه السعة والشمول في المسائل، فإنها تُلحظ في الدلائل أيضاً؛ فإن السلف يستدلُّون بالوحي ويعتصمون به، ويُعيّنون بفقهِ نصوص الكتاب والسُّنة، كما يحتجون بالبراهين العقلية، ويستدلون بالأمر الفطرية الضرورية.

(*) أستاذ مشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض.

(١) البداية لابن كثير: ٣٩/٧.

(٢) الوايل الصيب، ص ٣١.

(٣) الموافقات: ١٤٧/٤.

(٤) الثوب السابري: الرقيق الشفاف.

كل أحد في كل حال (باطناً وظاهراً) في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته، في مشهده ومغيبه، لا يسقط التوسل بالإيمان به وبطاعته عن أحد من الخلق في حال من الأحوال»^(١).

ومسألة ثالثة، وهي: مفهوم الجهاد في سبيل الله - تعالى -: فإنه مفهوم واسع يستوعب الجهاد باليد والسنان، والجهاد بالحجة والبرهان، والجهاد بالأموال، ثم إن جهاد النفس هو أصل ذلك جميعاً. وكل ذلك داخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولذا قال الشاطبي: «والجهاد الذي شرع بالمدينة فرع من فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مقترَّب بمكة، لقوله - تعالى -: ﴿ يَا بَنِي آدَمُ اقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].»

وساق ابن تيمية - رحمه الله - أوجهاً متعددة تكشف عن سعة مفهوم الجهاد في سبيل الله، فقال: «وأما مجاهد الكفار باللسان فما زال مشروعاً من أول الأمر إلى آخره؛ فإنه إذا شرع جهادهم باليد، فباللسان أولاً، وقد قال النبي ﷺ: «جاهدوا المشركين بأيديكم وألسنتكم وأموالكم...» ومعلوم أنه يُحتاج كل وقت إلى السيف، وكذلك هو محتاج إلى العلم والبيان، وإظهاره بالعلم والبيان من جنس إظهاره بالسيف»^(٢).

وقال ابن القيم: «إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه. قال رجل للحسن البصري - رحمه الله تعالى -: يا أبا سعيد! أي الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك، وسمعت شيخنا (ابن تيمية) يقول: جهاد النفس أصل جهاد الكفار والمنافقين؛ فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم»^(٣).

والحاصل أن في نصوص القرآن والسنة من الحكمة والمعاني ما لا ينقضي؛ فأيات القرآن قواعد كلية عامة، وأحاديث المصطفى ﷺ هي جوامع الكلم؛ ولذا فإن الاعتصام بالكتاب والسنة يحقق سعة في الفهم، وثراء في العلوم، وانتفاعاً بالعقول، وزكاة للقلوب. وتراث السلف الصالح شاهد على ذلك في القديم والحديث. هذا وباللغة التوفيق.

• فذَكَرَ اللهُ - تعالى - هو من أفضل الأعمال في حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله»^(٤).

لكن ذكر الله - تعالى - ليس محصوراً في الأوراد الماثورة كأذكار الصباح والمساء ونحوها، بل إن ذكر الله - تعالى - يشمل كل ما يقرب إلى الله - تعالى -: من علم نافع وعمل صالح وتواضع بالحق؛ كما حرره ابن تيمية بقوله: «كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله: من تعلم علم وتعليمه، وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو ذكر الله؛ ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض، أو جلس مجلساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً، فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله»^(٥).

• وذكَّرَ اللهُ - تعالى - يعدُّ دعاءً، كما في دعاء الكرب «لا إله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السموات وربُّ الأرض ربُّ العرش الكريم»^(٦). كما أن ذكر الله - تعالى - يعدُّ صلاة كما ورد عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: (ما دُمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق، وقال معاذ: مدارس العلم تسبيح)^(٧).

ونظير ذلك العبادات فلا تقتصر على العبادات المعهودة، بل تشمل كل ما يحبه الله ويرضاه، فيدخل في ذلك صلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم وابن السبيل والبهائم^(٨).

ومسألة أخرى: أن من التوسل المشروع: التوسل إلى الله - تعالى - بالعمل الصالح، وقد يَحصِرُ بعضهم هذا التوسل بأن يقول الداعي: اللهم! إني أتوسل إليك بعمل الصالح... وليس الأمر كذلك، بل التوسل أعم وأوسع من ذلك كله، كما بيَّنه ابن تيمية بقوله: «التوسل بالإيمان به ﷺ وطاعته فرض على

(١) أخرجه أبو داود.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٠/٦٦١.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم: ١/٩٤، ومنهاج السنة النبوية: ٨/٢١٠، ومجموع

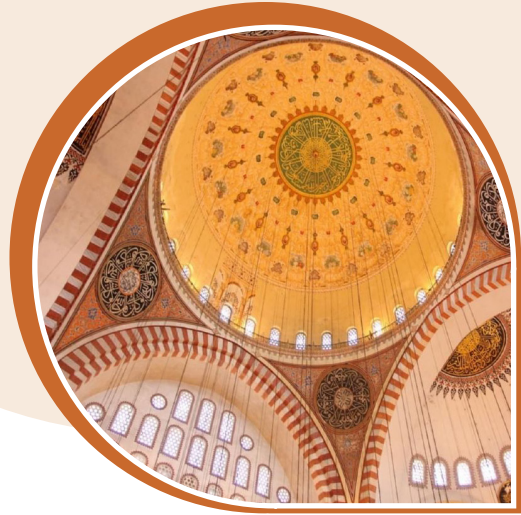
الفتاوى: ١٤/٢١٥، والإيمان، ص ٤٠ - ٤١.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: ١٠/١٤٩، (العبودية).

(٦) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة، ص ٣.

(٧) الجواب الصحيح: ١/٧٤ - ٧٥.

(٨) روضة المحيين، ص ٤٧٨.



محاسن السياسة الجنائية الإسلامية

محمد وفيق زين العابدين*

[المائدة: ٤٨ - ٥٠]، وقال: ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر: ٢٠] .

لقد عاشت بلادنا العربية منذ دخول الإسلام فيها في ظل الخلافة الإسلامية أكثر من ألف عام، وظل أهلها طوال هذه القرون يحتكمون إلى شرع الله - تعالى - المتمثل في الكتاب والسنة، والأحكام التي استمدت منهما باستعمال أصول الفقه وضوابطه وقواعده الكلية التي وضعها الفقهاء المسلمون، مستلهمين الحلول من سوابقهم وسوابق سلفهم والأشبه والنظائر إذا لم يجدوا في كتاب الله - تبارك وتعالى - وسنة نبيه ﷺ بُغيتهم، وقد اجتهدوا في ذلك أيما اجتهاد، وصنفوا في أصول التقاضي والأحكام والدعاوى ما عجزت سائر الأمم عن الإتيان بمثله، بل سبقوا إلى تأصيل النظريات القانونية التي يُفاخر القانونيون المعاصرون بتأصيلها وذكرها في كتبهم. وفي الجملة كانت الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس والأوحد للأحكام في بلادنا حتى نهاية القرن الماضي حين تزايد النفوذ الأجنبي الذي استهدف إقصاء الشريعة وإفساد المسلمين، فخلال سنوات من هذا النفوذ أنشئت المحاكم المختلطة ووضعت لها القوانين التي استمدت بصفة أساسية من قوانين الدول الاستعمارية؛ فالإنكليز فرضوا القوانين الإنكليزية في الهند

الحمد لله الذي رفع لنا في كل ثغر علماً، وأجرى لنا في جوار كل بحر ما يضاهيه كرمًا، وجعل في هذه الأمة من المسلمين إلى اليوم من يزيد الناس علماً ويمحو من الظلمات ظلمًا، أما بعد:

قال الله - تعالى - : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال - عز وجل - : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعًا وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

(*) القاضي بمحكمة بنها - مصر.

والسودان، والفرنسيون فرضوا قوانينهم في الجزائر والمغرب وتونس ومصر (منذ احتلالهم لها قبل الإنكليز)، والإيطاليون فرضوا قوانينهم في ليبيا (بعد احتلالهم لها سنة ١٩١١م)، وكان ذلك بدايةً لاستمداد مجموعات كاملة من القوانين الأساسية (كقانون المرافعات، والقانون المدني، وقانون العقوبات، وقانون التجارة) من مصدر أجنبي غير شرعي لا يتصل بانتماء البلاد الإسلامي ولا بخصائصها الثقافية والاجتماعية التي حددت ذاتية أمتنا وهويتها الإسلامية بشكل واضح، وكان ينبغي أن تتعكس على الشريعة التي تحكمها وتسود فيها.

لقد أثبت الواقع بما لا يدع مجالاً للشك أن تطبيق القوانين الوضعية كان ولا زال هو أهم أسباب انتشار الجريمة وازدياد معدلاتها وتنوعها على نحو لم يكن في أسلافنا، وأن تلك القوانين لم تؤدِّ دورها في الوفاء بمتطلبات المتقاضين وحلِّ خصوماتهم وفرض نزاعاتهم؛ فلا هي زجراً حققت، ولا قضايا أنجزت، ولا حقوقاً لأصحابها سلمت؛ بل أدت الثغرات التي تملأ عبايتها إلى اللد في الخصومات، والمماطلة في الإجراءات، وكثرة الاستئنافات، والامتناع عن أداء الحقوق والواجبات، وزيادة البغي والعدوان، وإثارة الفوضى والهمجية، وبثِّ روح الانتقام والثأر لدى المتخاصمين.

وفي هذا المقام تبرز محاسن الشريعة التي هي من وضع الخالق - عز وجل - الذي هو أعلم بأحوال عباده وأدري بما فيه صلاحهم وما إليه عاقبة أمرهم، والتي تفردت عن التقنيات الوضعية بسمات وخصائص تجعلها أجدراً بالاتباع وأولى بالتطبيق؛ إذ لا تتحكم في سننها الآراء ولا تعبت في وجهتها الأهواء.

والحق أننا مهما حاولنا إبراز محاسن الشريعة في شأن مكافحة الجريمة وردع الجناة فلن نوفيها حقها، ولن نستوعب إلا قدرًا يسيراً جداً من إيجابياتها ومحاسنها، لكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، والذي يفرضه علينا واجب الوقت هو تعريف المسلمين بمحاسن شريعتهم وتبيين علوِّ كعبها على التقنيات الوضعية، بل على أرقى تلك التقنيات، وفي ما يلي بعض محاسن السياسة الجنائية والعقابية الإسلامية:

أولاً: التشريع الإسلامي يحمي القيم الأخلاقية والإنسانية بنصوص أكثر فعالية من التشريعات الوضعية؛ فليس هناك دائرة منفصلة للتشريع عن دائرة الأخلاق، وهذه إحدى سمات

التشريع الإسلامي فحسب؛ إذ توجَّه العقوبات في الشريعة الإسلامية قبل كل ما يمس الأخلاق الفاضلة دون أن يتوقف ذلك على رضا المجني عليه أو تخلف ضرر ما عن الجريمة؛ لأن غرض حماية الأخلاق يعلو على غرض حماية المجني عليه في حد ذاته، باعتبار أن الغرض الأول يتعلق بالمصالح المشتركة والنظام العام للمجتمع، والتراضي بين الجاني والمجني عليه لا يجعل الفاسد صالحاً ولا يُجل ما حرم الله؛ لذا فالشريعة تعاقب على شرب الخمر والردة والفحش والزنا والفجور والشذوذ بغض النظر عن رضا طرفي الجريمة، ولا سلطان للحاكم في العفو عن هذه الجرائم، لأن التساهل في شأنها يؤدي إلى تحلل الأخلاق، وفساد المجتمع واختلال أمنه ونظامه.

ثانياً: التشريع الإسلامي سبق التشريعات الوضعية في الأخذ بـ (مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات) الشهير في القوانين الجنائية والعقابية، والذي يقتضي أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص؛ إذ يميز التشريع الإسلامي بوضوح بين الجرائم التي قدر الله - عز وجل - لها عقوبات لا يجوز العدول عنها إلى غيرها مثل عقوبات الحدود، وبين الجرائم الأخرى التي فوض ولي الأمر في تحديد أركانها والعقوبات المقررة لها؛ وهي الجرائم التعزيرية.

والأصل الذي أخذ به التشريع الإسلامي: أنه ما عدا جرائم الحدود - وهي الردة والزنا والحراة والسرقة والقتل وشرب الخمر - هي جرائم تعزيرية، هذا فضلاً عن أن جرائم القصاص قد حدد الشرع عقوباتها مثل جرائم الحدود ولكن على أساس عام وتساوٍ وتماتلٍ في العقوبة مع الجريمة.

وهذا المبدأ يجد أساسه في قول الله - تعالى -: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْبَأُ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، ويقول: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠٨ - ٢٠٩]، فكل عقوبة أوقعها الله - عز وجل - بكل أمة سبقها إنذار بالعقوبة عند المخالفة وهو ذاته جوهر (مبدأ الشرعية).

● **ثالثاً:** تنقسم الجرائم بحسب الحق المعتدى عليه في التشريع الإسلامي إلى جرائم يتعلق العقاب عليها بالاعتداء على حق من حقوق الله - تعالى - وجرائم يقع الاعتداء فيها على حق من حقوق العباد، وهو ما تنفرد به السياسة العقابية الإسلامية، وأهمية هذا التقسيم هي أن ما يُعدُّ من حقوق الله - تعالى - هو في حقيقة الأمر من دعائم النظام الاجتماعي الذي يقوم عليه المجتمع باعتبار أنها حقوق عامة، ويظهر أثر تلك التفرقة في أحكام التشريع في جواز العفو عن العقوبة أو تغييرها أو في قبول تنازل المجني عليه عن حقه.

● **رابعاً:** المسؤولية الشخصية في الجريمة مبدأ مقرر في الشرع الإسلامي، وهي مسؤولية محددة بشروط وضوابط تجد أساسها في قول الله - تعالى - : ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ . [الإسراء: ١٥]

● **خامساً:** تتميز (نظرية الإثبات) في الشريعة الإسلامية بجمعها بين قاعدتي (الإثبات المطلق) و (الإثبات المقيد)، والإثبات المطلق مقتضاه: أن القاضي حر في تكوين عقيدته في أي بيئة يراها كافية للإدانة أو البراءة، كما في جرائم التعازير بصفة عامة؛ فكل أمر يترجح عند القاضي أنه دليل من شأنه إثبات الحق هو طريق من طرق الحكم، ومنها: الإقرار، والشهادة، واليمين إذا عجز المدعي عن البيعة، والنكول عن اليمين، والقسامة، والعرف، والقرائن.

أما قاعدة الإثبات المقيد فمقتضاها أن الشرع ألزم القاضي بالتقيد بأدلة معينة في بعض الجرائم لا يجوز له أن يقضي على خلافها إذا استوفت شرائطها، ولا يجوز له العدول إلى غيرها، وهذا كما في حد الزنا.

أما التقنين الوضعي فالقاعدة العامة في الإثبات الجنائي فيه: أن القاضي يتمتع بحرية كاملة في تكوين عقيدته دون قيود عليه في الاقتناع بأي دليل يُعرض عليه في الدعوى، اللهم إلا بشأن جريمة شريك الزوجة الزانية؛ حيث حدد طرق إثبات جريمته على سبيل الحصر، وهو استثناء غريب لا علة حقيقية له في الواقع، بخلاف الشريعة الإسلامية التي على الرغم من اعتمادها في منهج الإثبات الجنائي على التيسير على القضاة للوصول لما يروونه الحق في أحكامهم بتتبع الدليل، إلا أنها أوردت قيوداً على القضاة بخصوص إثبات بعض الجرائم

بالنظر لخطورتها وأهميتها وشدة تأثيرها .

● **سادساً:** تكفل الشريعة الإسلامية تطبيق (مبدأ إقليمية القانون) الذي تُنادي به الأنظمة القانونية الوضعية؛ وهو يعني: أن تطبق أحكام الشريعة على المواطنين المقيمين في إقليم الدولة الإسلامية؛ سواء كانوا مسلمين أو ذميين أو مستأمنين. ويتسع (مبدأ الإقليمية) بشأن الجرائم الحدية ليشمل ما يرتكبه المسلم من جرائم في أي بلد إذا ثبتت عليه بالأدلة الشرعية، وهو ما يكفّل إلزام المواطنين بالسلوك القويم في الخارج وفقاً لما يمليه عليهم دينهم وأخلاقهم.

بل ومن خصائص (مبدأ الإقليمية) في الشريعة: أنه لا ينتقص من سيادة الدولة أو حقوق شعبها؛ حيث لا يُتقيد به إذا قامت المصلحة المؤكدة على ضرورة ملاحقة مرتكب أي جريمة من الجرائم الخطيرة حتى ولو ارتكب جريمته خارج إقليم الدولة؛ سواء لمساسها بكيان البلاد أو مصالحها الجوهرية، وهنا تبرز مرونة التشريع الإسلامي وأفضليته على القوانين الوضعية الجامدة التي تصطدم في كثير من الأحيان بالمصالح الجوهرية للبلاد، وتمس بكيانها وسيادتها، وتخل بالأمن العام للمواطنين.

إن تطبيق الحدود في الجملة على غير المسلمين يجد علته - كما سبق القول - في أنها من دعائم النظام العام في المجتمع الإسلامي التي تهدف إلى الارتقاء بالمجتمع بكل مواطنيه ورعايتهم جميعاً باعتبارهم يتعايشون في مجتمع واحد .

● **سابعاً:** (مبدأ عدم رجعية القانون) في الشريعة له خصائص تميزه عن غيره؛ حيث يعني في التشريعات الوضعية: أن النصوص القانونية لا تسري إلا من وقت سنّها، ولا تطبق إلا على الوقائع التالية على ذلك. أما في الشريعة فهذا المبدأ محدود بالجرائم التعزيرية التي يرى ولي الأمر فرضها إصلاحاً للناس والمجتمع، ولا يشمل الجرائم الحدية.

● **ثامناً:** لا تقف أغراض العقوبة في التشريع الإسلامي عند حد الردع الخاص للجاني المتمثل في زجره وتقويمه، والردع العام للغير المتمثل في زجر أي فرد من المجتمع تسوّل له نفسه اقتراف جرمه، بل تتعدّى هذين الغرضين من حيث كونها كفارة للمُعاقب وطهرة تُزيل عنه المؤاخذه بذنب الجرم الذي ارتكبه، وهو ما تنفرد به الشريعة دون غيرها من التقنيات الوضعية؛

إذ لا سبيل لهذه التقنيات إلى إيجاد عقوبات بديلة للعقوبات الشرعية يمكنها أن تؤدي الغرض المشار إليه؛ وما ذلك إلا لأن العقوبات الشرعية شريعة الله - تبارك وتعالى - وأما القوانين الوضعية فهي من وضع البشر.

تاسعاً: تكفل العقوبات الشرعية تحقيق العدل بين الجاني والمجني عليه، لا سيما في جرائم القصاص؛ حيث تقوم على أساس (الجزاء من جنس العمل)، ولا شك أن ذلك يؤدي إلى شفاء صدر المجني عليه، وشعوره بحصوله على حقه كاملاً، فيمنعه ذلك من الثأر والانتقام، بخلاف العقوبات الوضعية التي تبخس حق المجني عليه في القصاص من الجاني، وهو ما يخلق في حد ذاته دافعاً جديداً للإجرام؛ هو الثأر والانتقام المتولد عن الضغينة التي يحملها الجاني للمجني عليه.

عاشراً: التشريع الجنائي الإسلامي يأخذ بمبدأ تفريد العقاب فيفرق في العقوبة من حيث النوع والقدر بحسب جسامه الجرم المرتكب وخطورة المجرم، وهو ما يكفل للعقوبة تحقيق أغراضها العامة (الردع العام) والخاصة (الزجر والتقويم).

ففي أغلب التشريعات الوضعية عقوبة السجن أو الحبس هي العقوبة العامة التي تُظلم معظم المجرمين، وهي في حد ذاتها لم تحقق الردع العام أو الخاص في أرقى دول العالم وأشدها تحضراً، بل معدل ارتكاب الجريمة في هذه الدول في ازدياد مستمر حسب ما تثبته الإحصائيات الرسمية فيها، بخلاف الشريعة الإسلامية التي تُطبق إلى جانب السجن أو الحبس عقوبات أخرى أكثر ردهاً كالرجم للزاني المحصن، والقطع في حدّي (السرقه والحراية)، والجلد في حدود الزنا والقذف وشرب الخمر^(١).

فهذه الجرائم لما كانت المفسدة فيها عظيمة ثابتة لا تتبدل مهما اختلف الزمان والمكان، استلزم ذلك أن تكون العقوبات عليها مؤلمة لتحقيق الزجر والردع والتأديب للشريين والمفسدين. ولما كانت المفسدة في هذه الجرائم متنوعة بحسب الحق المعتدى عليه من كليات الدين الخمسة (الدين، والنفس، والعقل، والنسل،

(١) تُعد عقوبة الجلد بصفة خاصة من أكثر العقوبات ردهاً للمجرمين، وهي ذات حدين فيمكن أن يُعاقب بها كل مجرم بالقدر الذي يلائم جريمته ويتفق مع شخصيته في آن واحد، وتمتاز هذه العقوبة أيضاً بأنها تنفذ في الحال فلا تُثقل كاهل الدولة ولا تعطل المحكوم عليه عن عمله، ولا تُعرض المحكوم عليه لخطر السجن ومخالطة الأشرار، ولا تمس آثارها سوى المحكوم عليه ممن يعولهم أو يلتزم نحوهم بالتزام شرعي؛ ولهذا كانت أكثر العقوبات التي استخدمها الولاة والقضاة قديماً في ردع المجرمين في جرائم التعازير.

والمال)، فقد استلزم ذلك أيضاً أن تكون العقوبة متنوعة ومناسبة لكل جرم. يقول العلامة ابن قيم الجوزية - رحمه الله -: (فلما تفاوتت مراتب الجنايات، لم يكن بد من تفاوت مراتب العقوبات، وكان من المعلوم أن الناس لو وُكِلوا إلى عقولهم في معرفة ذلك، وترتيب كل عقوبة على ما يناسبها من الجناية (جنساً ووصفاً وقدرًا) لذهبت بهم الآراء كل مذهب، وتشعبت بهم الطرق كل مشعب، ولعظم الاختلاف واشتد الخطب، فكفاهم أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين مؤنة ذلك، وأزال عنهم كلفته، وتولّى بحكمته وعلمه ورحمته تقديره (نوعاً وقدرًا)، ورتب على كل جناية ما يناسبها من العقوبة، ويليق بها من النكال)^(٢).

هذه بعض ملامح السياسة الجنائية والعقابية في الشريعة الإسلامية، وهي غيضة من فيض، وقطرة من سيجح وقليل من كثير؛ وإلا فإن محاسن الشريعة في هذا المجال تتسع له المجلدات لا هذه الصفحات.

لقد بات الرجوع إلى التشريع الإسلامي ضرورة قصوى حتى لا تكون ثمة فجوة بين طبيعة واقع المسلمين الاجتماعي وبين القوانين التي تحكمهم؛ فلا ريب أن القانون ينبغي أن يعكس بصدق أحوال المجتمع المادية والفكرية وأن يحقق متطلباته وأماله.

وإذا كانت التشريعات الوضعية قد أصلت لناهجها وُقفاً للقواعد والنظريات التي درج سُرح القوانين على إدراجها في القسم العام منها، فإن الفقه الإسلامي أيضاً قد سبق إلى كثير من هذه النظريات والقواعد على أساس أحكام القرآن الكريم أو السُّنة المطهرة أو الاجتهاد الفقهي؛ سواء من حيث نطاق التشريع وتطبيقه من حيث الزمان والمكان، وكذلك أركان الجرائم، وإثباتها وشروط المسؤولية الجنائية، والاشتراك في الجريمة، وأسباب الإباحة وتنفيذ العقوبات، وأسباب وقفها، بما يُعد في الحقيقة سبقاً علمياً لعلماء المسلمين منذ قرون في مجال التشريعين (الجنائي والعقابي)، والحق أنه لا مجال للمقارنة بحال من الأحوال بين ما شرع الله العليم الحكيم، وما قن البشر القاصرة عقولهم، المحدودة فهمهم المشوبة بتسلط الهوى والشهوة. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لَقَوْمٍ يُؤْفِكُونَ﴾^(٣).

[المائدة: ٥٠]

هذا والحمد لله، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



تحريف التوراة... منه وكيف؟ (١)

فيصل بن علي الكاملي*

popedia@windowslive.com

وليس منه ما يؤمن به النصارى مما يسمى «العهد الجديد». أما كتاب النصارى فيتألف من قسمين: «العهد القديم» وهو أسفار اليهود التسعة والثلاثون بالإضافة إلى «العهد الجديد» ويضم سبعة وعشرين سفيراً يزعم جمهور علماء أهل الكتاب أنها سطررت في أصلها بلسان الإغريق^(٢).

لكن نسخة العهد القديم التي تتبناها الكنيسة الرومية الكاثوليكية تزيد بسبعة أسفار عن أسفار اليهود خلافاً لنسخة البروتستانت التي تقتصر على الأسفار التسعة والثلاثين. وتُعرف هذه الإضافات عند الروم الكاثوليك بـ Deuter canonical Books أو «الأسفار الثانوية»، وتُدعى عند البروتستانت «أبوكريفا» Apocrypha، وهي كلمة يونانية الأصل وتعني «المخفيّات»: أي الأسفار التي لا يُعلم حالها؛ ولذا أُخرجت من قائمة الأسفار القانونية.

يعرف العهد القديم أو التوراة العبرانية عند اليهود بالـ «ت - ن - ك» (وتُقرأ «تتأخ»); وهي كلمة مركبة من الأحرف الأول من كل قسم من أقسامه: تورا (التوراة أو الشريعة أو التعليم)، نبيم (الأنبياء)، وكتوبيم (الكتب).

تُعَدُّ تسمية «الكتاب المقدس» بهذا الاسم محاولةً من قِبَلِ نصارى العرب لإيجاد مرادف عربي للمصطلح الإنجليزي (Holy Bible)^(١). لكن كلمة Bible التي تشير إلى مجموع الأسفار «المقدسة» لدى اليهود والنصارى هي اشتقاق من الكلمة اليونانية biblia وتعني «كُتَيْبَاتٍ» لا «كتاباً». كما أن الكلمة اليونانية biblia هي مُصَغَّرُ byblos: أي «ورق البردي» الذي كان يُجلب من سواحل المدينة الفينيقية العتيقة Byblos وهي اليوم «جبيل» في لبنان^(٢). فالكلمة إذن تعني «لِفائف» ضُمَّ بعضها إلى بعض. والأولى الاقتصار على تسميته «كتاباً» دون وصفه بـ «المقدس» عند الإشارة إلى مجمل ما يؤمن به اليهود والنصارى من أسفار العهدين (القديم والجديد): ذلك بأن هذا هو اللفظ الذي استعمله القرآن في مثل قوله - تعالى - : ﴿قَوْلٍ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ...﴾ [البقرة: ٧٩] الآية، ولأن قدسية الكتاب لم تثبت واقعاً حتى عند كثير ممن يتعبد به.

يختلف كتاب اليهود عن كتاب النصارى في جوانب مهمة. فكتاب اليهود يضم تسعة وثلاثين سفيراً كتبت في أصلها بالعبرانية عدا بعض الأجزاء التي كتبت بالأرامية (أو الإزمية)، (* باحث سعودي متخصص في دراسة الأديان - يعمل في مركز الدراسات والبحوث التابع لمجلة البيان.

(١) يستعمل بعض نصارى العرب الكلمة الإنجليزية Bible بأحرف عربية دون ترجمة هكذا «ببيل». فيقال - مثلاً -: كلية العلوم الببيلية.

(2) Random House Webster's Unabridged Dictionary, CD version 3.0 (Random House, Inc., 1999). (Under "Bible").

(3) Bruce M Metzger & Michael D Coogan (Ed.), Oxford Companion To The Bible (Oxford & New York: Oxford University Press, 1993) p. 79.

١ - التوراة:

غير النبي عليه السلام) وملاخي. لذا فإن قانون^(٢) «الأنبياء» العبراني يحوي في عمومه ثمانية أسفار. أما قانون «الأنبياء» عند النصارى فلا يخص قسماً لـ «الأنبياء القدامى» بل يُدخلهم تحت مسمى «الأسفار التاريخية». كما أنه يستعير سفرين من قسم «الكتب» هما مراثي أرميا وسفر دانيال، عليه السلام. يبيد أنه يفصل الأسفار الإثني عشر كلاً على حدة فيكون بذلك عدد أسفار «الأنبياء» سبعة عشر عند البروتستانت؛ أما الكنيسة الكاثوليكية فإنها تزيد على ذلك سفر «باروخ» الذي رفضته الكنيسة الأورثوذكسية في مجمع أورشليم المنعقد عام ١٦٧٢م.

أما في ما يخص «الأنبياء القدامى» فإن القانون البروتستانتي - على غرار النسخة السبعونية^(٤) - يفصل سفرَي صموئيل والملوك إلى صموئيل الأول وصموئيل الثاني، وكذا الملوك الأول والملوك الثاني. أما الكنيسة الكاثوليكية والأورثوذكسية فقد كانتا تُقسّمان السفرين إلى أربعة: الملوك الأول والثاني والثالث والرابع دون ذكر لاسم صموئيل. لكنَّ جُلَّ الترجمات المعاصرة تلجأ إلى التقسيم المتبع في النسخة السبعونية^(٥).

٣ - الكتب:

وهي القسم الثالث من أقسام التوراة العبرانية. ويحوي هذا القسم مجموعة متفرقة من الكتابات المقدسة لدى اليهود لم يمكن تصنيفها تحت «التوراة» أو «الأنبياء». وليس لهذه الكتابات وحدة أدبية بل تشمل ترانيم دينية (المزامير ومراثي أرميا)، وشعراً غزلياً (نشيد سليمان)، وحكماً ووصايا (الأمثال، وأيوب، والجامعة)، وتاريخاً (أخبار الأيام وعزرا ونحميا)، ورؤى ونبوءات (دانيال عليه السلام)، وقصة قصيرة (زوث)، وحكاية غرامية (إستير)^(٦).

هذا عرض مبسّط لأسفار العهد القديم أو «التوراة العبرانية» أردت منه التمهيد لمقال لاحق - إن شاء الله - يعلّق على قول الحق - تبارك وتعالى -: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بَأَيْدِيهِمْ...﴾ [البقرة: ٧٩] الآية، وكيف حُرِّفَت التوراة فأصبحت أسفراً بعد أن كانت سفراً.

(٢) تستعمل كلمة «قانون» canon في مثل هذا السياق بمعنى قائمة الاسفار المعتمدة في مقابل تلك المشكوك في صحتها.

(٤) السبعونية: هي أقدم ترجمة يونانية للتوراة العبرانية.

(5) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM, (Under "Biblical Literature, Nevi'im").

(6) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM, (Under "Biblical Literature, Ketuvim").

تضم التوراة (وتسمى أحياناً «بنتاتيوك»^(١)) خمسة أسفار هي: التكوين، الخروج، اللاويون، العدد، والتثنية. ويحوي هذا القسم من التوراة العبرانية سلسلة من القصص، تتخللها بعض التشريعات، وتقدّم سرداً لمجموعة من الأحداث تبدأ بخلق السماوات والأرض وتنتهي بموت موسى، عليه السلام^(٢). وعلى الرغم من الجدل المحتدم حول نسبة هذه الكتب إلى موسى - عليه السلام - فإن التقاليد اليهودية والنصرانية تؤكد على نسبة تدوين هذه الأسفار الخمسة إلى موسى - عليه السلام - وتتنصر لذلك ببعض نصوص التوراة العبرانية. لكنَّ ورود بعض هذه النصوص بصيغة الغائب يزيد الأمر تعقيداً. نقرأ على سبيل المثال في (سفر التثنية ٣١: ٩) «وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة... ولجميع شيوخ إسرائيل»: فمن هو الراوي عن موسى - عليه السلام - هنا؟ كما أن الفقرات الثماني الأخيرة من سفر التثنية - الذي هو آخر الأسفار الخمسة التي تصف وفاة موسى، عليه السلام - كانت تشكّل حرجاً لأخبار اليهود في القرن الثاني الميلادي الذين عدّوا «هذه التوراة» في النص السابق إشارة إلى جميع الأسفار الخمسة السابقة لسفر التثنية. وثمة نصوص أخرى يبدو أنها كتبت في خلفية زمنية متأخرة عن الحدث الذي ترويها.

٢ - الأنبياء:

ويتقسم إلى قسمين: الأنبياء القدامى والأنبياء المتأخرين. أما قسم الأنبياء القدامى: فيشمل أربعة أسفار تاريخية، هي: سفر يوشع - عليه السلام - وسفر القضاة، وسفر صموئيل، وسفر الملوك.

وأما قسم الأنبياء المتأخرين: فيشمل أربعة أعمال نبويّة، هي: سفر إشعيا، وسفر أرميا، وسفر حزقيال، وأسفار الأنبياء الإثني عشر الموسومين بـ «الصغار» Minor Prophets. وقد كانت أسفار الأنبياء الإثني عشر تُكتب على لفافة مفردة وتحوي أسفار هوشع ويوثيل وعاموس وعبديا ويونس (أو يونان) - عليه السلام - وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجّاي وزكريا (وهو

(١) البنتاتيوك Pentateuch كلمة يونانية الاصل وتعني: «الأسفار الخمسة».

(2) Encyclopaedia Britannica 2002 Standard Edition CD-ROM (Encyclopaedia Britannica, Inc, 19942002-), (Under "Torah").



الحلقة المفقودة

منصور باواوي

يقول - تعالى - في كتابه العزيز ﴿ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِسِنِّ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٣] وفي الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(١). هذان النصفان الكرمان يجسدان حركة الحياة التي كانت سائدة آنذاك؛ حيث كانت القيادة والأفراد على قلب رجل واحد؛ لا توجد انقسامات ولا تحزبات ولا حلقات مفقودة بين الرأس وسائر أعضاء الجسد، وهذا ما أعاظ بعض اليهود؛ فحاول أن يستغل بعض الماضي ويوظفه لزعزعة الحاضر وإفلاق المستقبل، فسد بين الصفوف من يذكركم بيوم بُعث حتى اشتد القوم وكادوا أن يهلكوا، حينها بادر النبي ﷺ لاحتواء الموقف وسرعة معالجته حتى هدأت النفوس وسكنت.

إن المجتمعات - سواء كانت صغيرة أو كبيرة، دعوية كانت أو تنظيمية - إذا لم تتصل الحلقات بين الأفراد والقيادات فيها، وبقيت هناك حلقات مفقودة بين الطرفين، فستظهر الإشكالات والقتال؛ ومن أبرزها الثثرة الجانبية في ما بين الأفراد، وهو ما ينعكس بدوره على أداء الأفراد وحيويتهم وفعاليتهم مع دعوتهم، وربما تفاقمت الأمور ووصلت إلى حد تبادل الملامة والتهم بين الأطراف العليا

والأفراد وتحميل كل طرف مسؤولية الفشل؛ ففي غزوة حنين (هوازن) - مثلاً - نجد أن النبي ﷺ عندما وصلته بعض الأفاويل من بعض أتباعه الشباب على بعض الإجراءات؛ وهي تقسيم الغنائم على قريش وبعض قبائل العرب وترك الأنصار؛ حيث وجد الأنصار في أنفسهم من هذا التصرف، وأخبر سعد بن عبادة النبي ﷺ بما قاله الأنصار، فطلب منه أن يجمع له قومه، ثم جاء ﷺ فقال: «ما قاله بلغتني عنكم وجدتموها في أنفسكم: ألم آتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بل الله ورسوله أمن وأفضل. قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ قالوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله، ولله ولسوله المن والفضل؟ قال: أما والله! لو شئتم لقلتم فصدقتهم وصدقتهم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأغيناك. أو جدتكم في أنفسكم - يا معشر الأنصار - في لعاعة من الدنيا، تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ أفلا ترضون - يا معشر الأنصار - أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله ﷺ في رحالكم؟ فوالذي نفسي محمد بيده! لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعباً الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار! قال: فبكى القوم حتى أخصلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقنا»^(٢).

تمعن - يا رعاك الله - في هذا المجلس الأخوي العظيم؛ إنه - والله - موقف المرابي المحب الرؤوف الرحيم قبل أن يكون موقف القائد الحاسم الحازم، وانظر لهذا العتاب الجميل الممزوج بكل معاني الحب والوفاء لهذا الحي العظيم؛ لقد استحقوا أعظم تكريم وأجله، وهو أعظم من كل غنيمة في الغزوة. هنا يبرز تقدير

(٢) أخرجه أحمد: ١٥٧/٣، (١٢٦٢٩)، والبخاري: ١٥٧٦/٤، (٤٠٨٢).

(١) صحيح البخاري: ١١/٨، (٦٠١١)، ومسلم: ٢٠/٨، (٦٦٧٨).

القائد الفطن لاحتواء أي مؤشرات من شأنها أن تخلق حالة مثل فقد الحلقّات بين الأفراد وقادتهم، ولسرعة التفادي وعدم ترك مساحة يستثمرها الشيطان لتتسع الحلقة وتكبر.

وكان من هديّه ﷺ حرصه على ردم هذه الهوة بينه وبين أتباعه؛ فلا يسمح بوجود مثل هذه الحلقة المفرغة، ومن الأولى أنه لم يكن يسمح باتساعها وكبر مساحتها؛ فكان هو من يبادر إلى إزالة هذه الحلقة وهو من يبدأ تعزيز الثقة والتواصل الإيجابي بينه قائداً ومريباً وموجهاً، وبين أتباعه أفراداً وأتباعاً ورفيقاً؛ لأن القائد هو من تلقى على عاتقه إزالة هذه الحلقات بينه وبين الأفراد. فكان ﷺ يراعي الأمور التي هي دقيقة هامشية في تصوّر بعض الناس اليوم، ويعطيها حجمها من الاهتمام والرعاية؛ ولا أدل على ذلك من صلاته على المرأة السوداء^(١) التي كانت تقم المسجد (أي: تنظفه) عندما افتقدتها فسأل عنها فقيل: ماتت من الليل ودُفنت، وكرهنا أن نوقظك، فذهب إلى قبرها وصلى عليها. إن هذا التصرف نابع من حرصهم على عدم إيقاظ النبي ﷺ كما صرح به في الرواية، وأيضاً لشعورهم بأن المرأة لم تبلغ تلك المنزلة والمكانة التي تستوجب إخبار النبي ﷺ في وقت كهذا، كما في رواية مسلم الذي قال: «فكانهم صغروا أمرها أو أمره»^(٢).

وهنا يأتي دور المربي الذي لا يعرف بين أنصاره فئة هامشية لا تستحق أكثر من فترات وقته، متعذراً بمشقة المهام وجسارتها، إنه ﷺ يرسل الرسائل من خلال هذا الحرص والاهتمام بالأفراد مهما كان دورهم وترتيبهم في سلم أولوياته إلى كافة الأفراد والأتباع؛ أنهم شركاء في مشروع البناء ومن ثم لا بد أن تتصل جميع الحلقات حتى يكتمل البناء ويثبت، ويحرص أيضاً على أن يستفيد أصحابه مما أعطاه الله وحباه من العطايا والمزايا فيسخرها لهم ويوظفها لأجلهم، وإن غيبت الواحد منهم الموت، فإن هذا من شأنه أن يجعل الأفراد يلتفون حوله ويتصلون به وينضمون إليه، فقد خرج ﷺ إلى البقيع وصلى على أهله ودعا لهم وقال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم».

لقد جمع ﷺ بين وظيفتين عظيمتين وهما: القيادة والتربية، ولا تجتمعان في كل أحد؛ فمن جمعهما لم يفقد من تحته، ولم تتفلت الأمور من يده، ولن تكثر الحلقّ المفقودة بينه وبين أفرادها. وبالنظر إلى واقعنا الدعوي والمؤسسي نجد أن هناك قادة ليسوا بمربين، أو مربين ليسوا ب قادة وهذا ما أحدث شروخاً في

(١) أخرجه أحمد: ٢٨٨/٢ (٩٠٢٥)، والبخاري: ٤٨٨/١ (١٢٧٢)، ومسلم: ٦٥٩/٢ (٩٥٦). ورد في الحديث: «أن رجلاً أسود أو امرأة سوداء» الشك فيه من ثابت؛ لأنه رواه عنه جماعة هكذا أو من أبي رافع، انظر فتح الباري: ٥٥٣/١.

(٢) صحيح مسلم: ٦٥٩/٢ (٩٥٦).

مشاريعنا الدعوية والمؤسسية.

وفي سيرة المصطفى ﷺ نجد سلامه على الصبيان كلما مرّ بهم، وعبادتهم وملاطفتهم والرفق بهم... كل ذلك يعكس صورة حية تجسد الشعور بإبقاء الاتصال وعدم ترك حلقات مفقودة مع كافة الشرائح؛ وعدم إهمال أي شريحة مهما كان وضعها الاجتماعي، وهذا يعزز من ترسيخ مكانة القائد في محيطه، وهو ما يجعل حضوره في نفوس أتباعه أكبر من حضوره الحسي بينهم، ومن هنا نجد أن الصحابة - رضوان الله عليهم - ونتيجة لشدة تواصله معهم كانوا يُطِيعونه على تفاصيل حياتهم الخاصة، التي لو أخفاها الواحد منهم عنه لم ينله إثم ولا حرج، ولكن الحلقة المفقودة التي نشكوا منها اليوم لم تكن موجودة حينها.

إن القيادة الفعالة هي من تستطيع أن تكتشف وجود هذه الحلقات أولاً ثم تقدّر مدى سعتها وأثرها في الأفراد ثم تضع المعالجات والخطوات التصحيحية الفعالة والبناءة لإزالتها أو تصغير حجمها، ولن تجد القيادة أفضل من السيرة النبوية وسيرة السلف الصالح منهجاً تستعين به في إزالة مثل هذه الحلقات المفقودة؛ ولذا فمن المعيب أن لا تتمتع القيادة بحس مرهف، وفطنة لطيفة، وفهم ثاقب، وغوص شديد في معاني هذه السيرة العطرة.

إن من أبرز العوامل التي تزيل هذه الحلقة المفقودة بين القيادة والأفراد أن تكون القيادة تمثل القدوة الحسنة في كثير من الجوانب الحياتية، وأن يرى فيها الأفراد النموذج الأعلى لهم في حياتهم، وأن تكون بعيدة عن مواطن الشبه والريبة، وأن تتمتع بقدر عالٍ من المصداقية والشفافية بعيدة عن الغموض، وهذه هي تكلفة القيادة لمن أراد أن يمتطيها؛ فلا بد أن يبرز في شؤون حياته ويتقن إدارتها؛ حتى لا يكون سبباً في تكثير هذه الحلقات، لقد كان النبي ﷺ مثلاً أعلى وقُدوة حسنة لأصحابه؛ يروونه سباقاً في كل ميدان وحدث، قد حاز من الفضائل والسجايا ما كسب بها حب أصحابه وودهم. قال الله - تعالى - مخاطباً إياهم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وكان أصحابه يرون أفعاله ويسمعون كلامه فكان مما يزيدهم حباً فيه وحرصاً للقرب منه، وكانوا يتنافسون على طاعته وإرضائه، وهكذا تلاشت هذه الحلقة بينه وبين أتباعه.

إن القيادة أمانة، وإنها خزي وندامة؛ إلا من أخذها بحقها، وهي فن وذوق وإبداع، وليست عبوساً وشدة وغلظة واكفهار وجه؛ فمن عرف مفاتيحها سهل عليه ممارستها، وإننا بحاجة ماسة لفقهها وإتقانها، ومعرفة إدارتها وتطبيقها، ولربما قاد الصغير جحافل الشيوخ، ونطق باسم القوم أصغرهم سناً.



بصائر من تذكرة سورة (عبس)

أبو عمر الدعيح

لم تعرف البشرية ولن تعرف أعظم من خلق محمد ﷺ، ولم تعرف الدعوة ولن تعرف أحرص منه ﷺ على هداية الناس حتى كادت نفسه الزكية تذهب حسرات من شدة حذبته على هداية من يدعوهم، وسعيه في ذلك أعظم السعي حتى نزلت آيات تدعو إلى الرفق بتلك النفس الحريصة الرؤوفة الرحيمة: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، و ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

ومن المواطنين التي تجلّى فيها حرصه ﷺ على هداية من يدعوهم ما قصّه الله - تبارك وتعالى - علينا من خبره ﷺ في سورة عبس؛ حيث كان مشغولاً في دعوة أحد كبراء قومه من المشركين وحريصاً على هدايته، وبينما هو على تلك الحال جاءه الأعمى (عبد الله بن أم مكتوم) - رضي الله عنه - يتفقّه في الدين ويتزود من الخير، فعبس ﷺ وتولى وتلهّى، وحاشا صاحب الخلق العظيم ﷺ أن يصدر ذلك عنه ازدراءً أو تنقُصاً لذلك الأعمى أو طلباً لعرض دنيوي من ذلك الكافر المستغني؛ وإنما الدافع هو الحرص على نجاة من لم ينعم بالهداية بعد؛ حيث إن الأعمى من المهتدين الناجين؛ أما ذلك المستغني فلا زال في الهالكين، ثم إنه ذو شأن في قومه؛ وفي هدايته هدايتهم أو تخذيلهم عن محاربة الدعوة على أقل تقدير. فكان منه ﷺ ما كان، ونزل العتاب الإلهي في آيات جعلها الله تذكرة ما بقي كتاب الله يُتلى ويُتدبّر، وقد جاءت تلك التذكرة ببصائر عظيمة، منها:



البصيرة الأولى: الحرص على هداية الناس خلة عظيمة في مَنْ شَرَّفَ بحمل لواء الدعوة: ولكن ينبغي أن يكون حرصاً معتدلاً؛ بحيث لا يضر بنفسِ الداعي أو يثبط عزمته أو يقعده عن الدعوة كما لا يسوغ حرصاً تُقدِّم فيه مصلحة متوهمة على مصلحة متحققة.

البصيرة الثانية: الداعي إلى الله - تعالى - عزيز عنده - سبحانه - ولذلك رفق وتلطَّف بسيد الدعاة ﷺ فخاطبه أولاً بخطاب الغائب؛ وكان المقصود غيره ﷺ! وهكذا يكون التعامل مع الدعاة إلى الله - تعالى - عندما يحصل منهم خطأ في سبيل الدعوة فتُستشعر مكانتهم ويُغلب جانب التماس ما يرفع الملام عن الدعاة الكرام.

البصيرة الثالثة: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢]: في التعبير بالأعمى تشبيه للدعاة إلى الله - تعالى - على ضرورة مراعاة اختلاف المدعوين في قدراتهم ومداركهم وفهومهم مما يكون معه تعرُّض المدعو للداعي بما يكره دون قصد من المدعو.

البصيرة الرابعة: ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ٢]: لم يوصف بالمؤمن مقابلةً بالكافر أو الراجب مقابلةً بالمستغني؛ ولعل في ذلك إشارة إلى ضرورة مراعاة الداعية للضعفاء من المؤمنين الذين هم سبب الرزق والنصر؛ والحذر من إغضابهم مراعاة للكافر كائناً من كان؛ فإن في إغضابهم إغضاب الرب - تبارك وتعالى - كما جلا ذلك ﷺ في قصة الصديقِّ مع سليمان وصهيب وبلال - رضي الله عنهم - حيث راعى الصديق - رضي الله عنه - هداية شيخ قريش وسيدهم لَمَّا قالوا: والله! ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها. فقال أبو بكر - رضي الله عنه -: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ وحاشاه - رضي الله عنه - أن يقصد إغضابهم؛ لكنه راعى مصلحة الدعوة؛ بأن لا يسمع أبو سفيان ما قد يحول دون هدايته، ومع ذلك تأتي مصلحة المحافظة على رأس المال، ومراعاة المصلحة المتحققة دون المتوهمة، وتعظيم مَنْ حقه التعظيم، فيعود الصديق متلطفاً مع أولئك النفر طالباً معذرتهم وحاذراً إغضابهم فيقول: يا إخواناه! أغضبتكم؟ فيقولون: لا. رضي الله عنهم أجمعين.

البصيرة الخامسة: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِي﴾ [عبس: ٣]: فيه إشارة إلى الحذر من الإعراض عن المؤمن في الدعوة مهما كانت حاله؛ فلعل الله يجعل على يديه من التزكي والرفعة للإسلام والمسلمين ما لا يعلمه إلا هو سبحانه؛ فكم جعل الله من الخير والنفع في أناس لا يؤبه لهم وكفى شراً أن يُحقَّر مسلم كائناً من كان! فكيف إذا كان ذلك الاحتقار في مجال الدعوة؟

البصيرة السادسة: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ [عبس: ٤]: فيها إشارة إلى أهمية تقديم مصلحة مراعاة المؤمن ولو كانت هدايته قاصراً نفعها على نفسه؛ فهو أولى من التصدي للمعرض.

البصيرة السابعة: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِي﴾ [عبس: ٧]: ليس على الداعية إلا دعوة الناس لا هداهم ولا يضره عدم تزكيتهم فليس عليه إلا البلاغ قليلتزم في بلاغه المنهج الموافق لمراد الله وليحذر ما يشتط به عن السبيل، والنتائج بعد ذلك مردها إلى من له الحكمة البالغة فيهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

البصيرة الثامنة: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِي﴾ [عبس: ٧]: إن الحرص في الدعوة ينبغي أن يكون متجرداً لغرض هداية المدعو وتعبيده لرب العالمين لا لغرض الانتفاع به؛ وإنما ذلك يأتي تبعاً إذا أَرَادَهُ اللهُ، تبارك وتعالى. ثم إن المخلوق يجب ويكره ولا يدري في ما فيه الخير والشر ولا النفع والضر؛ وإنما ذلك مرده إلى الله تعالى. وبهذا المنهج يسلم الداعي من التصدي للمعرض المستغني، أو التولي والتلهي عن المقبل الراجب؛ فيحرص الداعية على الجميع لخيرهم هم، وعند التعارض يقدم المقبل الراجب في الدعوة والداعية؛ والخير كل الخير في التزام شرع الله ولزوم مراده؛ فلا يُحكَّم الداعية عقله ولا يُقدَّر المصالح في مسائل لا يسعه فيها الاجتهاد، وإذا وسع الاجتهاد فعليه أن يتأمل كثيراً في ما يعارض ذلك الاجتهاد.

البصيرة التاسعة: قد يتحاشى الداعية عرض بعض القضايا التي قررتها الشريعة؛ يريد بذلك مراعاة تزكيت المدعو وهدايته، ولعل في قوله - تعالى - : ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِي﴾ [عبس: ٧] رفضاً

لمن يسمع ويرى ما لا يليق؟ بل كيف بمن يتعمد الإساءة؟ إنه منزلقٌ خطير ينبغي استشعاره والتنبه له في التعامل مع المقبل على الله - تعالى - فكما أن فضل الإحسان في الدعوة عظيم كذلك فإن تبعّة الإساءة فيها عظيمة.

البصيرة الرابعة عشرة: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ [عبس: ٦]:
لعل في عتبه - جل وعلا - لرسوله ﷺ بالتصدي لذلك المعرض المتكبر إشارةً إلى أنه لا ينبغي للداعي إلى الله - تعالى - أن يُذِل نفسه ويشغلها بالإقبال على أهل الكبر والإعراض؛ وأن عليه أن يستشعر عزّته وعلوّه بما يحمل من الحق والخير؛ فلا يكثر بالمستغني كأنه من كان؛ بل الأوّلى الإعراض عنه واستشعار أنه أحرى بالتحقير والذم؛ وذلك أنه لا حيلة في أهل الكبر على الحق ومن جاء به؛ إذ قضى الله صرفهم عن طريق الهداية: ﴿سَأَصْرِفُ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَكْبُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

البصيرة الخامسة عشرة: على الداعي أثناء تعامله مع المدعو استشعار أن الجزء من جنس العمل؛ فعليه أن يكون مع المدعويين من حيث الإقبال والصفوح ونحوها كما يحب أن يكون الله - تبارك وتعالى - معه في الدنيا ويوم العرض عليه - سبحانه وتعالى - فقد ذكر بعض المفسرين أن في مخاطبته ﷺ بلفظ الغائب مبالغة في العتب بخلاف المعنى المشهور من أن المراد التلطف؛ حيث إن في ذلك بعض الإعراض؛ فكما تُعرض يُعرض عنك. فإيا لها من تذكرة ما أعظم عبرها وأغزرها لمن تدبرها!
فحري بالدعاة إلى الله - تعالى - خاصة الوقوف عندها كثيراً واستخلاص الدروس والعبر التي تزخر بها هذه التذكرة العظيمة جعلنا الله من المنتفعين بمواعظه إنه جواد كريم.

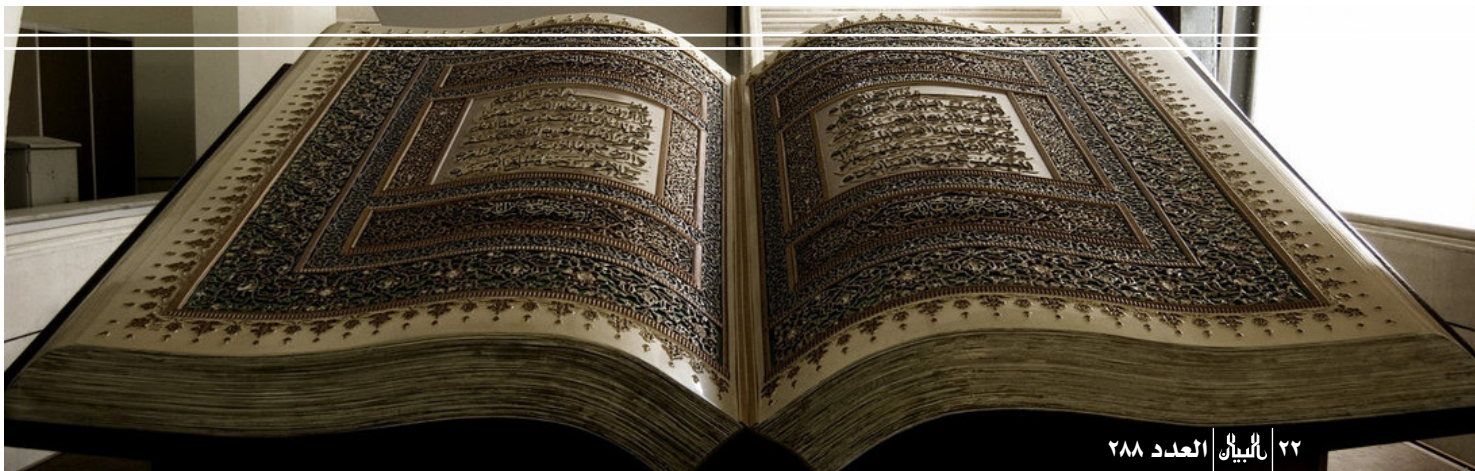
لهذا المنهج والمعتد؛ فهيات هيات أن يكون في ما شرع الخبير العليم ما يكون سبباً لنفور المدعو إذا تجرد للحق، وإذا كان هذا المنهج مردوداً مع من حسنت نيّته ممن يراعي مصلحة الدعوة؛ فكيف بمن يتهرب من عرض تلك القضايا ويروغ عند ورودها خجلاً وانهازاً أمام من لا يؤمن بها؛ وخصوصاً إذا كان ذلك الكافر من أولئك القوم الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ممن غرتهم حضارتهم، وفتتهم ما هم فيه من علم دنيوي؟

البصيرة العاشرة: أن ما فعله ﷺ من الإقبال والحرص على هداية المشرك أمر مشروع، ولعل غاية ما فعل أنه ﷺ ترك الأوّلى؛ ومع ذلك ينزل هذا العتاب الإلهي، وهو ما يبيّن عظم وخطر مسألة الدعوة وضرورة التحري الدقيق في مسألتها ووسائلها وأساليبها والمصالح المراعاة فيها.

البصيرة الحادية عشرة: أن ما فعله الأعمى من الإقبال على النبي ﷺ في تلك الحال أمر غير مناسب منه - رضي الله عنه - ومع ذلك ينزل العتاب على النبي ﷺ، وفي ذلك تربية للدعاة إلى الله - تعالى - أن عليهم مراعاة المدعويين وتحمل أخطائهم واستشعار أن التبعة عليهم مهما أخطأ غيرهم.

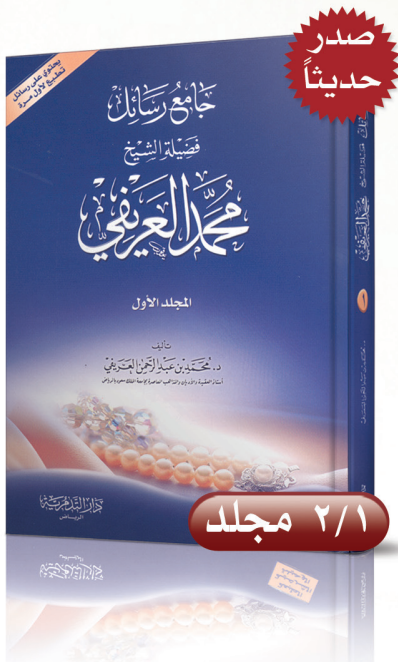
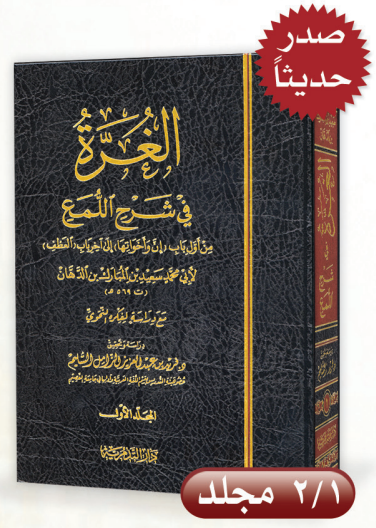
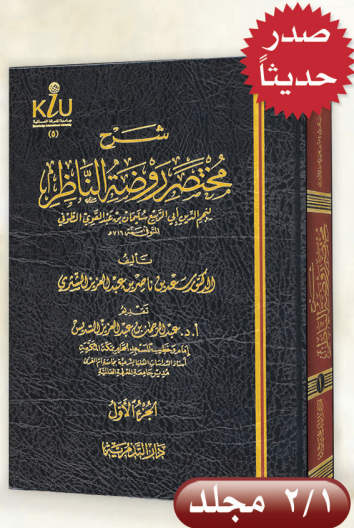
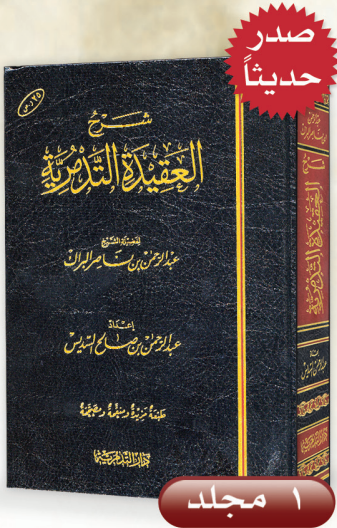
البصيرة الثانية عشرة: ينبغي للداعي إلى الله - تعالى - أن لا يتهرب من الإقرار بالخطأ تمادياً في الباطل؛ بل عليه أن يفرح بالتبنيه على خطئته، وأن يحمّد لصاحبه صنيعه؛ إذ هكذا كان نبينا ﷺ؛ فقد بالغ في إكرام ذلك الأعمى (الذي عوتب من أجله)، ورفع منزلته، وكان يرحّب به كلما رآه، ويقرن ذلك الترحيب بذكرى العتاب إشعاراً منه ﷺ بأهمية العتاب في تصحيح المسار والترقي في الكمال.

البصيرة الثالثة عشرة: ما صدر عنه ﷺ من أفعال مع أعمى لا يراها ومع ذلك ينزل العتاب؛ فكيف بمن يتعرض



دار التدمرية

الجديد
والمخفض
دائماً



الآن

مجموع مؤلفات
وبحوث ورسائل
فضيلة الشيخ
عبد الله محمد الطيار

مجلد ٢٧/١

الرياض - الدائري الشرقي - جنوب مخرج ١٥ مقابل جامع الراجحي
الجديد هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ / ٤٩٢٤٧٠٦ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
بريدة - طريق الشاحنات - حي الصفراء - هاتف: ٣٢٦٢٢٦٢



الأشقاء الفرقاء...

كيف نجعل الأشقاء أصدقاء؟

عبد العزيز مصطفى الشامي(*)

Omarez1973@hotmail.com

مما لا شك فيه أن الأبناء نعمة كبيرة، ومنة عظيمة؛ فقد أخبرنا الله - تبارك وتعالى - في سياق تعداد نعمه على عباده - كما في سورة التوحيد والنعم (سورة النحل) - أنه امتن على الناس بنعمة الأبناء، فقال - سبحانه -: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل: ٧٢]، ولا يعرف مقدار هذه النعمة إلا من حُرِمَ منها.

وإن من شُكِرَ نعمة الولد: حسن توجيهه، والاهتمام به (تغذية وتأديباً وتعليماً)، والاعتناء به في كافة المجالات (إيمانياً، وتربوياً، وجسدياً، ومعنوياً)؛ وذلك حتى تنمو الثمرة محاطة بظلال وارفة من الدفء التربوي؛ الذي يؤدي إلى أن تؤتي الثمرة أكلها بعد نموها واشتداد عودها. عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَوَلَدًا أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ»^(١). وقد كانت القبائل العربية قديماً تحرص على أن تربي أبنائها على أوامر الأخوة وشدة التماسك والتلاحم؛ ولذا كانت تشتد في ما بين أفرادها أسرة الأخوة وقوة العلاقة والتناصر، حتى ربما ينصر الأخ أخاه والقريب قريبه سواء كان ظالماً أو مظلوماً؛ فقد وصف الشاعر العربي ذلك بقوله:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في النائبات على ما قال برهانا

ومن الملاحظ في الأزمان المتأخرة - وهو مما يؤسف له - أن العلاقات الأسرية بصفة عامة والعلاقة بين الأشقاء بصفة خاصة صارت فاترة، خاملة، إن لم تكن في بعض البيوت في حالة موت سريري، تنتظر إعلان القطيعة،



(*) مدقق لغوي وباحث شرعي.

(١) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وضعفه الألباني.

وحلول الجفوة، وانقطاع التواصل.

وصار الولد يجد سلواه وراحته مع صديق له بعيداً عن نطاق الأسرة، يحكي معه، ويروي له، ويفيض بأنواع الحديث، مع أنه في بيته ومع إخوته ووالديه قليل الكلام، بطيء التواصل. وصارت راحة كثير من الشباب تتمثل في الخروج من إطار المنزل بتوجيهاته وتعليماته، وربما صرخاته وعقوباته، والأغرب في ذلك هو الفرار من الأشقاء والاحتماء بالأصدقاء خارج نطاق الأسرة أو معارفها.

والسؤال الآن: لماذا لا يكون الأشقاء أصدقاء؟

وكيف نعيد الدفء بين الأشقاء في بعض المنازل؟

في البداية لا بد من تقرير حقيقة مهمة، ألا وهي: أن إقامة علاقة صداقة بين صديقين ليس بالضرورة سببها البُعد عن الأشقاء أو مشكلات الأسرة؛ وإنما يعود ذلك أولاً لِقَدَرِ الله - تبارك وتعالى - فالأصدقاء رزقٌ، هذا أولاً، وقد يرجع ذلك إلى أسباب أخرى كالمرحلة العمرية للأصدقاء، وظروف الدراسة، أو الارتباط بمحل إقامة معين... إلخ.

ولكن الآباء في بعض الأحيان لا يساعدون في تقوية علاقة الألفة والصداقة بين الأشقاء؛ وذلك عبر بعض الوسائل الهدامة لأواصر الأخوة، ومن ذلك:

١ - حرص بعض الآباء على إرضاء الطفل الأصغر بصفة دائمة، ربما بحجج كثيرة قد يكون بعضها وجيهاً في الظاهر؛ فبعض الآباء يرون أن الابن الأكبر قادر على التحمل من الأصغر، وأن الابن الأصغر قد لا يفهم الأمور كما يفهمها الابن الأكبر؛ لذا يقعون في خطأ يفرق بين الأشقاء بنصرة الأصغر دائماً، وهذا أمر خاطئ؛ فالصواب أن يكون الآباء في جانب الصواب والحق، مع العطف على الصغير، وإعطاء الكبير حقه. وكذا مع الابن من ذوي الاحتياجات الخاصة.

والأصل هو العدل بين الأبناء في الحنو والعطف والمال والقبول... إلخ، حتى لا يطمع الصغير في حق غيره بصفة دائمة، ويكبر على الأثرة، وحب النفس؛ فلا يرى الصواب في الأمور إلا في صفه وصالحه، وأن كل قضاء وحكم ضده فهو غير مقبول؛ وإنما لا بد أن يُربى الأبناء على معاني العدل.

٢ - بعض الآباء يستخدمون بعض الأبناء في أعمال غير مشروعة ضد أشقائهم؛ كالالتبغ، والتلصص، والتجسس عليهم، ونقل الأخبار للآباء، وهو ما يوغر صدور الأشقاء تجاه

بعضهم بعضاً، ويجعلهم يتنافرون ويتقاطعون، بل ربما أبغض أحدهما الآخر، وهذا يعود في سببه الأول إلى أن بعض الآباء يزرعون (بجهلهم) بذور الكراهية بين الأشقاء.

والأصل أن يرعى الآباء أبنائهم، ويبحثوا عنهم في غير تلصص ولا تجسس، ويا لروعة الحل النبوي العظيم، ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، وإذا كنا مدعوين إلى تطبيق هذا الهدي النبوي مع الأعراب، فالأولى أن نطبِّقه على الأبناء والأسرة، لما فيه من صيانة كرامة المخطئ، وتعريفه بخطئه دون تجريح ولا أذى؛ وذلك حتى لا نجعل بعضهم يتجسس على بعض وينقل الأخبار التي تكدر العلاقات، والتي تدفع الشقيق لمقاطعة أخيه؛ لأنه نقل سره لأبيه. فلو امتنع عقلاء الآباء من جعل بعض الأشقاء جواسيس، لربما أوى الشقيق لشقيقه، ولم يتدابرا ويتقاطعا، وكان ذلك دافعاً لتقوية آصرة الأخوة والصداقة بينهما.

٣ - أهمية الاستماع الناقد، وعدم التعجل في التخلص من مشكلات الأبناء؛ فمشكلات الأبناء أمر طبيعي، يتكرر في معظم البيوت، والخلاف ظاهرة صحية إذا أُحسن التعامل معها؛ إلا أن بعض الآباء لا صبر له على تحمُّل مشكلات الأبناء فضلاً عن سماعها؛ فبمجرد شكوى أحد الأشقاء من شقيقه، إلا وتعلو ثورة الأب، ويحمر وجهه، ويرتفع صوته، فيستشعر المظلوم مرارة هضم حقه وضياع فرصته في الاستماع لشكواه، فكثيراً ما تضجر الأم أو يثور الأب لمجرد شكوى أحد أبنائه، ويبادر بالصراخ أو التهديد، حتى ينتهوا عن افتعال تلك المشكلات.

وما أجمل هذا الحديث الرائع الذي يرشدنا إلى الفطنة في عرض المشكلات وأهمية الاستماع الناقد، والحرص على إيضاح أن القضاء الصوري المبني على الظاهر لا يضيع الحقوق في الآخرة؛ فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنْشُدَكَ اللَّهَ إِلَّا فَضَيْتَ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَامَ خَصْمُهُ - وَكَانَ أَفْقَهَ مِنْهُ - فَقَالَ: اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأَذَنْ لِي، قَالَ: قُلْ: قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفاً عَلَى هَذَا...»^(١).

والأصل: أن يحتوي الآباء مشكلات أبنائهم، ويعمِّقون آصرة الأخوة، ويوجهونهم إلى التحابُّ، وأهمية إثارة الأخ،

(١) أخرجه البخاري: ٦٨٥٩.

والفرح له، والسرور بنجاحه، والصبر على عِوَجِ أخلاقه، والتحلي بفضائل الأخلاق، وأن الشقيق لشقيقه صنوان لا يفترقان، وأن الأفضل دائماً غرس أصول التحاب والإيثار بين الأشقاء، وتشجيعهم على ذلك.

٤ - عدم قبول الوشاية بين الأشقاء، وتربية الأبناء على الصدق: فإذا أغلقنا باب استماع ونقل الهفوات، نكون بذلك قد أغلقنا باباً عظيماً من الشر، وينتج عن ذلك أمران:

الأول: تدريب الأبناء على صدق الحديث. والثاني: الابتعاد عن نقل الكلام على سبيل الإفساد. ٥ - عدم تحقير الابن ومقارنته بشقيقه الأفضل منه: فقد يتفوق أحد الأشقاء على الآخر في التعليم أو الأخلاق أو المواهب الفردية، فإذا استخدمنا ذلك في لوم أو تعنيف أو تحقير الابن غير المتفوق بتذكيره دائماً بتفوق شقيقه، وأفضليته عليه.

والأصل أن يعلم الآباء أن الواهب - جل في علاه - نوعٌ أرزاق عباده، ومن ذلك ما نوعٌ به أرزاق الأبناء في مواهبهم الشخصية، وميولهم وقواهم العقلية، ومميزات كل منهم، وأن الواجب على الآباء أن يبحثوا عن مجال تفوق ابنهم وتشجيعه عليه طالما أنه مجال نافع مفيد، منضبط شرعاً، والأفضل أن نكافئ المتميز من الأبناء دون تحقير الآخرين، مع رفع روحه المعنوية عبر تذكيره وتبنيه لبعض المميزات في شخصيته، وذلك له أثر مهم في بناء شخصية الابن أو تحطيمه، وفي تفوق الابن أو رسوبه، وفي ثقته بنفسه أو نكوصه وخموله.

إن الآباء الناجحين ليسوا هم فقط من يكافئون المتفوق من أبنائهم، ويشكرون المجيد منهم، ويثنون بالخير على المتميز منهم؛ وإنما أنجح الآباء وأفضلهم من يرتقي بأبنائه الضعفاء في المستوى العقلي والتحصيلي والضعف الذهني إلى مرحلة متقدمة يعتمدون فيها على أنفسهم، ويستشعرون الثقة في أنفسهم، ويخرجونهم إلى معترك الحياة أقوياء، فالآباء لن يستمروا مع أبنائهم أبد الدهر؛ وإنما الدنيا مراحل وأيام، وطفل اليوم هو أبٌ غداً، وقديماً قالوا: (من جدٌ وجد، ومن غرس حسدًا) (من جدٌ وجد، ومن غرس حسدًا).

٦ - تحية الجانب الإيماني من التربية له مفاصد جمّة: إن الآباء الذين يحرصون على تقليد المدارس الغربية في

قضايا التربية، فيقبلون نهمين على ما تدفعه مطابعهم من كتب ودراسات وأبحاث كتبت في مجال وأشخاص وواقع مغاير لواقع أمتنا، وقد تخالف في بعض الأحيان شريعة ربنا وسنة نبينا ﷺ.

إن تنمية الجانب الإيماني وغرس القيم الإيمانية التي تمس شغاف القلوب له مفعول السحر على قوة العلاقة بين الأفراد في المجتمع المسلم؛ فإذا أحسن الآباء توجيه الأشقاء في الأسرة الواحدة لأحاديث الإخاء والحب في الله: جنوا من ذلك ثماراً طيبة، تؤدي إلى وحدة الأسرة وقوة العلاقة، وشدة الترابط، وحرص الشقيق على شقيقه، فلا تزيد الأيام العلاقة بينهما إلا قوة، ولا تنفصم الرابطة الإيمانية والأسرية بينهما لأسباب تافهة؛ كأن تفرق بينهما امرأة (زوجة أحدهما مثلاً)، أو دنيا زائلة، أو وشاية مغرضة، أو خبر كاذب... إلخ.

٧ - أهمية ترابط الأسرة واتحاد موقف الأب والأم في علاج المشكلات بين الأبناء الأشقاء وكذا في توجيههم، حتى يكون المنهج واحداً لا يختلف باختلاف أدوار الأب والأم، فينمو الأشقاء على حب أحد الوالدين وبُغض الآخر: إن الأسر غير المترابطة (منهجياً، وتربوياً، ومعنوياً، ونفسياً) قد ينشأ من بين أفرادها من يسلك سبيل الانحراف؛ خصوصاً حين تتبع الأسرة أساليب تربية غير صحيحة تعود بآثار سلبية، فقد تكون عملية التنشئة الاجتماعية في الأسرة خاطئة ينقصها تعلم المعايير والأدوار الاجتماعية السليمة والمسؤولية الاجتماعية، أو تقوم على اتجاهات سلبية، مثل التسلط والقسوة والرعاية الزائدة، والتدليل والإهمال والرفض والتفرقة في المعاملة بين الذكور والإناث، وبين الكبار والصغار، وبين الأشقاء وغير الأشقاء، والتذبذب في المعاملة... إلخ.

أيها الآباء! الزموا العدل والقسط بين الأبناء، واحرصوا على تقرب القلوب بين الأبناء، وربوا أبناءكم على أن يفرح الأخ لنجاح وسعادة شقيقه، وأن يعكس نجاح أحد الأبناء بالسعادة والسرور على باقي الأسرة؛ تشجيعاً للمقصر لينجح، ودفعاً للمفترط للتفوق، واحذروا التفرغ واللوم الكثير؛ فإنها أساليب قد تضر أكثر مما تنفع.

أسأل الله أن يبارك لنا في الأهل والولد والمال، وأن يصلح لنا ذريتنا، إنه سميع مجيب.



حملة
أمة واحدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً (المؤمنون: 92)



أمة
نبيها واحد
قبلتها واحدة
لغتها واحدة، كتابها واحد،
ويتهددها خطر واحد

المنظمون

"واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا"

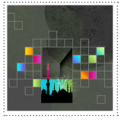
تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت أحاداً
وحدتنا.. قوتنا ونهضتنا.. وعنوان وجودنا

رابطة
الصحافة
الإسلامية



تابعونا ايضاً:

www.ummawaheda.com



أبراليون هؤلاء؟

أ. د. جعفر شيخ إدريس

jsidris@gmail.com

أبراليون هؤلاء؟

نظر إلى الإنسان والعالم، بل إنني تمنيت عندئذٍ أن نأكل كما يأكلون، ونجدُّ كما يجدُّون، ونلعب كما يلعبون، ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون). كيف يمكن أن تتحاور مع إنسان مثل هؤلاء غمس نفسه في بؤرة التقليد والتبعية فلم يعد يرى إلا ما رآه له من اتبعه؟

رأى اللبراليون الزائفون كما رأى الشيعيون من قبلهم أن أكبر عائق يسد على الأمة طريق التبعية هذا هو الإسلام، فأصيبوا كما أصيب الشيعيون من قبلهم بداء عضال يسميه بعض الغربيين (الإسلامفوبيا). تحولت دعوة الشيعيين بسبب هذا المرض من دعوة ذات أساس اقتصادي إلى دعوة همُّها الترويج لثقافة الشارع الغربي الرأسمالي، ثقافة الرقص والغناء والسفور ومعاقرة الخمر، حتى أصبحوا - كما كنا نقول لهم - مجرد وكلاء لثقافة ذلك الشارع الرأسمالي. والذي حملهم على هذا هو أنهم وجدوا أن القيم الإسلامية المعادية لذلك الفجور هي التي كانت من أهم أسباب ابتعاد الشباب عنهم، فأرادوا أن يقولوا للشباب كونوا معنا نحركم من تلك القيود ولا تكونوا مع الإسلاميين الذين أثقلوا كواهلكم بتكاليف المعتقدات والعبادات والحلال والحرام. وما علم المساكين كما لا يعلم إخوانهم المسمَّون اليوم باللبراليين: أنهم إنما يتبعون بذلك طريقاً خطَّه لهم العدو منذ زمان بعيد وحذرهم ربهم

اللبرالية صنفان: صنف أصلي مصنوع في الغرب، وصنف مغشوش يباع في العالم العربي باسم الصنف الأصلي. أصحاب الصنف الأول يبيعون بضاعة هي من صنع أيديهم فتستطيع لذلك أن تتحاور معهم وتدلُّهم على مواطن الخلل في بضاعتهم، وهي كثيرة. وقد يستمعون إليك، وقد يعترفون لك بما في بضاعتهم من عيوب ثم يحاولون تغييرها كما ظلوا يفعلون على مرِّ السنين. لكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك مع مروجي البضاعة المغشوشة؛ لأن بائعيها ليسوا أصلاء؛ وإنما هم مقلدون مزيفون لا يستطيعون ترويج بضاعتهم إلا بتسميتها بالاسم الذي اختاره المصنعون الأصلاء ودافعوا عنه وأعطوا أنفسهم حرية إعادة النظر في بضاعتهم وتعديلها وتبديلها. كيف تتجادل مع إنسان يعترف لك بأن مثله الأعلى أن يتحول إلى أوروبي يأخذ من أوروبا كل شيء حتى الدينان التي في بطون أبنائها كما كان أتاتورك يقول، أو يقول لك: (لكي نكون مثل الأوروبيين، يجب أن نسير في الدرب نفسه الذي ساروا عليه. ونأخذ حضارتهم بما فيها من حلو ومُرٍّ، وخير وشر). كما كان طه حسين يصر، أو يردد ما كان يقوله الدكتور زكي نجيب محمود قبل أن يمنَّ الله عليه بالهداية: (إنه لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بترًا، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علماً وحضارة، ووجهة



منه: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ اتِّهَامًا ﴾ [الأعراف: ٢٧].
﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ﴾ [البقرة: ١٦٩].

إذا كان الشيوعيون في بلادنا كانوا قد صاروا مجرد عملاء لثقافة الشارع الغربي الرأسمالي، فما هكذا كان إخوانهم في البلاد الغربية. لقد كان أولئك يحاربون تلك الثقافة؛ حتى إن ابنة ستالين قالت في كتاب لها: إن والدها كان ينهاها من ارتداء التنانير القصيرة! وكانت تسجيلات بعض الأغاني والموسيقى الغربية كموسيقى الروك أند رول لا تدخل البلاد الشيوعية إلا مهربة. وعندما هيا الله - سبحانه وتعالى - لنا زيارة موسكو بعد سقوط الاتحاد السوفييتي مباشرة، وجدنا نساءهم يرتدين ثياباً هي أكثر حشمة مما رأينا النساء في البلاد الأوروبية والأمريكية يرتدينه. لكننا علمنا بعد أن الأمر تغير بعد أن فتح باب الاتصال بالغرب على مصراعيه.

واللبراليون المزيّفون في بلادنا يكررون الآن مأساة مرض الإسلاموفوبيا مع فارق كبير: هو أن الشيوعيين كانوا بسبب تبعيتهم للاتحاد السوفييتي أعداء للاستعمار الغربي. لكن أصحاب اللبرالية المغشوشة في بلادنا يشيدون بهذا الاستعمار ويرون فيه المنقذ الوحيد لهم من آثار القيم الإسلامية، والقادر وحده على تحقيق لبراليتهم المعادية للإسلام. لقد سمعت - والله - بأذني رجلاً في إحدى دول الخليج كان يتمنى أن تزحف القوات الأمريكية على بلده بعد أن تنهي مهمتها في العراق. ثم عرفت بعد أن ذلك لم يكن موقفاً شاذاً؛ وإنما كان أمراً يجاهر به أصحاب اللبرالية المغشوشة من العرب الساكنين في البلاد الغربية، بل ينظمون مظاهرات تؤيد بوش وتصفق له.

المقلدون من أمثال من يسمون أنفسهم باللبراليين في بلادنا يأخذون عن الغرب مذاهب باطلة لجأ إليها الغرب لظنه أنها تحل مشكلات يواجهها، فيتبنون تلك الفلسفات والمذاهب الباطلة ثم يزيدون الأمر ضِعْفاً على إبالته بمحاولتهم فرضها على بيئته ليس فيها أمثال تلك المشكلات. بعض منتقديهم في

بلادنا - بما فيهم بعض الإسلاميين - يأخذون عليهم هذا الجانب الأخير، أعني جانب محاولتهم لفرض الأفكار والقيم والفلسفات الغربية على بيئته لا تشبه البيئة الغربية التي نشأت فيها تلك الأفكار، لكنهم يهملون بهذا جانباً مهماً: هو أن تلك الأفكار والمعتقدات بما أنها في نفسها باطلة فإنها لا تصلح لا للشرق ولا للغرب. نعم! إنها قد تكون قد أدت من الناحية العملية إلى وضع هو أخف ضرراً من الوضع الذي حلت محله في البلاد الغربية؛ لكن هذا لا يجعلها حقاً أو صواباً.

ثم إنهم لا يكتفون بأخذ المذهب الباطل، بل يحاولون أن يتمصصوا الشخصية الغربية وأن ينظروا إلى الأمور بنظرتها حتى لو لم يكن لتلك النظرة علاقة بالفلسفة أو بالمذهب الذي أخذوه منهم وتبنوه.

البيئته الثالثة التي أصابت هؤلاء المقلدين العمين: أنهم يستوردون بعض المذاهب والأفكار الغربية لحل مشكلات لا وجود لها في العالم الإسلامي. من أحسن الأمثلة على ذلك دعوتهم جميعاً إلى العلمانية التي يسوغ الغربيون لجوءهم إليها بكثره الحروب التي حدثت عندهم بسبب الحكم الديني. كانوا إذا حكمت طائفة منهم (كاثوليكية أو برتستانتيّة) لا تكتفي بسيطرتها السياسية، بل تحاول أن تُكره أصحاب الطوائف الأخرى على تغيير معتقداتهم والدخول معهم في طائفتهم. وهذا شيء لم يحدث في العالم الإسلامي؛ بل إن أهل السنة الذين كانوا مسيطرين سياسياً على معظم العالم الإسلامي لم يجبروا المعتزلة - مثلاً - على تغيير عقائدهم، بل لم يجبروا اليهود والنصارى على تغيير أديانهم. لقد أعطوا خصومهم من حرية العبادة وحرية التصرف في شؤونهم الخاصة ما لا تعطيه العلمانية. ثم إن العلمانية حدثت في أوروبا بموافقة رجال الدين وربما مساعدتهم؛ فلماذا يحاول هؤلاء العمون فرضها على أناس يرونها مضادة لدينهم؟

هذا ما كان من أمر اللبراليين المقلدين؛ فما بال اللبراليين الأصليين؟



أسلمة العلمانية

فهد بن صالح العجلان

Fsalehajlan@hotmail.com

ساعدني - أيها القارئ الكريم - لتخطي التفاصيل الكثيرة التي تثيرها مفردة (الأسلمة)، وأمتع بصرك معي بالمعنى الجميل الذي يبهر الناظرين في جمالية هذه الأسلمة؛ ما أروع انجذاب النفوس إلى دينها وحرصها الشديد على انسجام حياتها مع ما يريده الله منها، إن حضوره العميق يجعل أي سلوك أو منتج مخالف للدين سبباً لإثارة الوخز والتأنيب الذي يشتمل في الضمائر فلا يتوقف إلا بإصلاح هذا السلوك، وهو ما أحيا أي مشاريع تسعى للأسلمة مهما كان اختلافنا في تقويمها.

لم تقف ظاهرة الأسلمة على البحث في مشروعية بعض المنتجات والتغيرات المعاصرة، بل شملت حتى الأفكار والاتجاهات المنحرفة؛ فالصوت الفكري الذي كان يقدم نفسه نداءً للخطاب الإسلامي ويسلك مساراً معاكساً للرؤية الدينية، رجع صدها ليبحث في التراث والنصوص والأقوال الإسلامية عما يسند اتجاهاته لتكون مقبولة لدى الناس، فشملتهم ظاهرة الأسلمة في من شملت، فله در المسلمين أي عظمة للإسلام تسكن في ثنايا نفوسهم.

المثير للانتباه: أن ظاهرة الأسلمة شملت حتى الفكرة العلمانية ذاتها، فالفكر العلماني الذي نشأ منابداً للخيار الإسلامي تحديداً، ما دار عليه الزمان حتى صار العلمانيون يقدمون أنفسهم مجتهدين في فهم النص الشرعي ومستمسكين بتفسير من تفسيراته معتمدين على أقوال المذاهب وفتاوى العلماء.

يعني هذا: أن جمال هذه الأسلمة يجب أن لا يخدع العين عن إبطار أشكال التحريف التي تأتي على الأحكام الشرعية في شايها، بغض النظر عن الدوافع النبيلة التي قد تحركها.

أسلمة العلمانية تأتي على مستويين:

مستوى العلمانية المتطرفة: التي تحتفظ بموقف عدائي تجاه الدين وتشمئز من كافة مظاهر للتدين، فهذه علمانية مكشوفة وغير جذابة، ومحاولة أسلمتها يجعلها غير معادية للإسلام عملية استهلاك رخيصة لا تتجاوز في تأثيرها حدود مساحة التصوير التي تتحرك فيها.

مستوى العلمانية الأقل تطرفاً: وهي التي تتفهم وجود الدين، وتؤمن بضرورة مراعاته مكوناً للمجتمع في ما دون مستوى القانون والإلزام؛ فهو موجود خياراً شخصياً وقيماً محفزة نحو العمل والتنمية؛ لكنه مقصي تماماً عن التأثير على القوانين أو الحريات أو أي تفسير لها.

هذه الدرجة العلمانية هي المفهوم الخطر الذي تسرّبت مفاهيمه لدى بعض الناس من دون أن يشعر، حتى جاءت بعض المحاولات والتفسيرات التي تسعى لأن تجعل مثل هذا التصور العلماني مقبولاً ومفهوماً في التصور الإسلامي، فاندفعت مجموعة من التفسيرات المختلفة التي تسعى لتقديم النظام السياسي الإسلامي بكيفية متلائمة مع هذا التصور العلماني.

من هذه التصورات المؤسّمة للعلمانية:

التصور الأول: أن النظام السياسي في الإسلام جاء بمبادئ

وكليّات عامة ولم يأت بأحكام وتشريعات محدّدة، فالواجب هو تطبيق المبادئ العامة: من العدل والحرية والشورى والمساواة، وأما كيفية ذلك، فهذا مما يُخْتَلَف في تقديره كل عصر.

وهذا تصوّرٌ لذيذ جداً للفكرة العلمانية؛ لأن مشكلتهم مع بعض الأحكام والتفصيلات الشرعية، وأما المبادئ والكليات فمن خاصيتها أنها واسعة ومرنة؛ يمكن الدخول والخروج منها بكلّ اطمئنان، وحين نقول: إن الإسلام جاء بمبادئ ولم يأت بتشريعات. فنهاية هذا الكلام: أن الإسلام لم يأت في النظام السياسي بشيء؛ لأن هذه الكليات موجودة عند كل الأمم والحضارات، ولا يوجد أحد في الدنيا لا يأخذ بهذه المبادئ، غير أن لكل ثقافة تفاصيلها ومحدّداتها لهذه المفاهيم، وحين نلغي الأحكام الشرعية المفصّلة لهذه المبادئ فإننا في الحقيقة قد ألعينا الحكم الإسلامي؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (من استحلّ أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر)^(١)؛ لأنه في الحقيقة لم يأخذ من الإسلام بشيء؛ فالكليات معنى ذهنيّ تجريديّ لا يقوم بدون تفصيلات وتقرّيات.

يقولون: نأخذ بـ (الكليات دون الجزئيات) و بـ (الأصول دون الفروع) أو بـ (المبادئ دون التشريعات) و بـ (المقاصد دون الوسائل)... كلها صيغ مختلفة لإشكالية واحدة، إشكالية إبعاد بعض الأحكام الشرعية عن التأثير، وحين تبتعد الفروع والجزئيات فإن الكليات والمقاصد التي يوتى بها تكون مقاصد وكليات أخرى ليست هي الكليات والمقاصد الشرعية؛ فالمقصد الشرعي والكليّ الشرعي معتمد ومفسّر بجزئياته وفروعه الشرعية^(٢).

لا تقل: هذا حكم جزئيّ أو ظنيّ أو مختلف فيه، فأبداً - والله - لا يمكن أن يهون في قلب مسلم إبعاد أو تحريف أي حكم شرعي لأي سبب كان وهو يقرأ قوله - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

التصور الثاني: أن النظام السياسي في عصر الإسلام كان

يقوم على رابطة دينية مرتبطة بطرف ذلك الزمان، وقد تغير هذا الوضع في عصرنا؛ فأصبحت الرابطة التي تجمع أفراد الناس هي الرابطة الوطنية لا الدينية، وحينها فكافة الأحكام الشرعية المتعلقة بالجانب السياسي هي أحكام تاريخية، ومعها سيتم التخلص من إشكالية حضور الدين في النظام السياسي. وحين نمسك خيوط لوازم هذا القول فلن نصل إلى نهايتها إلا بعد أن نكون قد نكثنا الغزل عن رسالة الإسلام بالكلية؛ لأن بإمكان أي أحد أن يلغي أي حكم شرعي أراد بسبب أن هذا الحكم كان مرتبطاً بطرف زمني قد انتهى، بل حتى الصلاة والزكاة والصيام والحج يمكن أن يقال: إنها عبادات نشأت في ظرف زمني كان الناس فيه بحاجة إلى التعبد بطريقة معيّنة^(٣). فحقيقة هذا القول أنه فرع من تفسير تاريخية النص، الذي يجعل النص الشرعي فاعلاً في مكانه وزمانه وما عاد له وجود في هذا الزمان كما هي رؤية العلمانية المتطرفة.

هذا التفسير يتصور أن الدين كان هو رابطة المسلمين في ذلك الزمن مصادفة وتوافقاً مع الظرف التاريخي ليس إلا؛ فهو في الحقيقة - وإن لم يرد - ينطق بالمفهوم العلماني في جعل الدين علاقة فردية لا تتصل بالسلطة، فحين ارتبطت فإنما كان لظرف زمني معيّن.

لازم هذا الكلام: أن أحكام الشريعة المتعلقة بالكفر والجهاد والحرّيات ونحو هذه المعاني الدينية المحضة، إنما كانت استثناء فرضتها ظروف ذلك الزمان، فهذا يستبطن انتقاصاً لها؛ حيث لم يلتزم بها المسلمون لكمالها وشرفها؛ وإنما لحال زمانهم فقط، وهي تنظر للإسلام بالعين العلمانية التي لا تفقه من مصالحها إلا ما كان متعلقاً بمعيشتها الدنيوية ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، وتتسى في غمرة انبهارها بالنموذج السياسي المادي: أن المصالح الدينية هي الأصل والغاية في رسالة الإسلام تحقيقاً لغاية الله في الخلق ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فمصلحة الدين هي الأصل في الرسالة، وليس استثناء عارضاً جاء لظروف الزمان.

(١) منهاج السنة: ١٣٠/٥.

(٢) ينظر في موقع الجزئيات والفروع من المقاصد: الموافقات للشاطبي: ٢٧٢/٢ - ٣٧٤.

(٣) وقد قيل.



السياسي، وثانياً: لأن الذكاء العلماني مستوعب أن الناس لا يختارون في الفضاء المجرد؛ وإنما يوضع لهم الإطار المقيد الذي يصوتون فيه ولا يخرجون عنه؛ فحين يقوم الإسلاميون بإبعاد الشريعة عن الإلزام إلا بعد اختيار الناس فالذي يحصل هو أن الشريعة لم تعد هي التي تضع الإطار، ليكون من السهل جداً بعدها أن تأتي المنظومة الفكرية الأخرى التي تملأ هذا الإطار الذي يصوت الناس فيه، فيكون إطار التصويت بيد المنظومة الفكرية الليبرالية، وحينها فلن يُعرض الحكم الشرعي - أساساً - على الناس لينظر في اختيارهم؛ لأن الحكم الشرعي سيكون حينها منافياً للحريات والحقوق التي تحكمها المنظومة العلمانية التي وضعت الإطار الذي يحكم اختيار الناس.

هذه بعض التفسيرات المؤسّلة للفكرة العلمانية، تتفق جميعاً على محاولة التلفيق بين النظام السياسي الإسلامي والفلسفة العلمانية، لكنها تصطدم بالأحكام الشرعية الملزمة في النظام السياسي الإسلامي، والأحكام المنبثقة من تصوّر ديني ما عاد محبباً في الثقافة العلمانية المعاصرة، بدلاً من التسليم لهذه الأحكام والانقياد لها وأن يقول المسلم ما أمره الله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، فقد تحوّلت هذه الأحكام لإشكالية لا بد من إعادة قراءتها وفحصها للخروج منها بالهندام اللائق، وعظمة الله في قلب المؤمن تُرعد فرائضه وتُرهّب أركان قلبه من التسامح مع أي تحريف لأي حكم شرعي. والغيورون على دين الله من الدعاة والعاملين لنصرة الإسلام هم أوّل الناس بتعظيم أحكام الإسلام وتقديرها حقّ قدرها، وحين يضيق الواقع ويتعسر الحال في تطبيق أي حكم شرعي فلهم في أحكام الضرورة والحاجة مندوحة عن تحريف أي حكم شرعي؛ فالمتغيرات لها اجتهادها الخاص من دون أن ترجع على المفاهيم والمعاني الشرعية بالتغيير والتحريف.

التصور الثالث: أن الإسلام ليس فيه إلزام وإكراه وإجبار؛

وإنما هو اختيار ورغبة؛ فهو دين دعوة لا قضاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس إلا نصحاً وتذكيراً وليس فيه منع أو إلزام. وتسير معهم في هذا المضمار حتى تصل وإياهم إلى أنه لا وجود للإلزام أو منع منطلق من رؤية دينية، فيتم تخفيض الحكم الإسلامي من خاصية القانون والنظام إلى مستوى النصح والتذكير والدعوة، وهو مستوى يروق جداً للنخب العلمانية لكنه منابذ للشريعة من يقول: «من رأى منك مكرراً فليغيره بيده...» فجعل أوّل درجات التعامل مع المنكرات هو التغيير بالقوة، وليس ثمّ إشكال في تقييد استعمال القوة لتكون بيد السلطة، أو يكون ثمّ ضوابط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لكن هذا كله إن أدى إلى إزالة خاصية المنع والإلزام في النظام السياسي فهو في الحقيقة قماش أسلمة يستر المحفور من العلمانية.

التصور الرابع: لا شك بوجود أحكام متعلقة بالنظام

السياسي غير أن كونها محرّمة أو واجبة لا يجعلها قيد التنفيذ إلا بعد أن يقرها الناس ويختاروها. أما قبل اختيار الناس فلا يتم فرض أي حكم مهما كان؛ ليس لأنه غير شرعي؛ بل لأن الفرض السياسي يحتاج هو إلى مشروعية أخرى، وهي تحديداً لا تكون مستمدة إلا من الناس.

هذا التصور يقوم على اعتبار أن ثمّ مشروعيتين: مشروعية دينية يكون النص هو الذي يفسرها، ومشروعية سياسية تأتي وتُستمد من الناس، وهذه فلسفة منبثة عن الوعي العلماني الذي يعزل الدين عن الحكم السياسي فيجعل مشروعيته منفكة عن المشروعية السياسية، وأما في التصور الإسلامي فليس ثمّ مشروعيتان؛ إنما هي مشروعية واحدة؛ فما حرّمه الله فهو حرام على الفرد والمجتمع، وما أوجبه الله فهو واجب على الفرد والمجتمع، فدور الناس هو تنفيذ الأحكام الشرعية لا في تشريعها ابتداءً. فالمحرمات الشرعية يجب منعها والواجبات الشرعية يجب القيام بها، والمسلم حين يدخل في الإسلام فإنه ضرورة يكون ملتزماً بأن الإسلام هو الذي يحكمه فلا حاجة لأن يسأل أو يبحث معه عن رغبته في حكم الإسلام.

هذا التفسير يثير شهية العلمانيين كثيراً؛ لأنه أولاً: ينطلق من ذات الوعي العلماني الذي يقزّم الحكم الشرعي عن المستوى



الوعد فتح الباري

مرعي بن محمد القرني

ما يسرق الأعلام من أفكاري
مما بصدري تقتفي آثاري
ألا يعدب مؤمناً بالنار
يكفي عزاءً جاء عن إيطار
ذنباً أتاك بهيئة استغفار
توحي إليك بأن فضلك جار
والأهل كوكبة من الأخيار
مهما تغشاهما من الأكرار
ليلاً فقلت: أميته بنهاري
أدركت أني في يد الأقدار
أصل وفصل، وانتظار قطار؟
جيش العدو على سقوف الدار
نور تفتق من لهيب النار
تتفرقوا، والوعد فتخ الباري
يسقي كؤوس الخمر للكفار
وثقرب الأسرار لسمار
ماكل من قرأ الصحائف قار
حتى يسير على هداه الساري
سبقت حديث اللغو والأوزار
ألقي عليها بردة الأحرار

ما كنت أحسب أن من أشعاري
حتى رأيت بأم عيني جملة
يا هذه! قد كنت أدعو خالقي
المؤمنون وإن تحدر ماؤهم
والمؤمن الحق الذي إن جئته
وأراك من خلق الكرام سجيّة
لا يفتك السيف الصقيل بأهله
للحب أفئدة تضوع بنشره
عبثاً رأيت السم أحيائية
حتى إذا اتخذ العروق مسالكاً
يا مسلمون! أليس يجمع بينكم
إنني أحدثكم حديث مشاهد
ولوحد الصفا الأصيل أمانا
فتمسكوا بالعروة الوثقى ولا
لا تبلغ الأحقاد منكم مبلغاً
فالفجر من فجر، وتشرق شمسُه
والناس تقرأ ما أقول وإنما
والحمد لله المتمدّم لنوره
ولرب قافية ننظم سيرنا
جادت بطلعتها قريحة شاعر



في حوار مع البيان

المؤرّخ الإسلامي

الدكتور عبد الحليم عويس يحذر:

الاختراق الإسرائيلي للعالم الإسلامي يهدد هويته ومستقبله؛ فمتى نتحرك؟

الميزانيات المخصصة للحملات التنصيرية تفوق ميزانية دول النفط مجتمعة.

حوار: جمال سالم

Gamalsalem5@yahoo.com

مع مطلع شهر إبريل عام ٢٠١١م أصدر الرئيس السوداني عمر البشير، قراراً بمنح وسام العلم والأدب والفنون - وهو أرفع وسام في الجمهورية السودانية، ولا يُعطى إلا للشخصيات التي أثرت في الحضارة الإنسانية - للمفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس (أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية) على ما قدمه طوال سنين عمره للأمة العربية والإسلامية. وجاء في نص قرار البشير: أن الوسام يُعدّ تسجيلاً صادقاً لجهده وعطائه المتصل في تفسير القرآن الكريم للنشء، ولبحثه المستمر في العلوم الإسلامية، وعرفاناً لدوره المتميز في كل المحافل الإقليمية والدولية بالحجة والقلم. هذا وقد جاء القرار في ظل ظروف صحية بالغة الصعوبة وهو ما خفف من آلامه الجسدية والنفسية.

هو الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، من موالى ١٩٤٣م بمصر، حصل على ليسانس من كلية دار العلوم عام ١٩٦٨م، وعلى الماجستير عام ١٩٧٣م، وعلى الدكتوراه عام ١٩٧٨م وكانت في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

عمل أستاذاً بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سبعة عشر عاماً، وفيها وصل إلى الأستاذية سنة ١٩٩٠م. درّس في كثير من جامعات العالم الإسلامي. كما ناقش وأشرف على عشرات من رسائل الماجستير والدكتوراه - بل المنات منهما - في كثير من تلك الجامعات، وانتُدب أستاذاً في جامعة الزقازيق بمصر، وبالجامعة الدولية بأمريكا اللاتينية، وهو عضو مجلس أمنائها. وعمل نائباً لرئيس جامعة روتردام الإسلامية بهولندا، وعمل مستشاراً لرابطة الجامعات الإسلامية.

أنجز الدكتور عويس كثيراً من الموسوعات العلمية الكبيرة؛ منها: موسوعة في الفقه الإسلامي، وتفسير القرآن للناشئين، كما أشرف وأسهم في كتابة موسوعات في التاريخ، وتاريخ الإدارة، والحضارة الإسلامية. وهو صاحب أكثر من مائة مرجع وكتاب ويبحث علمي في التاريخ والحضارة والثقافة والعلوم الإسلامية، إضافة إلى مئات المقالات والبحوث المنشورة.

وهو كذلك عضو اتحاد كتّاب مصر، وخبير بمجمع فقهاء الشريعة بأمريكا، وعضو نقابة الصحفيين المصرية، وعضو اتحاد المؤرخين العرب، ونائب رئيس جمعية رابطة الأدب الإسلامي بالقاهرة.

قال في نص الحوار مع مؤرخنا الإسلامي:



البيان: يعتقد كثير من أعداء أمتنا أننا يجب أن نحارب الناس حتى نرغمهم على عقيدتنا؛ بمعنى آخر هو ادّعاؤهم استخدام السيف لدعوة البشر للدخول في دين الله؟

د. عبد الحلیم: هذا الادّعاء كاذب، وخير شاهد على ذلك هو التاريخ نفسه؛ حيث توجد أقليات غير إسلامية عاشت ولا تزال تعيش أطيب حياة في كل البلاد الإسلامية، ومع ذلك لم يسجل التاريخ حالة غضب واحدة لغير مسلم لإجباره على الدخول في الإسلام إلا حالات فردية قام بها بعض الجهلاء ويرفضها الإسلام؛ بل إنك ترى أن الإرهاب العقدي يأتي من داخل الكنيسة نفسها، وما حدث بوفاء قسطنطين وكاميليا شحاته في مصر عنا ببعيد.

وأيضاً شهد التاريخ أن التسامح كان صيغة أصيلة في كل سلوكنا وأحوالنا مع أهل الذمة قبل أهل الملة، وما هو قول ربنا - تعالى -: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، ويقول أيضاً: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وثمة عشرات الآيات التي تبين وتبرهن على الطبيعة السمحة للمنهج الإسلامي في التعامل مع العقائد الأخرى؛ فإن ما بيننا وبين العقائد الأخرى في الأرض قديماً وحديثاً، إنما هو تعايش مسالم من جانبنا.

البيان: شهدت العصور الحديثة خلافاً في موازين القوى في العالم، وللأسف احتل المسلمون مكانة متأخرة فيها؛ فما أسباب ذلك من وجهة نظركم؟

د. عبد الحلیم: من أهم أسباب ما ذكرت: أن أهمل المسلمون الأخذ بأسباب القوة المادية والفكرية، والركون إلى الدعة والسكون، والاعتماد الخاطئ على المفاهيم المغلوطة في حق دينهم؛ فأصبح الزهد توكالفاً، وأصبح القرآن لا يجاوز حناجرهم، وأخذوا ببعضه وتركوا بعضه الآخر، وانفصلوا حضارياً عن عصور تألّفهم ومجدهم، فُسأل: هل يركنون إلى العقل أم إلى الوحي؟ وكأن العقل والوحي ضدان لا يجتمعان، وتفشت أمراض كثيرة حول هذا الموضوع ومن هذا القبيل. ففوجئ المسلمون في القرن الثامن عشر بأنهم في آخر السُّلم الحضاري، وبأن عصر السيف والرمح قد ولى، وحل مكانة عصر المدفع والقنبلة والذرة.

البيان: وما النتائج المترتبة على ذلك؟

د. عبد الحلیم: أخذ المسلمون موقع المدافع، بعد أن كانوا قادة الأرض؛ يُنصرون بالرعب مسيرة شهر في شخص نبيهم ﷺ، فأجهز عليهم عدوهم بكل ثقله، مُستخدماً كل الوسائل غير الشريفة، وأفاق المسلمون على أخطاء داهمة: من تنصير لا يحاور بالحجة؛ وإنما بالمدفع الاستعماري، ومن يهودية تتعاون مع التنصير في هذا الغزو وتقتسم معه الأسلاب والمغانم، ومن شيوعية جدلية لا تقل عنهما خبثاً ولا سفكاً لدماء المسلمين، وتهجماً على عقائدهم، ومن وثنيات وفوضويات تحاول بدورها أن تغزو التراث الإسلامي بكل الصور والأشكال.

البيان: تؤكّدون أنه منذ ظهور الإسلام، فقد أخذ موقفاً مشرفاً من النصرانية، لم يشترك فيه دين غيره؛ فهلاً وضحت لنا أكثر؟

د. عبد الحلیم: هذه بديهية من بديهيات التاريخ لا تحتاج إلى كثير من الأدلة، وحسبنا أن نستشهد في هذا المجال بالكلمة التي ألقاها «أنريكي تراتكون» (مطران مدريد، ورئيس أساقفة إسبانيا) في مناسبة افتتاح ندوة للحوار الإسلامي والمسيحي بمadrid، حيث قال: إن علينا نحن المسيحيين أن نعترف بالانصراف الذي نشعر به إزاء المكانة التي يحتلها عيسى وأمه مريم - عليهما السلام - في الإسلام؛ فهناك كثير من النصوص القرآنية التي تسمي عيسى مسيحاً ورسولاً لله وكلمته: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمْنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٧١]، وتؤكد بكاره مريم وقداستها: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، وتوصي بمعاملة المسيحيين معاملة أخوية محترمة.

وأنه لمن العدل الاعتراف بأن الإسلام هو بلا ريب الدين الوحيد غير المسيحي الذي يعظم المسيح تعظيماً كبيراً.

ولعل أنريكي لا يدري أن هذا جزء أساسي من ديننا نؤمن به: ﴿أَمَّنِ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كُفْرَهُ وَكُتِبَ عَلَيْهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ونعتبر أي مساس بشخص عيسى وأمه - عليهما السلام - إنما هو كفر بالله والإسلام مثل الكفر بمحمد ﷺ، وسارت شعوبنا الإسلامية في هذا الجانب نظيفة مطيعة لربها ملتزمة بتعاليم دينها وإسلامها.

مقارنة بيننا وبينهم

البيان: إذا عقدنا مقارنة بين حال الأقليات غير الإسلامية في الدول الإسلامية، وأقلياتنا الإسلامية في الدول غير الإسلامية، فكيف ستكون النتيجة في رأيكم؟

د. عبد الحلیم: لقد عاشت الأقليات المسيحية في المجتمعات الإسلامية على نحو أرقى بكثير من حياة الأقليات المسلمة التي كثيراً ما تُضطَّهَد بأبشع صور الاضطهاد؛ فعُقدت لها محاكم تفتيش في المجتمعات المسيحية، بل إنه لا وجه للمقارنة أصلاً، وهي الصورة نفسها بين تعاملنا مع شخص نبي الله عيسى - عليه السلام - وبين معاملتهم لشخص نبينا ﷺ؛ فالمسيح في ديننا لا نحتاج إلى الكلام فيه، فالكلم يعلم مكانته في ديننا وقلوبنا. أما هم فقد أساء المستشرقون بصورة متعمدة، والغريب أن هؤلاء من رجال الكنيسة، ولقد ذكروا مغالطاتهم العلمية والفكرية والمعلوماتية عن الحبيب ﷺ، وهي التي روجوا لها وخذعوا بها الإنسان الأوروبي قرناً طويلاً.

البيان: قد يقول قائل: هذا كان في العصور السابقة؛ فماذا عن الوضع في العصر الحديث؟

د. عبد الحلیم: في العصر الحديث، ومع انحسار دور الكنيسة الروحية في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، وانتهزامها التام في روسيا والصين ودول الكتل الشرقية التي كانت المسيحية هي السائدة فيها، مع أن الكنيسة قد غُلبت على أمرها في مواقعها الحيوية والأساسية، فإنها ما زالت متشبثة بالحروب الدائمة ضد الإسلام؛ سواء في

مجال الفكر أو الحركة، وهي في ذلك تضع أيديها في أيدي الاستعمار الحديث، ولعلها صورت له أنها هي الستار الواقعي لمنع الزحف الإسلامي الذي من شأنه أن يحول دون تحقيق الأطماع الاستعمارية في إفريقيا وآسيا، والذي يمكن كما تتصور الكنيسة أن يهدد أوروبا وأمريكا.

المسيحية الصهيونية

البيان: وماذا عن المسيحية الصهيونية ومعاداتها للإسلام؟

د. عبد الحلیم: تواطؤ الكنيسة مع الصهيونية ضد الإسلام في أمريكا وأوروبا وإفريقيا وآسيا لا يحتاج إلى برهان، برغم أن اليهود هم أكثر من أساؤوا إلى المسيحية، وإلى المسيح، عليه السلام؛ لكنها السياسة - يا صاحبي - هي التي تجعل أصحابها ينسون تحت ظلالها بعض أساسيات الدين؛ وصولاً للمصلحة المرجوة من وراء تلك التحالفات الشيطانية.

ثم تطورت الأمور بين المسيحية والإسلام إلى ما هو أكثر من الحروب العابرة، والاتفاقات مع أعداء الإسلام وأعداء الأديان كلها ضد الإسلام، فتطورت الأمور إلى ما هو أكثر من ذلك، فأعلنت الكنيسة في العصر الحديث حرباً عالمية شاملة على الإسلام راغبة في التخلص منه إلى الأبد (كما يخيل لها).

البيان: ما هي الأسباب التي تلجأ إليها الكنيسة في حربها على الإسلام رغم زعمها أنها تتحاور معه؟

د. عبد الحلیم: تلجأ الكنيسة في حربها مع الإسلام إلى الأسلوب السياسي (والميكيا فيللي) المعروف؛ فهي تستغل كل

الوسائل المشروعة وغير المشروعة ضد الإسلام، كما أنها أيضاً مُستعدة أن تتعاون حتى مع الشيطان ضد الإسلام. ومع أننا نرى «إعلانات بابوية» متكررة عن ضرورة الحوار بين المسيحية والإسلام، إلا أننا لم نر - ولو لحظة - هدنة واحدة في حرب الكنيسة العالمية ضد الإسلام؛ حتى باتت ضرباتها الآن في قلب العالم الإسلامي ورمز الإشعاع الروحي للمسلمين، فتري أن مخالب الغزو التطويقي الذي دخل القرن الإفريقي كالصومال وجنوب السودان الذي اشتره التنصير الفاتيكاني في صفقة من أغرب الصفقات في التاريخ، كما أن أكثر الخطوط تعرضاً الآن لهذا الدمار الكنسي هو خط الفلبين وتايلاند وإندونيسيا في آسيا وخط نيجيريا، ومصر في إفريقيا.

التفسير التاريخي

البيان: هل ثمة تفسير تاريخي لتلك الحملات التنصيرية في قلب عالمنا الإسلامي؟

د. عبد الحلیم: بالتأكيد! لقد كان ارتداد فلول الصليبيين منهزمة أمام جيوش المسلمين في الحروب الصليبية باعثاً على التفكير في وسيلة أخرى للقضاء على المسلمين؛ ما دام الصدام المباشر والمسلح لم يفلح في الإجهاد على هذه الأمة؛ بل كان في أكثر الأحيان باعثاً على وحدتها وإظهار معدنها الأصيل.

ولقد عُقدت مؤتمرات عدة، ودار جدل جديد حول الأسلوب الجديد الذي يصلح اتباعه للقضاء على الغارة الإسلامية والعالم الإسلامي... ثم تمخضت هذه المؤتمرات وهذا الجدل عن

الإيمان بمعادلة بسيطة واضحة:

«إذا كان هدف الغرب هو القضاء على المسلمين، فلا بد من القضاء على الإسلام ذاته، وقوته السياسية والمعنوية؛ فالإسلام هو الطاقة المحركة للعالم الإسلامي، وبضربه لن تبقى لهم قوة ولا منعة، وسيكون وقتها فراغ يمكن ملؤه بأي طاقات أخرى: كالمسيحية أو الشيوعية».

وكانت هذه المعادلة هي المنهج الذي سار عليه الغرب منذ هزيمة وارثاد الجيوش الصليبية وحتى اليوم، ولم يكن تصادمه المباشر مع المسلمين في القرنين التاسع عشر والعشرين إلا مرحلة تأكيدية للقضاء على الإسلام، وعلى قوته السياسية والمعنوية، على أنه في نفس مرحلة الاستعمار العسكري هذه كان يستغل انتصاراته التي كان يطوق بها العالم الإسلامي من أطرافه فيتبعها فوراً بمخطط تنصيري يقضي به على ما يكون قد بقي لدى المسلمين من طاقة إسلامية محرّكة.

أريد أن أقول: إن إستراتيجية الغرب قد تبلورت فلم تعد هجوماً مباشراً على المسلمين؛ لأن المسلمين حتى في الحروب التي هُزموا فيها عسكرياً على يد الاستعمار كانوا يعودون بالإسلام أقوىاء من جديد.

ويجب إعلام الجميع أن الميزانيات المخصصة للحملة التصيرية تفوق ميزانية دول النفط مجتمعة؛ فعن آخر الإحصائيات الخاصة بالتنصير، وكما ورد عن مصادر كنسية موثقة أن هناك ارتفاعاً شديداً ومكثفاً في أعداد المؤسسات والهيئات التصيرية العاملة في العالم الإسلامي وأن عدد مؤسسات التنصير في العالم بلغ حوالي ربع مليون

مؤسسة تنصيرية، تمتلك أكثر من مائة مليون جهاز كمبيوتر وأكثر من ٣٥ شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى، وتصدر مئات الآلاف من الكتب والصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية بأكثر من ١٥٠ لغة، وكلها تخدم التنصير وهناك ٥٠٠ قناة فضائية وأرضية جديدة، كما أن هناك حوالي ١٠٠ ألف مركز ومعهد يتولى تدريب وتأهيل المنصرين على مستوى العالم الإسلامي.

نماذج صارخة

البيبا: هلاً أوردنا للقارئ الكريم نموذجاً من نماذج التنصير والتبشير الصارخة في العالم الإسلامي؛ ليقف على حجم الخطر الحقيقي المحدق بالأمّة والإسلام؟

د. عبد الحليم: نكتفي بنقل تقرير سري أصدرته إرساليات التنصير البروتستانتية في جنوب شرق آسيا، ذكرت فيه ما نصه: «إن ما ينفق على التنصير سنوياً في إندونيسيا يزيد عن ٣٥٠ مليون دولار، منها ٥٠ مليون دولار لأعمال التنصير الإعلامية وحدها».

كما تُقدّم هيئة المعونات الكاثوليكية ستة ملايين دولار سنوياً إلى حكومة إندونيسيا لمساعدة قطاع الإنماء القروي. وتقوم إحدى الهيئات التصيرية الأجنبية في إندونيسيا بتقديم المعونات الغذائية إلى ٣٢٠ ألف شخص من مختلف أنحاء إندونيسيا ينتمون إلى مختلف دور الأيتام والمؤسسات الصحية وملاجئ العجزة بجاكرتا. كما تقوم هيئة تبشيرية بروتستانتية بتقديم المعونات الغذائية إلى ٣١ ألف شخص في مختلف أنحاء

إندونيسيا، كما أنها تقوم بتقديم معونات طارئة عند الحاجة بالإضافة إلى مئات المشروعات القروية للإنماء؛ لترقية مستوى إنتاج المواد الغالية جداً؛ فلماذا كل هذا في نظرك؟

أما المؤسسة التصيرية العاملة في أيربان الغربية فهي تمتلك ٧١ طائرة، فضلاً عن شبكة اتصالات لاسلكية من أعلى الشبكات تقدماً في العالم؛ كما تمتلك خمسة مطارات، وتقف هذه المؤسسة بكل كياناتها وإمكاناتها وراء الحركة الانفصالية التي تستهدف فصل أيربان الغربية عن إندونيسيا وإقامة دولة نصرانية مستقلة عن إندونيسيا المسلمة.

وفي قطاع الشؤون التعليمية تقوم مؤسسة «مونفورث فاذر» ببناء المدارس العامة، والمدارس المهنية، ومدارس التمريض، والعيادات، والصيديات في كل من سنتاخ وبينومارتينوس وبوتوس سيبا وسيغرام وبنغهابينا وبيكا وسراواي. وفي قطاع ملاجئ الأيتام تقوم المؤسسات التبشيرية الكبرى بتقديم المساعدات الغذائية والملابس لمئات الملاجئ الأيتام هناك، كما تقوم بتقديم البرامج والمساعدات التقنية، وتقديم المواد الغذائية والملابس والأدوية لمنكوبي الكوارث الطبيعية واللاجئين والفقراء في مناطق إستراتيجية للتنصير.

أما في ميدان النشر والشؤون التعليمية فتقوم مؤسسة تنصيرية متخصصة مركزها جاكرتا ولها فروع أخرى بنشر كثير من الكتب سنوياً في مختلف الموضوعات الثقافية والفلسفية والدينية.

كما تقوم المؤسسة بتسهيل تعليم الشؤون الفنية الخاصة بنشر الكتب

الدينية ويمتلك المنصرون مطابع متخصصة في طبع الأناجيل وبيعها بأقل سعر أو مجاناً، وفي قطاع المكتبات تتصدر عمارة دار النشر المسيحية بجاكرتا مكتبات دور النشر التصيرية، وفي ميدان الصحافة يملك التصوير صحيفتي كومبارس وأسنيارهابان اللتين تطبعان يومياً زهاء ٢٠٠ ألف نسخة، هذا فضلاً عن ملكية التصوير في سومطرا لمستشفيات ومطابع على مساحة تقدر - تقريباً - بأربعة آلاف هكتار، وأسطولاً من السفن، وطائرات، وزوارق سريعة جداً، وسيارات ودراجات بخارية، وغير ذلك مما قد يحتاجونه في تضليل المسلمين وجذبهم إلى النصرانية؛ وخاصة في ظل صمت وغياب من الدول الإسلامية.

الوجود الإسرائيلي في إفريقيا

البيان: ما هي الأهداف السياسية للوجود الإسرائيلي في إفريقيا؟

د. عبد الحليم: تسعى إسرائيل لتحقيق كثير من الأهداف الإستراتيجية التي يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولاً: السعي لتحقيق متطلبات الأمن الإسرائيلي في جوهره: فلقد رأى الإسرائيليون بزعمهم أن خطر الاعتداء يحيط بهم ويحاك ضدهم من جراء إحاطة العرب لهم؛ وأنهم في «جيتو» على شكل دولة؛ ولهذا عملوا على خرق الجيتو بالضغط نحو الطريق خارج حدود الجيتو المزعوم والالتفات نحو العرب باعتبارهم عناصر هذا الحصار، وكان ذلك يعني النزوع إلى توزيع ما أطلقوا عليه «المجال الإستراتيجي الحيوي». وتعدّ إفريقيا دائماً هي أهم أقطاب هذا المجال الإستراتيجي الحيوي. وتم ترجمتها في إستراتيجية تعزيز الوجود الإسرائيلي في إفريقيا؛ لأن إسرائيل تسعى دائماً إلى ما يسمى «بالأمن المطلق» والذي يعني في المقابل «انعدام الأمن» بالنسبة للدول العربية وما يرتبط بذلك من ضرورة

التحكم في المنطقة، من خلال مجموعة من الآليات، من أهمها: خلق علاقات ودية مع الدول الإفريقية، والوجود العسكري في بعض المناطق. ومن هنا كانت المحاولات الإسرائيلية للحيلولة دون أن يصبح البحر الأحمر بحيرة عربية، وضمن هجرة اليهود الأفارقة إلى إسرائيل.

ثانياً: كسر حد العزلة الدولية التي فرضتها عليها الدول العربية، ومحاولة كسب قواعد للتأييد والمساندة، وإضفاء نوع من الشرعية السياسية عليها في الساحة الدولية. وفي هذا الإطار نظرت إسرائيل إلى الساحة الإفريقية باعتبارها ساحة للنزال بينها وبين العرب.

ثالثاً: كسب تأييد الدول الإفريقية من أجل تسوية الصراع العربي الإسرائيلي وفقاً للرؤية الإسرائيلية باعتبار أن الدول الإفريقية بعيدة عن أي انحياز سابق لأي من الطرفين، وهو ما يجعلها وسيطاً مقبولاً لدى إسرائيل.



والبيئة التي سيدعو الناس فيها، ومعرفة الأمثال الواردة في القرآن والسنة عن الدعوة، واستغلالها بأحسن صورها لجذب المسلمين وإعادة تمهم إلى دين ربهم الحنيف.

• محاولة التغلب على العقبات التي تقابلنا في الدعوة؛ خاصة مع الأوروبيين.

• ضرورة التعامل الذكي والحذر في الرد على الشبهات التي يطلقها الأعداء ضد الإسلام كـ (المرأة، والرق، وعدم المساواة، وإكراه الناس في دخول الإسلام، وربط الإرهاب بالإسلام، والتخلف والرجعية، والبعد عن التحضر والتمدن، وإقصاء الآخر)، وغيرها من الشبهات التي تجدها موجودة في أعدائنا ويربطونها بنا ظلماً وجوراً وعدواناً.

• الثقافة الأوروبية، ثقافة استعلاء، والمسيحية دين الطبقة العليا، والدين لا يعرفه إلا القساوسة، فعلى أن نوجد جيلاً يستطيع التعامل مع مثل هؤلاء، في مثل هذه الظروف.

• تقديم الخدمات التعليمية والصحية والغذائية والمياه للفقراء والمحتاجين؛ على الأقل في بلاد الإسلام؛ لنقطع الطريق على المبشرين والمنصرين والإرساليات التبشيرية. يجب أن تقودنا الفطرة السليمة المشبعة بالروح الإسلامية لدعوة الذين يتقبلون الرسالة، ولا نتوقف على إفهام المسلمين دينهم فحسب.

• ضرورة تفهم ثقافات ونظام الآخرين، والفرق في دعوتهم، وتحويلهم خطوة خطوة ليفهموا الثقافة الإسلامية، وضرورة التأثير عليهم من داخل أطرهم الثقافية.



العسكرية؛ ولكنها تستتر في ثوبها الجديد، وتتقلد أسلحة جديدة ألا وهي محاولة التشكيك في التراث الإسلامي وقيمه، وتفريغها من محتوياته الإنسانية والحضارية، كما أنها تحاول الطعن في رموز التيار الإسلامي والعربي، والغمز في رجاله من خلال مواقف وسقطات بسيطة؛ جدواً في تضخيمها وتهويلها وهو ما يريحهم ويشرح صدورهم ويحقق مآربهم.

وللأسف فإنك تجد أن في بلادنا الإسلامية من يساعدهم في تحقيق أهدافهم؛ فتجد من يريد منع جمع الزكاة، وإيقاف العمل الخيري التطوعي، وإيهام المسلمين أن مالهم يذهب في غير محله إلى الإرهاب وقتل الناس، وتجد فضائيات عربية - وللأسف إسلامية - ترهب الناس من الإنفاق في سبيل الله؛ على الرغم من جميع ميزانيات كل الجمعيات الخيرية في دولة كمصر - مثلاً - لا تصل إلى ميزانية أقل مؤسسة تنصيرية عربية.

المطلوب:

- إيجاد دعاة ملتزمين بتعاليم الدين الإسلامي، فاهمين ومطبقين لما جاء في القرآن، وعلى سيرة الرسول ﷺ ونهجه سائرهم.
- ضرورة دراسة معرفة القبيلة

رابعاً: العمل على تحقيق أهداف أيديولوجية توراتية خاصة بتقديم إسرائيل على أنها دولة نموذجية لشعب الله المختار، ويفسر ذلك أن إسرائيل اعتمدت دائماً على تقديم المساعدات التقنية والتنمية للدول الإفريقية حتى في حالة عدم وجود علاقات دبلوماسية معها. ويعد مركز التعاون الدولي في وزارة الخارجية «الموشاف» الذي يرأسه نائب وزير الخارجية، هو الجهاز المسؤول عن تصميم وتنفيذ سياسات التعاون مع الدول الإفريقية، وكان «الموشاف» من وسائل الاتصال السياسية مع كبار المسؤولين في الدول الإفريقية، وعلى الرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية كما حدث مع كينيا وزامبيا وتنزانيا وأثيوبيا؛ حيث كانت العلاقات الاقتصادية والفنية أكثر قوة من العلاقات السياسية.

التصدي للتصير

البيان: كيف نتصدى لهذه الحملات التنصيرية الكثيرة على طول العالم الإسلامي؟

د. عبد الحليم: لا بد أن تكون لدينا صحوه وبقظة إلى تلك الحملات التنصيرية المنظمة على جميع أنحاء العالم الإسلامي، التي لا يقل خطرها وشراستها عن الحملات الصليبية

البناء العلمي لطالب العلم

أحمد بن رمضان مقرم النهدي

Rmdan402@hotmail.com

مقدمة الموضوع:

يحب الإنسان رفع الجهل عن نفسه، وحبَّ الاستطلاع وإضافة الجديد من المعلومات والمعارف إلى خزينته الذهنية في شتى أمور الحياة ومناحيها؛ ولا سيما في أمور دينه وأحكام عباداته وأصول عقيدته الإسلامية، وهو شرف عظيم؛ فطالب العلم أمرٌ بالازدياد منه كما في القرآن الكريم.

ومع ذلك الشرف وتلك الرغبة العظيمة، ينبغي ألا تأخذنا كثرة ما تنتجه المطابع والمؤسسات الصوتية من كتب وأشرطة متنوعة، ولا بد من الإحاطة بالعلم أولاً بمعرفة مبادئه، وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «العلم كثير ولن تعيه قلوبكم، فأتبعوا أحسنه».

وقد قال ابن خلدون - رحمه الله - في مقدمته

(*) باحث متتبع لشؤون التأصيل العلمي والثقافي.

الشهيرة: «... وذلك أن الحدق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله، واستبطان فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحدق في ذلك الفن المتداول حاصلًا». وقال الشاعر:

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه

حِمْلٌ فَأَبْصُرْ أَيَّ شَيْءٍ تَحْمِلُ

وإذا علمت بأنه متفاضلٌ

فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

إن أمتنا الإسلامية تمر بمنعطف فكري عقدي في المقام الأول، وحملة لواء الشريعة والعلم لا بد أن يُبْنَى بناءً علمياً أصيلاً متكاملًا في شتى المناحي، كما أن النوازل والتقنية المعلوماتية في هذا العصر غدت متتابعة ومسيطر على العالم؛ فلم تعد المسألة مسألة تأصيل علمي بجمع المعارف والحفظ وإنهاء الكتب فحسب، بقدر ما هو إدراك لمتطلبات العصر. وبين هذا وذاك، من التراث الأصيل والعلم المعاصر، كان لنا هذا التحقيق الذي سعينا فيه إلى الإحاطة قدر الإمكان بكل ما يتعلق بالبناء العلمي، مع متخصصين في هذا الشأن على مدى حقب من الزمن، ومعتين ببناء الطلبة أكاديمياً وتعليمياً في المساجد.

وضيوف التحقيق هم على الترتيب الأبجدي:

د. أحمد الحارث البزوي الضاوي - المغرب.

د. زغلول راغب النجار - مصر.

د. عبد الله بن مبارك آل سيف - السعودية.

د. عبد الله وكيل الشيخ - السعودية.

الشيخ فهد بن عبد الرحمن العيبان - السعودية.

د. محمد المختار محمد المهدي - مصر.

جاءت مسارات التحقيق بشكل عام على محاور، وأولها

بدايات ومقدمات ومنطلقات عامة في مسيرة البناء:

وافتحنا تحقيقنا على بركة الله - تعالى - بسؤال عميق

تمهيدي، وهو: هل تنمية التفكير والبناء العلمي كان لها تاريخ

في العصور القديمة، وما مظاهره والأمثلة عليه؟ وقد ذكر لنا

المشايع إجابات مستفيضة على هذا السؤال وعلى غيره كذلك، لا يتسع المقام لذكرها^(١)، فذكر د. عبد الله مبارك آل سيف (الأستاذ المشارك بكلية الشريعة بالرياض) ما كان في العصر الجاهلي والعصور الإغريقية، وكيف كان النبي ﷺ يبيّن أذهان الصحابة بإثارة الأسئلة بينهم، حتى أصبح الصحابة ينشئون المدارس، ويفترضون افتراضات فقهية لا زلنا نستفيد منها حتى يومنا.

وقد أفاض معنا د. أحمد الحارث البزوي الضاوي (وهو أستاذ التعليم العالي بجامعة شعيب الدكالي الجديدة) إفاضة بعيدة بديعة جداً، وتاريخية فكرية عميقة تستحق أن تُبَحَث وتُدْرَس وتُتَشَرَّف في مؤلّف لطيف أو تُتَشَرَّف وحدها موضوعاً مستقلاً؛ إذ تطرق فيها إلى الحقائق القرآنية والنبوية، وعرّج على النظرة الداروينية ومفسدتها للعقول البشرية، وللمنهجية العلمية الأصيلة، ولكن يمكن أن ننتمي منها ما يلي حيث قال: إننا لو قلبنا المسألة فإن هذا الأمر من صميم نقل الخبرات إلى الأجيال الصاعدة؛ إذ يُبْرِز لها أهمية الرؤية العلمية؛ أي زاوية النظر التي ننظر من خلالها للأشياء والقضايا، وهي ما يمكن الاصطلاح عليه بالأطروحة أو الإشكال العلمي أو المنهجي، أقول: لو قلبنا المسألة لتغيرت نظرتنا إلى الأشياء، التي تركز على الآني، وتتجاهل الصيرورة والتطور بعيد المدى، فوقفنا أسرى ما يصطلح عليه بنظريات الحالة الراهنة؛ حيث انعدام الأفق النظري؛ خلافاً للرؤية القرآنية بعيدة المدى التي تجعل الإنسان يؤمن بالله الواحد الأحد، الأول والآخر، الظاهر والباطن، المطلق المتعالي عن الزمان والمكان، فتجعل الإنسان في حياته مشدوداً إلى المطلق في بُعديه (الجلال والجمال)، وهو ما يجعل رؤيته للعالم رؤية شمولية بعيدة المدى، تستحضر اللحظة الآنية وتؤطرها في صيرورة وتطور بعيد المدى. وصدق ربنا إذ يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿١﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٢﴾ [التين: ٤ - ٥] وكما يؤكد الدعاء المأثور: «اللهم إنا نعوذ بك من السلب بعد العطاء». كما يؤكد واقع الحياة والمشاهدات المتواترة.

ونحن إذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد حقائق مذهلة عن

(١) من المهم أن نلفت القارئ الكريم إلى أن التحقيق سينشر بكامله في موقع المجلة على جزأين، وقد نبهنا عند كل موضع اختصرناه أو لم نذكره هنا في العدد إلى أهمية الرجوع إليه هناك، فهو مكمل ومهم. (معد التحقيق).

الحضارات الإنسانية السابقة، وما تُلمح إليه من تقدّم علمي وتقني، كما نجد اليونانيين قد ابتكروا ما يمكن الاصطلاح عليه بمقدمات العلوم، ولا يخفى ما لمقدمات العلوم من دور كبير في التأهيل العلمي بالنسبة لطلبة العلم، ومن ثمّ احتلت دوراً بارزاً في التأليف لدى المسلمين.

وقد واصل الدكتور الضاوي حديثه الغيور والماتع جداً ذاكراً بعض الحضارات القديمة واستفادتها من الفهم والعلم من حضارات الأنبياء كما في تعلّم آدم - عليه السلام - الأسماء كلها، وما في قصة داود وسليمان وقضية الخصومة في قصة الغنم، وكيف عمّر الإنسان الأرض بالملاحظة والمحاكاة والتدريب والتطبيق، وكيف استفاد من اللغة في نقل خبراته وتجاربه، فلعل القارئ الكريم يرجع إلى موقع المجلة لقراءة ذلك الكلام الرصين والماتع بتمامه.

مهارات تراثنا الإسلامي:

وتدرجنا بعد ذلك في ذكر المهارات الموجودة في تاريخنا العربي والإسلامي، وكيف برع المؤلفون في تأليف كتبهم ووضعها بهذه الطرائق البارعة، منذ عصر تدوين السنّة مروراً بأئمة الفقه والتفسير، ثم زمن شيخ الإسلام وطلابه ابن القيم والذهبي وابن عبد الهادي وابن رجب حتى القرون المتأخرة. فجاءت إجابة د. الضاوي أيضاً متممة ومهمة في هذا المجال وتأصيلية بمعنى الكلمة؛ حيث واصل إفاضة البديعة في ابتكارات الحضارة الإسلامية ومنطلقات العلوم عند المسلمين لكن ننتقي منها قوله: (لعل رجوعنا إلى حديث الرسول ﷺ: «نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وأدأها إلى من لم يسمعها؛ فربّ حامل فقه لا فقه له، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(١) تبين كيف استفاد المسلمون من

- معرفة مصادر المعلومات.
- حفظ المعلومات.
- فهم المعلومات.
- سرعة تداول المعلومات.
- إنتاج المعلومات.

حديث رسول الله ﷺ مقومات العلم:

ومن ثمّ كان ذلكم الحرص على توثيق المعلومات توثيقاً علمياً دقيقاً فأنّتجوا علم مصطلح الحديث، والحرص على فهم المعلومات فأنّتجوا أصول الفقه وعلم التفسير وفقه الحديث، والحرص على معرفة المصادر فأفردوا كل باب من أبواب العلم بكتب خاصة، يتم الرجوع إليها حيث المعلومة الموثقة، والفهم السليم، والتصنيف البديع، وبذلك أصلوا قاعدة مهمة من قواعد البحث العلمي، ألا وهي: أصالة المصادر والمراجع؛ حيث تؤخذ المعلومات من مظانها. كما ابتكروا المعاجم اللغوية والاصطلاحية، ومعاجم البلدان، وكتب الأعلام والرجال، كما عملوا على نشر العلم بالكتابة والتدريس، والرحلة، فمكّنهم حرصهم على سرعة تداول المعلومات على الإبداع والابتكار. وتعلّم المسلمون من القرآن الكريم أن العلم هو القدرة على البرهان: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] ، كما أخذوا بالدليلين القرآنيين: دليل الأنفس والبحث في الإنسان فأنّتجوا العلوم الإنسانية، والبحث في الطبيعة فأنّتجوا العلوم الطبيعية؛ وذلك حتى يكون إيمانهم مؤسساً على العلم والمعرفة.

وقبل سلوك الطريق سألنا كذلك عن طالب العلم وظروفه الشخصية، وكان في إجابة فضيلة الشيخ الدكتور محمد المختار المهدي (رئيس الجمعية الشرعية الرئيسية للعاملين بالكتاب والسنّة) وَضَعُ اليد على الجرح؛ حيث جاء بلفظات أبوية طيبة رائعة، نتركم معها في موقع المجلة.

بين الجامعات والمساجد:

ومن تجاربهم التي لا تغفل أيضاً: التدريس في الجامعة وفي المساجد؛ وهما محوران مهمّان في البناء والترسيخ العلمي؛ فكيف يرون هذه التجربة، وما الذي ينصحون به طلاب الجامعات الشرعية؛ لا سيما من كان في السنّة الأولى من دراسته؟

أجاب هنا فضيلة د. عبد الله وكيل الشيخ (الأستاذ بكلية أصول الدين قسم السنّة بجامعة الإمام)، فقال: يتميز التدريس في الجامعات ودور العلم الرسمية كالمعاهد بأنه بناء علمي تراكمي، يتعاون في غرسه مجموعة من الأساتذة متنوعي

(١) المعجم الكبير، الطبراني.

من حدد متون التأصيل ١٢ متناً ولن يكون الطالب طالب علم حتى يتقنها . ما تقولون حيال ذلك؟

قال د. آل سيف: الشناقطة يبالغون في دراسة العلوم؛ بحيث يضيفون بعض العلوم التي قد لا يحتاجها طالب العلم مثل علم الأنساب فيحفظون ألفية البدوي وغيرها، وهذه علوم يحتاجها المتخصص الدقيق والراغب في معرفة علم الأنساب؛ ولكن الصحيح أن العلم في عشرة إلى ١٢ علماً هي العلوم المهمة والأصيلة التي يحتاجها طالب علم، وهي مبسطة في موضعها .

وبناء عليه أيضاً سألناه: ما الموقف حيال الكتب الكثيرة التي تعتني بالبناء العلمي للطالب، وإيضاح الصورة له في طريق طلب العلم؟ فقال: يحرص الطالب على الكتب التي خرجت من تجربة حقيقية ناجحة وعُرف صاحبها بالتمكن العلمي، فالكتب كثيرة في هذا المجال لكنها تنظير بعيد عن الواقع، وليس لصاحبها تجربة تستحق الذكر .

لو أراد الشباب الذين يتابعون حوارنا أن ينطلقوا عملياً في بناء أنفسهم، فما قواعد الانطلاق التي تنصحونهم بها؟ وهل هناك فترة معينة يمكن أن نقول: إنها فترة كافية للبناء العلمي للطالب لو بذل جهده فيها؟

أجاب د. وكيل قائلاً: من أهم الفضائل اللازمة لطالب العلم تصحيح القصد في طلب العلم بأن يريد نفع نفسه ونفع الآخرين بإزالة صفة الجهل عنهم فهذه هي النية الخالصة التي يظهر أثرها في طلب العلم وتفهمه والعمل به وبدلته للناس، وما تلبس أحد بنيةً دنيوية خالصة في طلب العلم إلا حُرِم من هذه الثمرات بقدر ما نقص من علمه . وطالب العلم لا يتوقف عن التحصيل حتى يموت، والتوقف عن التحصيل مزلة وحرمان .

وجاءت إجابة الشيخ فهد العيبان (المدرس بمعهد القرآن الكريم بالحرس الوطني بالرياض) لمسةً حانية، وخطة متقنة، وأرضية صلبة، وزيدة التحقيق أعطاها لإخوانه طلبة العلم، وهو القريب من الشباب والمتابع لهم في مشروع دروسه التأصيلية، فقال: هذا سؤال يتكرر كثيراً، ولعلي أذكر هنا أهم الضوابط من خلال عرض بعض الأمثلة التطبيقية:

١ - البدء بالمتون المختصرة في كل فن مثل: الأصول

التخصصات، وفي التخصص الواحد هم متنوعو الطرائق متعددو المواهب . ولذا فإن من أعظم ما يُنصَح به طلاب الجامعات الشرعية أن يُقبلوا على مناهجهم الدراسية بجد ومثابرة، مع توسيع دائرة الاطلاع على كتب مماثلة أو شروح أخرى للكتاب المدروس وتعليق الفوائد، كذلك ألا يتركوا ما لم يتمكن الدكاترة من شرحه؛ حيث إنهم لا يستوعبون المنهج بكامله فيفوت الطالب قدرٌ كبير عليه دراسته في الصيف .

وأما التدريس في المساجد فمن أهم ميزاته أنه لا يرتاده إلا من كان جاداً في طلب العلم، وفيهم من النباهة والحرص والمثابرة ما ليس في طلبة الجامعات . ولكن من أعظم ما يؤخذ على هذه الدروس أنها متباعدة كدرس واحد في الأسبوع - غالباً - وهذا القدر من الزمن لا يتيح التقدم في دراسة العلوم؛ حيث تحتاج بعض الكتب المطولة لإنهائها إلى ما يصل إلى عشر سنوات أو تزيد .

وجاءت إجابة الشيخ المختار المهدي موقظة ومنبهة لأمر مهم: حيث قال: كان للتدريس في المساجد أثر واضح في كيفية الوصول إلى عقول المستمعين على اختلاف ثقافاتهم ووعيمهم؛ حيث إن مراعاة هذه الاختلافات تجبر الداعية على تبسيط المسائل والبعد عن المصطلحات الأكاديمية المعقدة، لتغيير أنماط حياته إلى ما يريده الله ورسوله ﷺ .

وكان للشيخ فهد العيبان نصيحة طيبة، وعلى الرغم من قصرها لا بد من ذكرها، وهي قوله: أنصح من كان في السنة الأولى أن يعقد العزم على إتقان العلوم التي يتعلمها في الجامعة، وأن يتفوق ويواصل دراسته ولا يستمع لمن يقول له: إن العلم في المساجد فقط . فالعلم في المساجد والجامعات أيضاً .

أحسب أننا كنا مع هذه الإجابات - على الرغم من اختصارها - في رحلة ممتعة مشوقة جداً للدخول في صلب موضوعنا وهو محور خطة البناء العلمي للطالب، وقد ذكر لنا الضيوف إجابات طيبة وإضاءات وهاجة للطلبة وابتدأنا بهذه النقطة:

يقال: إن من المنهجية عدم الإغراق في طلب المنهجية؛ حيث تتنوع الآراء حول المنهجيات في البناء؛ فقد ذكر أحد المشايخ الشناقطة أن هناك ٤٥ فناً لا بد من حفظها وإتقانها للطالب حتى يؤهل لطلب العلم والتدريس، وهناك من المشايخ

يختصر الوقت؛ لأن الطالب إذا ضبط لن يحتاج إلى كثير وقت في التأهل، وكثير من طلبة العلم المبتدئين من يفتقدون الضبط للعلم حفظاً وفهماً؛ ولذا تجدهم لا يتجاوزون أمكانهم، بينما أقرانهم ممن حرصوا على الضبط فاقوهم بمراحل في أقصر وقت، وأكد أجزم أن التأهل العلمي وضبط أصول العلم لا يحتاج إلى أكثر من خمس سنين مع الضبط والإتقان^(١).

ومن وسائل ضبط وإتقان العلم:

١ - التكرار قال الإمام البخاري: (لم أر أنفع في العلم من نهمة الرجل ومدائمة النظر).

٢ - مدارس العلم ومذاكرته وخصوصاً في المناسبات.

٣ - اتخاذ صاحب النية للمدرسة.

وهنا يؤكد الشيخ على الجانب المعنوي الذي ذكره وقد أدرجناه في الموقع ولكن نأخذ منه لفته مهمة حيث قال: حتى لا تصاب باليأس، من المهم أن تعلم أن أصول العلم التي لا بد من ضبطها - حيث تكون أساساً لفقه الشريعة وأساساً لما بعدها، وبها يحصل التأصيل العلمي - إنما هي: (قليلة مختصرة محصورة). أما التفريعات والفوائد والتعليقات والحواشي على أصول العلم، فهي بحرٌ لا ساحل له. ثم يواصل - حفظه الله - لمساته التأصيلية:

١٠ - حب القراءة طريق التعلم: الذي لا يجب القراءة لا يمكن أن يتعلم؛ ولذا يجب تعويد النفس على القراءة، ويكون ذلك بإطلاق العنان لها بأن تقرأ في كل شيء نافع حتى تتعود وتصبح القراءة ألد شيء إلى نفسك.

١١ - التوازن والتكامل في تحصيل العلم: من ضوابط المنهجية في تحصيل العلم التوازن في أخذ العلوم بحيث يحصل الأصول من كل فن، وأما التخصص لمن رغب فيه، فيأتي بعد التأصيل والشمولية في التحصيل، ويقبح بطالب العلم أن يكون فقيهاً لا يحسن تخريج حديث، أو محدثاً لا يحسن أصول الفقه أو طالب علم يلحن في قراءته.

وهنا أمر مهم سألنا عنه مما يعايشه طلبة العلم، وهو:

ما بين حضور الدروس وطلب العلم من الشبكة والصوتيات؟

قال د. عبد الله وكيل: الوسائط الأخرى مثرية لما تعلمه

(٣) سألنا الشيخ عن الدورات العلمية الصيفية؟ فقال: هذه الدورات العلمية فيها خير كثير، ولكن ينبغي أن نعلم أنه لا يمكن أن يكتفي بها في باب التحصيل والبناء العلمي؛ وإنما هي وسيلة من وسائل التعلم ينبغي أن يستفيد منها طالب العلم؛ إما في مراجعة ما سبق أن تعلمه، أو أن تكون مفتاحاً لما سيتعلمه، ولا ينبغي أن يكتفي بها عن الدروس الطويلة التي تكون أكثر تفصيلاً وتانياً في البناء العلمي.

الثلاثة، كتاب التوحيد، الواسطية، الأجرومية، الورقات، نخبة الفكر، منهج السالكين أو عمدة الفقه، [الأربعين النووية] وبعض المقدمات الأولية في التفسير والقواعد الفقهية والتجويد والأدب^(١). وذلك بحفظها إن أمكن مع قراءتها وفهمها على الشيخ، أو السماع من شريط إن لم تيسر القراءة على الشيخ.

٢ - العناية بالضبط والإتقان لهذه المتون حفظاً وشرحاً، ولا ينتقل منها إلى غيرها إلا بعد الاطمئنان إلى ضبطها^(٢).

٣ - يخصص لكل متن من هذه المتون شرحاً من الشروح المطبوعة ويكون التعليق عليه والقراءة منه، ولا يكثر على نفسه الشروح؛ لأنها متشابهة في الجملة (يمكن الجمع بين شرحين بتعليق أحدهما على الآخر).

٤ - لا بد أن يعتني الطالب بأصوله التي يقرأ منها ويعلق عليها؛ بحيث تكون مرجعاً له عند المذاكرة.

٥ - الحذر من الاستعجال في أخذ هذه المتون، فلا بد من التأني والترسل، مع الفهم والتصوير الصحيح للمسائل، ويحذر كذلك من الإطالة والتشعب في بداية الطلب.

٦ - بعد الانتهاء من المختصرات، ينتقل إلى المتون المطولة مثل: بلوغ المرام، زاد المستقنع، ألفية ابن مالك في النحو وغيرها.

٧ - ينبغي في هذه المرحلة الاطلاع على بعض الشروح المطولة كالمغني، والمجموع، وفتح الباري، ونيل الأوطار، ونحو ذلك، مع العناية بشيء من البحث لبعض المسائل.

٨ - بعد الانتهاء من المطولات حفظاً وفهماً يكون الطالب قد حصل الآلة التي تمكنه من الانتقال إلى الشروح والمطولات من كتب العلم بحسب كل فن؛ وذلك بجردها وانتقاء الفوائد منها وبحث المسائل والتوسع في الطلب.

٩ - الحرص على الضبط في تحصيل العلم: فالضبط

(١) بهذا الصدد يسرني أن أضيف على هذه النقطة مستأنفاً شيخنا الفاضل إضافة نافعة إن شاء الله: هناك جهود شخصية طيبة لعدد من المشايخ في كل فن منها: كيف تكون فقيهاً للدكتور عبد الله الزاحم، ومادة أخرى بعنوان: كيف تكون مفسراً للدكتور مساعد الطيار، وهناك منظومة الزمزمي في علوم القرآن، كما أن مقدمات الشيخ السعدي - رحمه الله - في التفسير والقواعد الفقهية والفروق والتقاسيم مهمة جداً، وللدكتور وصفي عاشور أبو زيد مقالات مهمة في تكوين ثقافة الفقيه موجودة على الشبكة، ومن لطائف الكتب التي ينبغي ألا يغفلها طالب العلم: كتاب روضة العقلاء لابن حبان، ومنظومة الآداب المعروفة بـ (دالية ابن عبد القوي)، وكتاب مختصر سيرة الرسول ﷺ للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وصحيح السيرة النبوية للشيخ محمد العلي وكتاب مفتاح دار السعادة لابن القيم. (معد التحقيق)

(٢) يراجع كلام ابن بدران في الموقع عن أهمية هذه المرحلة.

هناك خيط رفيع ربما؛ فمن يحتاج إلى الآخر؟ وهل يلزم طالب العلم أن يكون مفكراً؛ بمعنى أن يعتني بكتب الفكر والسياسة والاجتماع والجغرافيا والتاريخ الغربي وغيرها؟ في هذا الأمر الواسع حلق بنا الضيوف في تحريات رصينة فعلاً فيها من الغيرة على الأمة وحُسن الإدراك وسعته ما يثلج الصدر، فلعلنا نبدأ بإجابة عَلَم في الأمة وهو د. زغلول النجار (رئيس هيئة الإعجاز العلمي بالقاهرة) وقد طار بنا في سماء تحرير بديع صافية، يشابه فعلاً ما سطره د. أحمد الضاوي: من غيرة وسعة إدراك لحال الأمة وعلومها ونختصر ما ذكره - حفظه الله - من مآسي عصرنا أن قيادة المعارف العلمية المكتسبة قد انتقلت من أيدي المسلمين إلى أيدي طائفة من الكفار والمشركين، وحين تقدمت المعارف العلمية والتقنية بأيدي هؤلاء صاوغها صياغة منكرة للدين، ومنتكرة لرب العالمين. لذلك أنصح القائمين على مناهج التعليم بضرورة التأصيل الإسلامي لجميع المعارف المكتسبة بوضع منتجاتها الكلية في الإطار الإسلامي الصحيح؛ انتصاراً للحق العلمي وللحق الديني الصحيح في آن واحد، وإبراز إسهامات المسلمين في كل مجال من مجالات المعرفة الإنسانية.

وأنصح الشباب في عالمنا الإسلامي بضرورة الإقبال على دراسة العلوم في أطرها التي ذكرت آنفاً^(٢). وسألناه كذلك عن كتب الإعجاز العلمي وأثرها على طالب العلم فأجاب إجابة موسعة يمكن الرجوع إليها في موقع المجلة. وفي توجيه طيب من د. عبد الله آل سيف قال: طالب العلم ينبغي له التركيز على طلب العلم؛ وأن يحترم تخصصه وأن لا يدخل على الناس في تخصصاتهم، وليس من الضرورة أن يكون العالم مفكراً، لكن ينبغي له الإلمام بالحد الأدنى من الكتب الفكرية والسياسية ونحوها حتى يعي واقعه ومجتمعه ولا يكون عرضة للاستغلال.

وفي إجابة الشيخ فهد العيبان إضاءة جميلة جامعة مانعة يستأنس بها طالب العلم؛ حيث قال: ينبغي لطالب العلم في هذا العصر أن يكون عنده اطلاع لا بأس به على هذه العلوم؛ ولا يعني ذلك التفرغ لها ولا التخصص فيها؛ لكن طالب العلم

الطالب أولاً؛ لأن ما يقرؤه الطالب ويسمعه في الدروس لا يتعدى في تقديري نسبة ٢٠٪ من العلم الذي يحصله طالب العلم، ودروس العلم المباشرة إنما تفتح مغاليق الفكر وتوجد مهارات التحصيل وتستثير همم الطالب؛ ولذا تجد العالم الكبير الذي أغنى المكتبة بمؤلفات إذا تُرجم له وعُدت الكتب التي حصلها في العلم وجدتها قليلة، ولكنها تحتوي أصول العلم ومفاتيحه. وبنهاية هذا الجزء نحسب أننا أنهينا البناء المرجو الذي نطمح إليه في تكوين طالب العلم وأرضيته الصلبة، ولكنّ اللمسات الباقية للبيت لا بد منها ولا يمكن أن يسكن فيه إلا بعد حذقها.

الجزء الثاني: مهارات متفرقة في طريق البناء:

١ - تأصيل المهارات:

هناك مهارات متعددة في طريق طالب العلم، هل ينبغي أن يحيط طالب العلم بها، أم يقتصر على أحدها ويتخصص فيها؟ أجاب باري القوس د. عبد الله وكيل فقال:

يمكن أن نقسم المهارات إلى قسمين:

١ - مهارات لا بد منها لطالب العلم: وهي مهارات التفكير التي تضبط الاستدلال وتصحح النظر، وتورث القدرة على النقاش، وتصحح التطبيق من الأدلة على الوقائع، وتورث الاطراد الإيجابي لدى الطالب^(١).

٢ - مهارات البحث العلمي: وهذه لا تلزمه بتمامها وكما لها، بل قد يعتمد على أهلها المتخصصين فيها، لكن هذه المهارات يلزم طالب العلم أن يعلم مصادرها التي يعود إليها عند الحاجة ويعلم منازل تلك المصادر من حيث القبول، وهذا ما أصبح مسطراً في عصرنا بما يسمى بالمداخل.

ومن المهارات المتفرقة التي ذكرناها مما يهم طالب العلم: مهارة التدوين، والورد العلمي الخاص في عدد محدد من الكتب لتثبيت العلم، والرؤية الواضحة التي ينبغي أن تكون في ذهن طالب العلم، وكيف يتقن المهارات اللغوية: من إعراب وأدب... وغيرها كلها جعلناها في الموقع.

العلم والتبحر فيه والقراءة الحرة:

يقال: العالم من عرف شيئاً عن كل شيء، وعرف كل شيء عن شيء، بين التخصص والثقافة العامة في جميع الفنون، كيف يسير طالب العلم في فلك هذه المقولة، وبين الفكر والعلم

(٢) للاستزادة راجع مقالاً للدكتور على هذا الرابط: <http://www.islamstory.com>

بنون: (الجيل القرآني وبنائه العلمي).

(١) أوضح الشيخ - حفظه الله - هذا الاطراد الإيجابي بكلام ممتع صادر عن حاذق،

سينشر في الموقع. (معد التحقيق)

إذا أراد أن يكون إماماً فلا بد أن لا يكون جاهلاً في هذه العلوم، بل يأخذ منها القدر الذي يمكن أن ينفع به الناس ولا يضر نفسه، ويكون ذلك بالقراءة في بعض هذه الكتب ويقتصر على المهم منها، وكذا الاطلاع على المجالات الإسلامية التي لها عناية بشيء من ذلك^(١).

أما الدكتور عبد الله وكَيْل آل الشيخ فقد أعطانا إجابة عصرية مهمة جداً، وهي رسالة منه إلى طلبة العلم وعلماء الأمة أيضاً لا ينبغي إغفالها، أترككم معها متدبرين واعين. قال - حفظه الله -: الأديب والمفكر لديه حصيلة علمية من فنون متعددة، وتتجاوز ميدان العلوم الشرعية إلى ميدان السياسة والاجتماع وعلم النفس ونحوها من العلوم البشرية، بل تتجاوز المنجز الإسلامي إلى ما أنجزه البشر الآخرون على اختلاف عقائدهم ومثلهم. وإذا كان الأمر على هذا التحديد فالمفكر اليوم والأديب بالأمس ميدانه المنطلقات الكبرى للعلوم وقضاياها، ولكنه لا يصلح أن يكون مفتياً أو مفسراً حينما يكون النقاش في مسألة جزئية تحتاج من العمق والدراية ما ليس عنده.

وأما العالم فهو الذي يفقه منطلقات علم بعينه وقضاياه الكلية، كما يُحكّم في الوقت ذاته مسأله الجزئية؛ ولكنه قد يفتقد المعرفة ببقية العلوم؛ وخاصة ما كان خارج ميدان العلوم الشرعية، وهذا الاقتصاد في المعرفة قد يعوقه عن الحديث المؤثر في الدوائر العالمية التي تتداخل فيها العلوم؛ ولذا فمن كمال العالم الذي تخصص في علم بعينه أن يلم بقدر مناسب من العلوم الأخرى: شأن كثير من العلماء الأقدمين: كالغزالي وابن تيمية وابن خلدون وابن حزم وغيرهم، وأما طالب العلم

الذي لا يزال في مدارج التحصيل الأولى فلا ينبغي له أن يتشتت اهتمامه بتعدد القراءة إلا بعد زمن يُحكّم فيه مداخل العلوم الأساسية، فإن أبى إلا القراءة فلتكن مساحتها من الوقت صغيرة جداً. وبهذه المناسبة فإنني أدعو العلماء إلى صياغة حديثة في التأليف يظهر فيها الترابط بين أجزاء العلم الواحد على سَنن ما كتبه الأولون في القواعد الفقهية وكذا الفروق الفقهية؛ بحيث يتكون لدى الدارس هيكل العلم متكاملًا ثم يخوض في تفاصيله.

على طريق المستقبل:

يتساءل كثيرون: لماذا كليات أصول الدين وعلوم الشريعة ليست بذات مستقبل بيني الطالب المتخرج ويجعله متقناً تخصصه مثل كليات الطب والهندسة التي يتخرج الطالب فيها مُحكماً تخصصه ناهيك عن مكانة يتلقاها في مجتمعه؟ في إجابة متألّمة وأسيّفة على الواقع فعلاً يجيب د. عبد الله آل سيف^(٢): لو كانت العلوم على طريقة السلف في التلقي والحفظ والمدارسه ووفّق المناهج التي مشوا عليها وأضيف عليها الوسائل الحديثة لرأيتهما تخرّج طلبة علم متميزين؛ لكن إذا كانت (كلية أصول الدين - قسم السنة) لا تلزم الطلب بالحد الأدنى من التأسيس كاستظهار بلوغ المرام وحفظ ألفية السيوطي في المصطلح واستظهار أحاديث الكتب الستة بكثرة المراجعة، وقسم علوم القرآن لا يلزم الطالب بحفظ القرآن ولا بشيء من المنظومات في التجويد وعلوم القرآن مع شرح هذه المنظومات، ولا يلزمون الطالب ببرامج قراءة ولا جرد، فلا نستغرب حينها النتيجة^(٣).

(١) الكتب الفكرية المأمونة تفتق ذهن طالب العلم وتوسع مداركه، وهي فعلاً تزيد فهمه للأحداث من خلال الاطلاع على تعدد الآراء، والوصول بعد ذلك إلى نتيجة تحليلية مفيدة وناضجة تدرجه على حسن التحليل والإدراك، ومن الأمثلة على الكتب المفيدة في ذلك ما يصدره مركز الدراسات والبحوث في مجلة البيان من تقارير إستراتيجية وكتب مفيدة ذات خلاصات رائعة مبحوثة بعناية مثل: مجموعة الإسلام لعصرنا للدكتور (جعفر شيخ إدريس)، وكتاب الإسلام والعولة للدكتور (سامي الدلال)، وكتاب آخر بعنوان قواعد شرعية لإدارة الصراع الحضاري، ونقد الليبرالية... وغيرها، وهناك مؤلفات لكتاب معيّنين ينبغي ألا يُغفلهم طالب العلم من جدوله العلمي مثل كتب مالك بن نبي (مستقبل الأفكار في العالم الإسلامي)، وأبي الحسن الندوي ولا سيما كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ربانية لا رهبانية)، ومحمد قطب في (واقعا المعاصر)، وهناك كتاب (حاضر العالم الإسلامي) لجميل المصري، وكتابات عماد الدين خليل (تهافت العلمانية، وإسلامية المعرفة)، ومحمد العبدية (قيام الدول وسقوطها)، وكتب أنور الجندي، وللدكتور صالح الحصين كتابات عن الإسلام والغرب وغيرهم كثير. (معد التحقيق)

(٢) للشّيخ - حفظه الله - محاضرة بعنوان الإبداع في طلب العلم فيها طرائق شيقة جداً يحسن بطالب العلم الرجوع إليها على هذا الرابط:

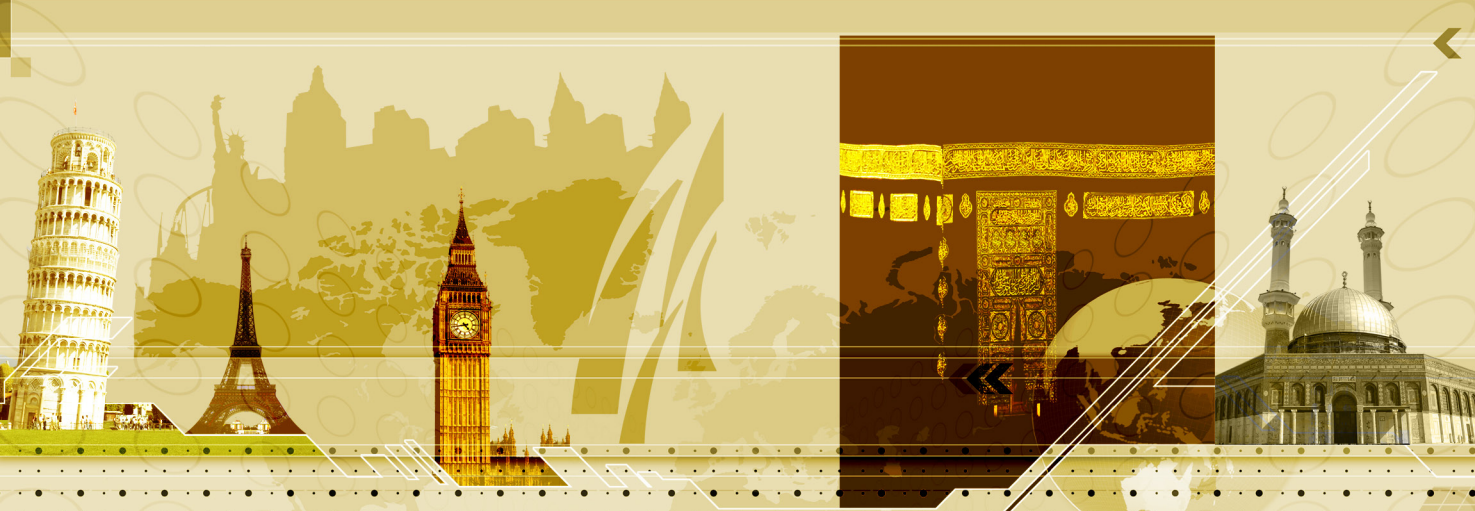
<http://liveislam.net/browsearchive>

كما له لقاء شيق على موقع الإسلام اليوم على هذا الرابط عن التواصل الفقهي:

<http://islamtoday.net/nawafeth/>

(٣) لعل هذا التحقيق يُجمَع وينشر بكامل مادته في كتاب بانن الله، ويُروّد بملاحق مختلفة ومفيدة لبناء طالب العلم؛ لذا نرجو من الإخوة تزويدنا بآرائهم حول هذا الكتاب وإفاداتهم ومقترحاتهم على بريدي المذكور، وستسجل الفكرة باسم صاحبها، وهم شركاء في الأجر والثوبة، ولعل الله ينفع به طلبة العلم في مشارق الأرض ومغاربها، ويكون دليلاً ومرجعاً لهم. (أخوكم معد التحقيق)

[المسلمون .. والعالم]



**تطورات الثورة اليمنية
والدور الخارجي لإجهاضها**
أنور بن قاسم الخضري

**الأسباب الخمسة لامتناع
الغرب عن معاقبة الأسد**
عصام زيدان

**مجازر سورية والجذور
الباطنية**
د. محمد الناصر

مرصد الأحداث
جلال سعد الشايب

**مستقبل النظام الإقليمي
العربي في عصر الثورات**
محمد سليمان الزواوي

**مصر... ثورة مضادة لإبعاد
الجيش وعزل الإسلاميين**
عامر عبد المنعم



مجازر سورية والجذور الباطنية

د. محمد الناصر

لقد هالني وهال كل مراقب منصف للأحداث هذه المجازر البشعة والإبادة الجماعية على أرض سورية الحبيبة. إنها إبادة شعب حرّ أبي خرج يطالب بالحرية والكرامة

بعد نصف قرن من حكم حزب البعث، بعد معاناة طويلة من القمع والاضطهاد والقهر، وهو أعزل من السلاح ينادي: سلمية سلمية، لا أحزاب ولا طائفية. خرج الشعب في معظم محافظات سورية بالآلاف؛ إلا أنهم انهال عليهم الرصاص الحي الكثيف، وقد دبرت السلطات لهم الاتهامات الباطلة بالتآمر على وحدة الوطن، وإثارة الطائفية، وتنفيذ مؤامرة خارجية وراءها: أمريكا والصهيونية.

بينما كان قادة الصهاينة يدافعون عن نظام الأسد؛ (لأنه يحافظ على عهوده معهم، ويقدم لهم أمناً دائماً في الجولان). قال إيهود أولمرت: (طلبت من الولايات المتحدة وقف الضغط الإعلامي على سورية، ورئيسها يستحق تقديرنا واحترامنا)^(١). لقد نسي بشار الأسد في خطابه أمام مجلس الشعب صاحب التصفيق و (البصم) على أي كلام يقال، أن أسلافه

ونسي أيضاً أن والده قد سلم الجولان لإسرائيل عام ١٩٦٧م بلا قتال، حينما كان وزيراً للدفاع^(٢).

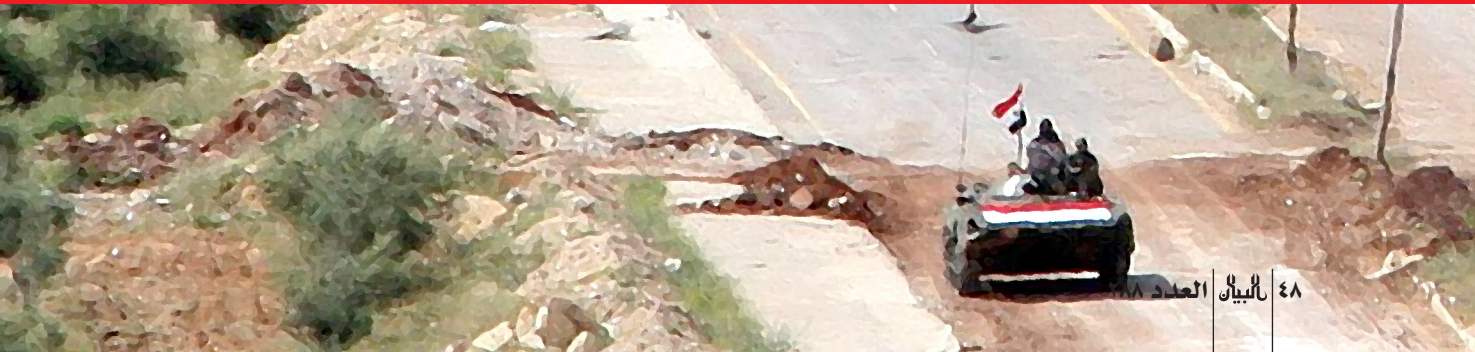
نسي (بشار) كل ذلك وهو يهدد الشعب السوري باستعادة (إنجازات والده) البطولية ضد هذا الشعب، عندما أقام المجازر في مدينة حماة، عام ١٩٨٠م، فقتل من أهلها من (٣٠ - ٣٥) ألف مواطن، وتم تدمير أحياء بكاملها، وأزال عشرات المساجد والآثار التاريخية؛ نتيجة القصف المدفعي^(٣).

كما نشروا الخراب والدمار والمجازر والوحشية، في مدن حمص وجسر الشغور وحلب، وها هو اليوم يرسل دباباته وعصابات الأمن ليعيدوا أمجاد أبيه في الرستن وبيانياس وتلبيسة ومدينة درعا وقراها، وما جرى في صحراء تدمر من مقابر جماعية تزيد عن (٧٠٠ شاب) من خيار الدعاة والمثقفين، كانوا قابعين في سجن تدمر.

كما نشررو الخراب والدمار والمجازر والوحشية، في مدن حمص وجسر الشغور وحلب، وها هو اليوم يرسل دباباته وعصابات الأمن ليعيدوا أمجاد أبيه في الرستن وبيانياس وتلبيسة ومدينة درعا وقراها، وما جرى في صحراء تدمر من مقابر جماعية تزيد عن (٧٠٠ شاب) من خيار الدعاة والمثقفين، كانوا قابعين في سجن تدمر.

(٢) ينظر: كتاب: سقوط الجولان، لخليل مصطفى بريز طبعة مصر ١٩٨٠م.
(٣) الصراع على السلطة في سورية: نيقولاوس فان دام (ص ١٦٥) وما بعدها.

(١) مجلة المجتمع، العدد: ١٩٤٧، ٩/٤/٢٠١١م.



صور من وحشية النظام:

مدينة (بانياس) الساحلية بعد الحصار الدامي والاعتداءات على أهلها ومسجدها، نشرت القنوات الفضائية صور تعذيب المعتقلين، وقد قيّدوا وألقوا على وجوههم، وكانت عصابات الأمن يدوسون على أجسادهم ووجوههم وهم يتضحكون ويسخرون، وحتى النساء ما سلمن من بطشهم؛ إذ قتلوا منهن أربع نسوة، وأجهزوا على خامسة وطفلها، كانت قد نقلته إلى المستشفى.

• ثم استشهد من أهل مدينة (جسر الشغور) ما لا يقل عن (١٢٠) شهيداً، بتاريخ ١٤٢٢/٧/٥هـ، وقامت القوات العسكرية بمهاجمتها على الرغم من فرار أهلها نحو الشمال إلى تركيا، ويبدو أن نقرأ من الجنود والضباط الشرفاء رفضوا إطلاق النار على المتظاهرين، فقتلوا على يد رجال الأمن، وكالعادة فإن الإعلام السوري يتهم المتظاهرين وعصاباتهم المسلحة بقتل رجال الجيش.

• وفي تلك الخ فإن نصف منازلها هُدمت وفر أكثر من أربعة آلاف من أهلها نحو (وادي خالد) في لبنان، وكان قد تم النزوح من درعا إلى الأردن، وتكرر الاعتداء على الأعراس ونُهبت الممتلكات^(٤).

دور الشبيحة في الإجرام:

الشبيحة: هم مجموعات من الشباب النصيري الذين يعملون لدى المتنفذين من العائلة الحاكمة في مجال التهريب والسرقة والسطو على أموال الناس وأرواحهم، ومعهم عناصر الحرس الجمهوري والفرقة الرابعة برئاسة (ماهر الأسد) شقيق الرئيس السوري، وفي مصر يسمى هؤلاء (بالبلطجية) وهم أقرب إلى قطاع الطرق ورجال القرامطة والحشاشين؛ حيث انسلخ هؤلاء من إنسانيتهم، وأصبحوا أقرب إلى البهائم المتوحشة المفترسة (في شرابها).

شكّل هؤلاء الساديون مجموعات من القتلة (بلباس مدني مميز)، يعتدون بأسلحتهم على المتظاهرين المسالمين بشكل عشوائي، يقصدون الرأس والصدر، ثم يمنعون وصول سيارات الإسعاف وإنقاذ الجرحى، ومنهم قناصه تعلي ظهور المنازل والدوائر الحكومية.

ثم انبرت هذه المجموعات من القتلة، لقتل كثير من أفراد الجيش والشرطة، ممن يرفضون إطلاق النار على المتظاهرين العزل، وكان قتلهم - غالباً - غدرًا من الخلف، ويدعي النظام بعد ذلك أن عصابات مسلحة متآمرة قد قتلتهم^(٥).

لقد مضى على جرائم هذا النظام العسكري أكثر من ثلاثة أشهر ورجاله يحاصرون المدن والقري بالدبابات والمدرمات، ويقذفون الشعب الأمن بالصواريخ والمدفعية، ويمنعون عنه التموين ويقطعون الكهرباء، ويقصفون خزانات المياه، ويعتلي القناصة المنازل والدوائر الحكومية، يطلقون الرصاص عشوائياً، يثيرون الرعب والدمار فكانت المقابر الجماعية ابتداءً من درعا مروراً بحمص وتلكلخ وبانياس والرسن وانتهاءً بدير الزور وإدلب والبوكمال. وكانت أداة القمع الوحشية تنتقل ضمن مدن أهل السنة بشكل سافر. وهو ما يتم عرضه عن طريق الشهود العيان في القنوات الفضائية، حيث التعتيم الإعلامي السوري المطبق.

أما المساجد فقد عاثوا في كثير منها خراباً وفساداً وهدموا بعضها، ومنعوا فيها الأذان وصلاة الجمعة والجماعة، وما زالوا يحادّون الله ورسوله. فقد حولوا المسجد العمري الكبير في مدينة درعا إلى تكتة عسكرية واعتقلوا إمامه الشيخ الضرير المسن (أحمد الصياصنة) بعد أن قتلوا ابنه أمام أهله وهددوا بقتل الباقيين^(١).

وفي دمشق منعت عصابات الأمن المصلين من دخول مسجد (الحسين) لصلاة الجمعة، وهو ما جعل شيخ قراء الشام (الشيخ كريم راجح) يعلن استقالته من فوق منبر المسجد احتجاجاً على هذا التصرف المشين^(٢).

ومن المأساة العجيبة التي لا يقبلها منطق سليم، ولا ضمير حي، وليس لها نظير إلا في جرائم القرامطة والحشاشين ومن على سلاكتهم مثل ميليشيات فيلق بدر وحسين المهدي في العراق، النماذج التالية:

• ففي مدينة المسيفرة قرب درعا، بتاريخ ٢٠١١/٥/٢٢م جرى اعتقال خمسين من أهلها، وبعد فترة أعيد منهم خمسون جثة ملطخة بالدماء، وعليها آثار تعذيب وحشي تقشعر له الأبدان.

• كما أظهرت قناة الجزيرة وغيرها الطفل (حمزة الخطيب) ابن الثالثة عشرة من عمره، من بلدة الجزيرة قرب درعا، وهو جثة هامدة، تقشعر لمنظرها الأبدان، قد شوّمت جثته ووجهه خلال التعذيب الوحشي، كما كُسِرَ عنقه وقُطعت أعضاؤه التناسلية، كما أعيدت جثة المدرس (حسين الزعبي) وقد سلخ جلده تماماً^(٣).

• وتكاد مظاهر الوحشية لا تنتهي في المدن السورية؛ ففي

(١) نشرت القنوات الفضائية هذه الأخبار كـ (الجزيرة وغيرها)، ١٤٢٢/٥/٢٣هـ.

(٢) نشرت القنوات الفضائية هذه الأخبار كـ (الجزيرة وغيرها)، ١٤٢٢/٥/٢٣هـ.

(٣) قناة الجزيرة، ١٤٢٢/٦/٢٤هـ، وكان اعتقاله قد تم في جمعة الغضب،

١٤٢٢/٤/٢٩هـ.

(٤) نقلت وسائل الإعلام خارج سورية هذه الأخبار بشكل مستفيض.

(٥) ينظر المجتمع، محمد فاروق الإمام، عدد ١٩٤٩، ٢٣/٤/٢٠١١م.

دور وسائل الإعلام الرسمية:

السلطات السورية تمنع كل وسائل الإعلام الدولية والعربية من تغطية الأحداث، وتتفرد هي بما يريد النظام نقله؛ تضليلاً للرأي العام.

هنالك تعميم إعلامي شديد عجيب في هذا القرن؛ ولذلك فقد سقطت هيبة الإعلام السوري، وأصبح مدار تنذرٌ لكذبه الفاضح، مبتعداً عن المصدقية.

كما انبرى عدد من مرتزقة الإعلام السوري لتزوير الأحداث وقلب الحقائق، وقد نبذهم أحد الكتاب بأنهم: (شبيحة الإعلام) منهم قتلة يبررون للقتلة أفعالهم^(١).

يقول أحد الكتاب: (عجبت لإعلامي رسمي، بلغت به الجرأة أن يقول لمذيع في جزيرة: إن الوضع هادئ والأمن مستتب، وعندما سأله المذيع: ألا ترى المظاهرات الغاضبة؟ أجاب: هذه صور من بلاد أخرى تعرضونها على شاشتكم؟

ومما يوضح عقلية ومستوى هؤلاء الإعلاميين: أن قناة الـ (بي بي سي) بينما كانت تستضيف مدير أخبار الشرق العربي (عبيدة النحاس)، دخل على الخط إعلامي سوري من اللاذقية، وقال للمذيع: (ضيفك هذا ومن هم على شاكلته، لا ينفع معهم إلا الرصاص)^(٢).

أخي الكريم!

إن هذه الجرائم الوحشية: من قتل واعتداء على الأعراس، ومهاجمة الناس الأمتين، واعتداء على حرمة المساجد، ومنع إعلان الأذان من مآذنها، لم نجد لها نظيراً إلا عند الحركات الباطنية في التاريخ الإسلامي. - فهل تُوجّه الجيوش بسلاحها الثقيل نحو المواطنين، وتضطرهم إلى الفرار نحو دول الجوار؟ وهل كان الجيش السوري حامي الديار على الحدود وسيلة لاحتلال المدن السورية بدلاً من التوجه نحو العدو الصهيوني، أو إلى استرجاع الجولان المحتل، الذي لم تطلق نحوه طلقة واحدة منذ أربعين عاماً، ثم يقال: إنهم دولة الصمود والممانعة؟

ما أشبه الليلة بالبارحة:

لقد عاثت الحركات الباطنية فساداً في حياة المجتمعات الإسلامية وتعقّبها قادة المسلمين، وحاولوا القضاء على شرورها ومن أبرز تلك الحركات: الإسماعيلية صاحبة الدولة العبيدية (الفاطمية)، والقرامطة، والحشاشون، والنصيرية. ويُلاحظ أن قادة هذه الحركات من أصل فارسي مجوسي؛ فهي عناصر حاقدة على المسلمين، تؤمن بالتقمص وإنكار يوم الآخر مع إباحة المحرمات، ولهم طموحات سياسية انفصالية، وعلى الرغم من اختلافها ببعض العقائد والأفكار، إلا أنها اجتمعت على شيء واحد هو محاربة الإسلام، وإفساد عقائده وارتكاب الكبائر وإباحة الأعراس، ناهيك عن سفك الدماء. ومن المعلوم أن هذه الحركات تتخذ التشيع ستاراً، لتخفي وراءه اعتقاداتها وأهدافها^(٣).

فالإسماعيلية: كان (ميمون القداح) من أكبر مؤسسيها وهو يرجع إلى أب يهودي كان ربيباً لمجوسي، أسس الدولة العبيدية، التي تسمى الدولة الفاطمية زوراً وكذباً^(٤). وقد تعاونت مع الصليبيين ليساعدوهم ضد السلاجقة الأتراك السنة^(٥). وكان لملوكهم تاريخ حافل بالجرائم الشنيعة. قال أبو الحسن القاسبي: (إن الذين قتلهم عبيد الله (جدهم) وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل، ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختراروا والموت)^(٦).

- وذكر القاضي عبد الجبار البصري: «أن الملقب بالمهدي لعنه الله، كان يتخذ الجهال ويسلطهم على أهل الفضل، وكان يرسل إلى الفقهاء والعلماء فيذبجون في فرشهم».

أما القرامطة: فقد انتشروا في القطف وما حولها، ومنهم أبو سعيد الجنابي (فارسي الأصل)، هاجموا بقيادته (دمشق) وكثيراً من مدن الشام، وأشاعوا فيها الرعب والدمار.

ومن أقيح جرائمهم هجومهم على مكة المكرمة بقيادة (أبو طاهر الجنابي)، وهو فارسي الأصل أيضاً؛ حيث قتلوا كل من وجدوه في مكة والمسجد الحرام، عام ٣١٧هـ، وقد ألقوا بجث القتلى في بئر زمزم، وكان الناس يفرون ويتعلقون بأستار الكعبة، فلا يعني ذلك عنهم شيئاً؛ بل يقتلون وهم كذلك، ويقتلون في الطواف، وأبو طاهر - لعنه الله - جالس على باب الكعبة، والرجال تُصرع حوله في الشهر الحرام في المسجد الحرام في يوم (التروية) وهو يقول: (أنا الله وباللله، أنا أنا أخلق الخلق

(٣) ينظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي: د. محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، عمان ١٩٨٦م، ص ٨ - ٩.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير: ٢ / ٢٦٧، والفتاوى لابن تيمية: ٤ / ١٦٢.

(٥) الكامل في التاريخ: ٨ / ١٨٦.

(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ٤ - ٦.

(١) برهان غليون: في إحدى القنوات.

(٢) مجلة المجتمع، عدد ٢٠١١/٤/٢٢، ١٩٤٩م. من مقال لمحمد فاروق البطل.

وأفضيهم أنا) وأمر بقلع الحجر الأسود، وبقي عندهم (٢٢ سنة)^(١).

الحشاشون: وهي فرقة باطنية انفصلت عن الإسماعيلية والدولة العبيدية بمصر بقيادة (الحسن بن الصباح)، وكان مركزها الأساسي في قلعة (آلموت) في بلاد فارس، كان ذلك منذ أواخر القرن الخامس الهجري، واستولوا بعدها على عدد من الحصون في بلاد الشام، وتميزوا باغتيال قادة الجهاد والعلماء، كانوا خناجر غادرة تطعن قادة الأمة: من فقهاء وخلفاء ووزراء؛ إذ اغتالوا اثنين من الخلفاء العباسيين، وحاولوا مرتين اغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي في عامي ٥٧٠ - ٥٧١ هـ بينما كان في خيمته^(٢).

كما أنهم أشاعوا الرعب والخوف بقطع الطرق والاعتداء على القرى المجاورة، يقتلون الناس ويستولون على ما لديهم من متاع ومال.

ولم تسلم قوافل المارة بجوار قلاعهم من القتل والنهب فأصبح الناس لا يأمنون على أنفسهم ولا أولادهم وأموالهم. وكان الرجل إذا تأخر عن بيته عن الوقت المعتاد، تيقن أهله من قتلته وقعدوا للجزاء به، وصاروا لا ينفرد أحدهم في مسيره^(٣).

ولم يسلم الحجاج من بطش الباطنيين هؤلاء؛ ففي عام ٤٩٨ هـ تجمعت قوافل الحجاج في ما وراء النهر وخرسان والهند، فوصلوا إلى نيسابور، فباغتهم الباطنيون وقت السحر، ووضعوا فيهم السيوف وقتلوه، وغنموا أموالهم ودوابهم، وكرروا ذلك في حجاج خراسان، قتلوه جميعاً، وكان منهم الأئمة والعلماء والزهاد^(٤).

النصيرية: حركة باطنية، ظهرت في القرن الثالث

الهجري، تُنسب إلى محمد بن نصير النميري البصري، وهو فارسي الأصل، ادعى النبوة وقال بإباحة المحرمات.

ترأس الطائفة بعده عام ٢٧٠ هـ، محمد بن الجنان الجنبلاني، ثم حسين بن حمدان الحصيبي أحد أقارب سيف الدولة الحمداني، وقد ساعده هذا الأمير على بث دعوته وجمع كلمة الطائفة النصيرية في حلب وما حولها، فكل هؤلاء كانوا من أصل فارسي، يمجدون الشخصيات الفارسية، وتؤمن هذه الطائفة كغيرها من الباطنيين بالتقمص وإنكار الآخرة والحساب

والجنة والنار، وإباحة المحرمات، ولهم طموحات انفصالية^(٥).

وقد كان النصيريون خلال تاريخهم يتعاونون مع الغزاة على بلاد الشام؛ إذ تعاونوا مع الحملات الصليبية على بلاد الشام، كما تعاونوا مع المغول التتار، فكانوا يغدرون بجيوش المسلمين وينهبون ويقتلون^(٦).

وفي أيام الدولة العثمانية، تعاونوا مع الصفويين لحرب أهل السنة، وقاموا بعدة ثورات ضد المسلمين عام ١٨٣٤م؛ إذ هاجموا مدينة اللاذقية، ونهبوا وقتلوا، فعاقبهم الوالي بشدة، ثم حاول السلطان عبد الحميد إصلاحهم وبنى لهم المدارس والمساجد لكن بلا فائدة.

كما هاجموا مدينة (جبله) فقتلوا ونهبوا، وسبُّوا الشيخين أبا بكر وعمر، وكانوا ينادون: لا إله إلا علي، ويطلبون من الأسير أن يقول بذلك كما خربوا المساجد وأتخذواها خمارات، فجرد السلطان إليهم العساكر وهزمهم^(٧).

أما المسعمر الفرنسي فقد كرس الطائفية في البلاد وجعل لهم دولة، وقد رفعوا عدداً من المذكرات عام ١٩٢٦م إلى حكومة فرنسا، يطالبون فيها بتكريس انفصالهم^(٨).

وبعد الاستقلال خططوا للتغلغل في أوساط الجيش، والدخول في الأحزاب السياسية القومية كحزب البعث والقومي السوري، وعقدوا المؤتمرات للتوصل إلى سدة الحكم، وتخلَّصوا من الكتل العسكرية المناوئة.

فهل يعيد التاريخ نفسه في هذه الإبادة الجماعية: من تعذيب وحشي وسفك للدماء؟ فالمتظاهرون يصرون على أن ثورتهم سلمية، وينفون عنهم الحزبية والطائفية؛ إلا أن السلطات العسكرية هي التي تجر البلاد إلى طائفية بغيضة، يترفع الشعب السوري عنها طيلة تاريخه الطويل؛ فقد كان وما يزال يتعاش مع كل الأقليات ضمن سماحة الإسلام وهديه، والتاريخ أكبر شاهد على ذلك.

اللهم جنب البلاد والعباد، شرور الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم ألهم المسلمين رشدكم، وأنصرهم على عدوهم، إنك على كل شيء قدير.

(٥) ينظر: ابن حجر في لسان الميزان: ٢٧٩ - ٢٨٠، والعلويون بين الأسطورة والحقيقة: هاشم عثمان، ص ١٥٧.

(٦) أثر الحركات الباطنية في عرقة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد، ص ٢٥٤.

(٧) ينظر: خطط الشام: محمد كرد علي: ١ / ٢٦٠ - ٢٦٢، والبدية والنهاية: ٢ / ٨٣ - ٨٤.

(٨) كتاب النصيرية: تقي شرف الدين، ص ٨٥ - ٨٩، والحركات الباطنية: د. محمد الخطيب، ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦ / ١٠٤، ١٨٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ٨ / ٢٠٠ - ٢٤٨، والروضتين: أبو شامة: ١ / ٣١. ولقبوا بالحشاشين لتناولهم الحشيش المخدر.

(٣) المصدر السابق: ٨ / ٢٠٠، وأثر الحركات الباطنية في عرقة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد، ص ٢٢١ - ٢٢٤.

(٤) المصدر السابق: ٨ / ٢٠٠، وأثر الحركات الباطنية في عرقة الجهاد ضد الصليبيين: يوسف إبراهيم الشيخ عيد، ص ٢٢١ - ٢٢٤.



الأسباب الخمسة

لامتناع الغرب عن معاقبة الأسد

مصام زيدان(*)

Essam_zedan30@hotmail.com



محددات التدخل الغربي:

إن الموقف الغربي من الثورات تحكمه في النهاية المصلحة الغربية؛ فما تتدخل دعماً للثوار إلا لمصلحة سياسية غربية، وما امتنع عن التدخل في سورية واليمن، إلا لمصلحته السياسية البحتة، التي لا علاقة لها بالحرية والديمقراطية ودعم المدينة؛ وإلا ما تجزأت مواقفه واضطربت من ثورة لأخرى. فالغرب لا يتعامل بالقيم التي يدعها ويصدع بها رؤوسنا؛ وإنما التفسير المنطقي الوحيد الذي يتسق مع ما نراه من اختلاف وتباين في مواقفه رغم تشابه الظروف ووجود المبررات نفسها يكمن في اختلاف مصلحته من هذا النظام أو ذلك، ورغبته في تثبت نظام أو رحيله.

منذ اندلاع الثورات العربية في تونس ثم مصر، وتبعتهما ليبيا واليمن وسورية، فإننا سنجد أن الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص اتخذوا مواقف متباينة من كل ثورة، كما تباين موقفهم من كل ثورة حسب تصاعد وتيرتها وقدرتها على الحسم.

فقد وقف الغرب إلى جانب النظام التونسي إلى أن أوشك على الخرق فتنصل منه، ورفض حتى مجرد تزود طائراته بالوقود في الأجواء الفرنسية، وكذا تدرج موقفه من النظام المصري: من دعم صريح إلى مطالبته بالرحيل و«الرحيل الآن».

وكان لافتاً للنظر ذلك التغير الحاد في الموقف الأوروبي والأمريكي من الثورات بالتدخل العسكري المباشر في ليبيا بدعم أممي وعربي، بدعوى وقف الانتهاكات والمجازر البشرية التي كان يزعم العقيد الليبي (معمر القذافي) ارتكابها في حق أبناء وطنه.

واختلف الأمر جذرياً في ما يخص الموقف الغربي والأمريكي من ثورتَي ليبيا واليمن؛ حيث أظهروا «رباطة جأش» منقطعة النظير إذا ما قارنا ذلك بموقفهم المتشدد من النظام في ليبيا، وحسمهم للموقف مع نظامي (مبارك وبن علي) ودعمه للثورتين (المصرية والتونسية)، حينما أوشكتا على خلع الرئيسين.

(*) باحث وكاتب مصري.

والعقوبات اللينة التي أدمن النظام السوري التعامل معها، وهي: **أولاً:** هناك ما يمكن أن يقدمه النظام السوري خدمة للغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص، في ثلاثة ملفات لها أهمية كبرى للدول الغربية، وهي:

١ - ملف المقاومة الفلسطينية وتطويع مواقفها من السلام مع الاحتلال الإسرائيلي، ووقف أية عمليات مقاومة مسلحة داخل الأراضي المحتلة؛ حيث يفرض النظام السوري الذي فتح أراضيه لقادة المقاومة الفلسطينية، نوعاً من السيطرة على توجهات الفصائل المؤثرة.

٢ - الملف الإيراني (الحليف الإستراتيجي للنظام السوري): حيث تمتد الأذرع الإيرانية إلى ملفات حيوية شديدة الأهمية في المنطقة، منها: العراق، وأمن الخليج العربي، والملف النووي، الذي لم يصل الغربي فيه لنتيجة مرضية مع نظام (خامنئي - نجاد).

٣ - الملف اللبناني: حيث يمتلك النظام السوري أوراق اللعب المؤثرة في الساحة اللبنانية، ومن أهمها ورقة حزب الله، الذي يقوم بدور تعطيل الحياة السياسية اللبنانية، بإملاء وإيعاز مباشر من القيادة السورية منذ خروجها المهين من لبنان قبل عدة سنوات.

وقد يسعى الغرب لنوع من المقايضة مع النظام السوري؛ بحيث يضمن بقاء هذا النظام، في مقابل خدمات في أي من هذه الملفات الثلاثة أو أحدها.

ثانياً: يخشى الغرب في حال سقوط نظام الأسد الابن وتولّي نظام وطني أن يعيد للحمّة مرة أخرى مع المملكة العربية السعودية ومصر، ويعد إنتاج مثلث المصالح العربية الذي طالما أدار الملفات العربية ووقف مصالحي عريية بحتة؛ متصدياً في كثير من الأحيان للإملاءات الغربية التي تصطدم مع المصالح العربية الإستراتيجية.

فالنظام السوري الحالي - وللأسف - قد غادر الوطن العربي، ميمماً وجهه شطر إيران، التي عقد معها اتفاقات إستراتيجية وشراكة على حساب القضايا والمصالح العربية، ولم يعد معنياً بالقضايا العربية، إلا بما يخدم المصالح (السورية - الإيرانية) المشتركة.

ولعل الثورة المصرية قد أخافت الغرب من حدوث تغيير مشابه في منظومة الحكم السوري، وهو الأمر الذي يغير

ومما لا يغيب عن الأذهان أن أي ثورة تطلب دعماً غربياً، تفقد كثيراً من نقائها، وتضع اللبنة الأولى في بناء علاقة غير متزنة مع القوى الغربية؛ ربما تدفع لها أثماناً باهظة في مسيرتها للتحرر من الأنظمة الفاسدة، وأثماناً أكبر حينما يستقر لها الأمر وتبدأ مرحلة البناء.

فهذا الدعم الذي يقدمه الغرب الآن لبعض الثورات، لم ولن يكون مجانياً، بل سيطلب الغرب في مقابله مطالب باهظة من الثوار بعد ذلك؛ وهو الأمر الذي يثير مخاوف جمة من ارتهان القرار السياسي لهذه الدول مستقبلاً بالمصالح الغربية، على نحو ما كنا نراه من الأنظمة الراحلة وبعض الأنظمة التي أخذت طريقها للرحيل.

لماذا التلكؤ الغربي في التعامل مع النظام السوري؟

وإذا كنا قد أثبتنا أن الدوافع الغربية في التعامل مع الثورات هي المصلحة السياسية، ولا اعتبار في ذلك للقيم الإنسانية، فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن إنما هو عن تلك المصالح التي يجنيها الغرب من بقاء النظام السوري وعن مبررات الرفق الشديد في التعامل معه.

إننا حتى هذه اللحظة نجد أن الولايات المتحدة، وعلى لسان وزيرة خارجيتها هيلاري كلينتون، اعتبرت الرئيس السوري بشار الأسد «إصلاحياً»، ويمكنه أن يقوم بأمر تعدل الأوضاع السياسية في سورية، وأن المستقبل ما زال أمامه للقيام بمهام إصلاحية، تؤمن بها الولايات المتحدة الأمريكية. وبررت عدم اتخاذ خطوات قاسية ضد النظام السوري رغم أن جرائمه فاقت بكثير ما كانت تقوم به قوات الزعيم الليبي معمر القذافي بأنه «لا يوجد شهية لذلك... لا توجد إرادة... لم نر أي نوع من الضغط مثل الذي رأيناه يتراكم من حلفائنا الأوروبيين في حلف شمال الأطلسي والجامعة العربية وغيرها لفضل الأمر نفسه الذي فعلناه في ليبيا».

بل ذهبت إلى حدّ الدفاع عن نظام الرئيس بشار الأسد قائلة: «إن الأسد قال الكثير من الأمور التي لم نسمعها من زعماء آخرين في المنطقة حول نوع التغييرات التي يريد رؤيتها».

وحسب ما نراه فإن هناك عدة مبررات لهذا الإعراض الغربي عن التعرض للنظام السوري، والتوقف عند حد

القلق تنتاب الأوساط الإسرائيلية من احتمال سقوط نظام بشار الأسد في دمشق، مضيئة أن الكثيرين في تل أبيب يصلون من قلوبهم للرب أن يحفظ سلامة النظام السوري الذي لم يحارب إسرائيل منذ عام ١٩٧٣م رغم شعاراته المستمرة وعدائه (الظاهر) لها.

خامساً: على خلاف الأوضاع في ليبيا فإن الجيش السوري ما زال يقف خلف مؤسسة الرئاسة لاعتبارات طائفية؛ وهو ما يعني أن التدخل الغربي سيكون مكلفاً، من الناحية العسكرية؛ لأنه سيواجه جيشاً متماسكاً خلف قيادته إلى حد ما. كما أن الجيش السوري، لا تعوزه المهنية، كما هو حال الجيش الليبي، وهو ما يعني أن حرباً حقيقة قد تقع عندما يتدخل الغرب عسكرياً، ومن ثمَّ يصبح حجم الخسائر في صفوف القوات الغربية أكبر من قدرتها على التحمل، في ظل المناخ الغربي المناهض للتدخل وبذل الدماء الغربية.

هل يمكن أن يغير الغرب موقفه؟

كما أسلفنا القول، فإن الغرب بيني موقفه على المصلحة السياسية دون النظر لمعيار القيم الإنسانية وغيره، ومن ثمَّ فإن موقفه يتسم بدرجة عالية من المرونة التي تسمح له باتخاذ مواقف أكثر صلابة أو أكثر رقة من النظام السوري، حسب رؤيته للمصلحة، وتقديره لأهميتها، وقدرة النظام السوري الحالي على تحقيقها.

فقد تتبدل مواقف الدول الكبرى الغربية من النظام السوري نتيجة محددين اثنين:

المحدد الأول: المصلحة السياسية التي يمكن أن يجنيها من بقاء نظام الرئيس بشار الأسد؛ فإذا ضعفت قيمة هذه المصالح، أو تبدلت، أو فقد النظام السوري القدرة على إنجازها فإننا قد نرى تغيُّراً في موقف القوى الغربية من هذه النظام.

المحدد الثاني: قوة الثورة الداخلية وتساعد قدرتها على تحقيق إنجازات حقيقة دون دعم خارجي؛ بحيث تكون قادرة بالفعل على إكمال ثورتها حتى النهاية وإسقاط نظام بشار الأسد.

حقيقةً من شكل المنطقة العربية تماماً؛ فالتاريخ يؤكد على أن مصر والشام تُعدَّان قاطرتي العمل العربي والإسلامي، وأي تغيُّر فيهما ينتج معادلات سياسية واجتماعية جديدة؛ لذا فإنه في حال سقطت ورقة بشار فإن المنطقة ستتحول إلى شرق أوسط جديد غير الذي يريده الغرب ويسعى لصناعته.

ثالثاً: الاستفادة الإسرائيلية من نظام الرئيس بشار الأسد، الذي ما زال يسم نفسه بسيد «المقاومة والممانعة»، ويصطف في مواجهة إعلامية صارخة ضد إسرائيل، وهو النظام الذي لم يطلق رصاصاً واحدة لتحرير الجولان المحتل منذ عام ١٩٦٧م، أو مواجهة الخروقات المستمرة لدفاعاته وأراضيه، أو الدفاع عن أهل غزة، ونصرة قضايا الأمة. فإسرائيل تستغل الحملات الإعلامية التي يقوم بها النظام السوري دون ملل أو كلل منذ عشرات السنين للهروب من استحقاقات السلام ورفض الانسحاب من الأراضي المحتلة بدعوى أن أمنها الداخلي ما زال مهدداً بقوة من ذلك التحالف الذي يشكِّله محور (سورية - إيران).

فالسعي السوري لعقد صفقات صاروخية مع الاتحاد السوفييتي، وسعي إيران لحيازة التقنية النووية، يدعمان بصورة مباشرة مطالب إسرائيل ببناء ترسانة عسكرية ضخمة وطلب المزيد من المعدات العسكرية الحديثة بدعوى الحفاظ على أمنها المهدد.

رابعاً: حماية حدود «إسرائيل»، ولجم الحركات المسلحة كحزب الله وغيره، وفَقَّ ضوابط وقواعد اللعبة السياسية؛ حيث ترتبط توجهات تلك الحركات بالنظام السوري، الذي ما زال حتى الآن صمام أمان لحدود إسرائيل، مجهضاً أي محاولات مسلحة حقيقة تنطلق لتتغص الوجود الإسرائيلي في الجولان، أو ترهب جيش الاحتلال داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة.

وفي حال سقوط نظام الرئيس بشار الأسد فإن إسرائيل (ربيبة الغرب)، تخشى من وجود نظام وطني سُنِّي يقود عملية تحرُّر للجولان، ويفتح على إسرائيل باباً جديداً للمقاومة على تلك الحدود الآمنة تتلاقى مع حركات المقاومة الداخلية التي يتمركز زعماءها في دمشق أيضاً.

ف «الأسد ملك إسرائيل»، كما أشارت صحيفة «هآرتس» العبرية، في تقرير نشر أخيراً؛ حيث أشارت إلى حالة من

أُذْرَاقُ

أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَلَةِ

من القرآن الكريم وصحيح السنة والنبوية

قال شيخ الإسلام: (فالأدعية والأذكار النبوية هي أفضل ما يتحراه المتحري من الذكر والدعاء، وسالكها على سبيل أمان وسلامة، والفوائد والنتائج التي تحصل لا يعبر عنها لسان، ولا يحيط بها إنسان).



في هذا الكتاب..

الثناء • الصلاة على الحبيب • الاستغفار • السؤالات • الاستعدادات
تفريغ الكرب والهم • الرقية الشرعية • أذكار الصباح والمساء

للتوزيع الخيري والمبيعات في المملكة العربية السعودية - اليمن - السودان
دار رسالة البيان للنشر والتوزيع - هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ - تحويلة ٥٠٢/٥٠٠ - جوال: ٥٠٦٤٦١٠٦٥
المنطقة الغربية: ٥٠٦٤٦١٠٥٧ - المنطقة الجنوبية: ٥٠٦٤٦١٠٥٨ - القصيم: ٥٠٢٢٢٠٦١٦
الشرقية: ٥٠٦٢٩٢٦٨٩ - مكة: ٥٠٧٢٦٦١٢٠



تطورات الثورة اليمنية والدور الخارجي لإجهاضها



أنور بن قاسم الخضري*

اتخذت الأحداث في اليمن مساراً جديداً بعد أن سعى الرئيس علي عبد الله صالح للقضاء على خصومه من خلال التصفية الجسدية عبر محاولات اغتيال شملت: اللواء ركن علي محسن الأحمر، والشيخ صادق بن عبد الله بن حسين الأحمر، والنائب البرلماني المؤتمري محمد عبد الله القاضي، وغيرهم. ومع فشل ذلك وإصرار الرئيس صالح على خوض مواجهات مسلحة ضد أبناء الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر لجرّ الوضع من ثورة سلمية (حافظت على مسارها لأربعة أشهر واجهت خلالها صنوف التأمّر) إلى حرب عسكرية تدور بين السلطة وأطراف قبليّة وأخرى منشقة عن القوات المسلحة ومؤيدة للثورة، أصبح كثيرون قلقين من غلبة هذا المنحى على طبيعة المشهد السياسي.

(*) رئيس مركز الجزيرة العربية للدراسات والبحوث.

حروب على كافة الجبهات:

وهناك رغبة في بقاء ملف القاعدة مشتعلًا في محافظة أبين جنوب اليمن عبر هجوم عسكري شامل استهدف الحجر والشجر والإنسان، وهو ما أدى إلى نزوح كثير من المواطنين عن المنطقة، وسقوط ضحايا مدنيين بالعشرات نتيجة للقصف الصاروخي والمدفعي (جواً، وبراً، وبحراً)، مع حديث مصادر إعلامية وشهود عيان عن وجود قوات أجنبية مساندة تدير المعركة وتشارك في توجيهها.

كما أن القصف على مدينة تعز - باعتبارها المدينة الأكثر حضوراً في المشهد الثوري - لا يزال مستمراً منذ أكثر من أسبوعين من قِبَل الحرس الجمهوري وقوات من الجيش والأمن المركزي بمختلف الأسلحة، وهو ما ألحق بها دماراً وخراباً كبيراً، وأسقط كثيراً من الضحايا. وهذه الحرب التي تُشن على تعز تهدف إلى إشعال فتيل الخلافات المذهبية باعتبار تعز منطقة (شافعية)، وفي حال نظر أبناء تعز لهذه الحرب المعلنه عليهم بهذه الصفة فقد يضع أبناء المنطقة في خاتمة لا خيار لهم إزاءها إلا حمل السلاح والدفاع عن النفس، وهذا ما بدأت تنحو إليه الأمور في الأيام الأخيرة.

في المقابل هناك حرب تدور رحاها في صنعاء وما جاورها ضد بيت الأحمر وقبائل أرحب وهمدان التي ساندت الثورة، وهو ما يعني إيجاد صراع قبلي على مستوى حاشد أو حاشد وبكيل. وقد استهدفت قوات الجيش الموالية للنظام في الفترة الأخيرة المدنيين، والعمران، والمزارع، وآبار المياه في تلك القرى. وقد أخذت هذه القبائل موقف الدفاع عن نفسها حاملة السلاح ومواجهة الآلة العسكرية للجيش والحرس الجمهوري.

في شمال اليمن - وتحديداً في الجوف - تدور حرب رابعة بين الحوثيين (مسنودين ومدفوعين من بعض رموز النظام المتبقية) وبين قبائل المنطقة السُّنية التي تناصر - في غالبيتها - الثورة، بمن فيها القبائل الموالية للتجمع اليمني للإصلاح أو تلك

غير أن عملية الاغتيال التي نالت الرئيس علي صالح وقيادات عليا في الدولة، منهم: يحيى الراعي (رئيس مجلس النواب)، وعبد العزيز عبد الغني (رئيس مجلس الشورى)، ود. علي مجبور (رئيس الوزراء)، وآخرون، في ٣ يونيو ٢٠١١م في القصر الرئاسي، خلطت الأوراق بشكل كبير.

ففي حين جرى توجيه الاتهام بادئ الأمر عبر تسجيل صوتي منسوب إلى الرئيس صالح لأبناء الأحمر، بعد عملية قصف صاروخي أعقبت الحادثة مباشرة لمنزل أبناء الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر في منطقة حدة، ومنزل اللواء ركن علي محسن الأحمر في المنطقة نفسها، تراجع الإعلام الرسمي عن هذا الاتهام للحديث عن هجوم للقاعدة، ثم ما لبث أن أصبحت الشائعات تتحدث عن هجوم أمريكي على القصر الرئاسي، وأخرى تتحدث عن دور إيراني في الحادثة!

وفي الوقت الذي تعاني فيه هذه القيادات من وضع صحي مأساوي تتحفظ بقايا السلطة على حقيقته حتى اللحظة، وتتكتم على التقارير الطبية في هذا الشأن، فإن اليمن يعيش في حالة فراغ كامل للدولة بكل مكوناتها؛ حيث لا يزال مجلس النواب معطلاً منذ انطلاق الثورة الشعبية، بالإضافة إلى كونه أصبح غير دستوري بانتهاء فترة التمديد التي جرى الاتفاق عليها بين السلطة والمعارضة عام ٢٠٠٩م في أبريل الماضي. أما الحكومة الحالية (التي استقال عدد من وزرائها على إثر ما جرى من اعتداء على المعتصمين في صنعاء في ما أطلق عليها بجمعة الكرامة)، فهي بموجب قرار رئاسي صدر في مارس الماضي حكومةً مقالة مكلفة بتصريف الأعمال، وهي في حقيقة الأمر لا تباشر عملها في ظل وجود قوى متنفذة (حكومة ظل) تدير الأوضاع وفقاً لأجندات أمنية خاصة. وبينما جرى تكليف نائب الرئيس عبد ربه منصور هادي بتولي صلاحيات الرئيس وفقاً للدستور، يعتبر وضع النائب - أساساً - غير دستوري؛ كونه لم يصدر في تعيينه قرار رئاسي عقب انتخاب الرئيس صالح للرئاسة عام ٢٠٠٦م.

وفي ظل غياب سلطة حقيقية تدير البلاد مع الحديث إعلامياً عن رغبة لتشكيل مجلس عسكري لإدارة البلاد لدى أبناء الرئيس وأقربائه وفي ضوء عجز نائب الرئيس عن مزاوله مهامه وصلاحياته الدستورية فعلياً؛ فإن الوضع مؤهل في أي لحظة للانفجار.

المالية لأحزاب أخرى في المعارضة. وتشير بعض المصادر في تلك المناطق (ومناطق صعدة) عن استعدادات حوثية على الأرض وأعمال تسلُّح وبسط هيمنة تتم تحت نظر النظام ومساندته ومباركته.

وهكذا فإن النظام يزرع بذور الصراع انتقاماً من شعب طلب الإنصاف وناشد حاكمه الالتزام بما تعهد به دستورياً وأعلن رفضه للفساد والظلم اللذين أصبحا مظهراً عاماً في الحياة. بينما تتحاشى جميع الأطراف (قبيلية وسياسية) الدخول في حرب مع النظام خلال هذه المرحلة التاريخية من الوعي، لكنها تبدو كمن قال: «مُكَّرَه أخاك لا بطل»، وهي تمارس الدفاع عن نفسها؛ في حين يصف إعلام السلطة ما يجري بأنه: تمرد وإرهاب وتهديد للأمن.

مواقف خارجية مخدلة:

في هذه الأثناء تراوح الولايات المتحدة الأمريكية مكانها في موقفها من الثورة الشعبية متمسكة بالنظام القائم برغم كل الجرائم التي شهدتها ساحات الثورة والاعتصامات: من قتل وفتك وانتهاك للكرامة الإنسانية والحقوق المدنية^(١). فقد صرحت وزيرة الخارجية الأمريكية «هيلاري كلينتون» على هامش حضورها اجتماع مجموعة الاتصال الدولية بشأن ليبيا في أبو ظبي بأن واشنطن تدعم انتقالاً سلمياً ومنظماً وفورياً للسلطة بما يتناسب مع الدستور اليمني.

وقد أثار التصريح استنكار واستهجان الشباب الثائرين، والمراقبين، والمحللين السياسيين في الداخل؛ لما حمله من دلالات في تعامل الإدارة الأمريكية مع الوضع القائم، بأنه أزمة بين أطراف سياسية وليس ثورة شعبية ضد نظام ديكتاتوري مستبد. غير أن هذا التصريح لم يكن غريباً على المراقبين العارفين بالسياسة الأمريكية، وهي التي ظلت تدعو الأطراف المختلفة للجلوس إلى طاولة الحوار ونبذ العنف؛ وكأن الثوار حملوا سلاحهم وتأهبوا للقتال.

بعض الناس يذهب إلى أن الولايات المتحدة تحافظ على موقع العناصر الموالية لها في النظام من قادة أجهزة أمنية وعسكرية وما تمَّ بناؤه من قوات على أيدي خبراءها وتحت نظرها؛ حيث إنها

(١) إن هذا لا يعني عدم وجود تصريحات شبه متعاطفة مع الثورة، ولكنها في الإطار العام لا تعدو أن تكون همساً إزاء ضجيج الآلة العسكرية، وهي لغة يفهمها الحكام العرب عادة.

تفضل بقاء ما تعرف على حساب ما لا تعرف^(٢).

ربما يكون لهذا التبرير شيء من المنطقية، لكن هناك روحاً براغماتية حاضرة في كافة ملفات المنطقة، تسري جنباً إلى جنب مع الهواجس الأمنية. فالولايات المتحدة تعلم بأن الشباب الثائر سلمياً لا يملك بعد شهرة من المظاهرات والاعتصامات سببلاً للمخرج سلمياً؛ وخاصة أن علي صالح أبدى صلابته وتعنّتاً في مواضعه إلى حد القتل والتهديد بالدمار والحرب الأهلية؛ كما تعلم أن المعارضة لا تملك أداة حقيقية للوصول إلى مطالبها نتيجة فقدانها لكافة أدوات التغيير الممكنة دستورياً وثورياً، بل هي بحاجة إلى سند خارجي، وهذا ما لاح مؤخراً في مطالبها من «الدول الشقيقة والصديقة» بالتدخل لإقناع صالح والضغظ عليه في سبيل الرحيل ونقل السلطة سلمياً؛ وعليه، فإن الولايات المتحدة الأمريكية بموقفها الموارب والممسك بالعصى من الوسط تحاول أن ترى أفضل العروض المقدمة من كل طرف في سبيل أن تتحاز السياسة الأمريكية إليه، فإذا رأت أنه لم يعد لأي طرف تقديم المزيد أصبح لها اختيار العرض الأنسب، كما عودتنا في أكثر من قضية.

الموقف البريطاني أيد على لسان ألستر بيرت (وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط وشمال إفريقيا) إحياء المبادرة الخليجية باعتبارها أفضل خطة لتسوية الأزمة اليمنية. وأشار بيرت في حديث لصحيفة «الحياة» اللندنية، في ١١/٦/٢٠١١م إلى أن الجهود المضنية التي بذلتها دول مجلس التعاون الخليجي قد نجحت إلى حد كبير في الوصول إلى حل للمشكلة التي كانت تبدو صعبة جداً؛ مضيفاً أن مجموعة أصدقاء اليمن ستبدأ الإعداد للفترة الانتقالية في اليمن، لمرحلة ما بعد الرئيس صالح. وهذا ما يدل على توافق المواقف بين لندن وواشنطن هذا إن لم يكونا متطابقين تماماً.

أما الموقف الإقليمي (الرافض لنجاح ثورة شعبية تعيد للناس الأمل في التغيير عبر مسار سلمية) فلم يكن بأفضل حالاً؛ فقد حاولت بعض دول الخليج إعادة الحياة إلى المبادرة

(٢) يقول الناشط السياسي والمتخصص في حقوق الإنسان موسى النمراني: «هيلاري كلينتون تعبر عن مصلحة بلادها، وهي مهتمة بأن يحدث انتقال صوري للسلطة بشكل هادئ؛ بحيث تحافظ على مصالح الولايات المتحدة التي رتبها جيداً مع نظام صالح وتخشى عليها من الجهول في حال خرجت الأمور عن نطاق السيطرة والمالوف»، العربية نت: ١٢/٦/٢٠١١م.



لها تأثيرها على إضعاف موقف النظام؛ بل ويتجاوز الأمر إلى الانتقام من الشعب عبر تحطيم بُنى الدولة، وإعدام خدمات الكهرباء والبتروول ومشتقاته، والمواجهات التي بدت تأخذ نطاقاً أوسع، ونهب ممتلكات الدولة وخزintها، وإحراق الوثائق الرسمية في بعض الدوائر والمقرات الحكومية... إلخ كل هذه مؤشرات على أن الفريق الحالي يعمل على «حرق المعبد بمن فيه».

غير أن هناك مطابخ وغرفاً مغلقة في ما يبدو؛ يجري فيها إخراج المشهد الأخير للوضع في اليمن، فصنعاء والمناطق الأخرى، ودول الجوار تشهد حوارات ولقاءات مختلفة. كما أن السفير الأمريكي بصنعاء لا يزال يعرعى جهوداً للوساطة بين الأطراف السياسية والقبلية بحثاً عن مخرج. وربما أن «المجتمع الدولي والإقليمي اقتنع بأن صالح لم يعد صالحاً لحكم اليمن، ولكن المشكلة الحقيقية أمامهم كانت في تحديد البديل المناسب لصالح»، كما قال رئيس الوزراء اليمني الأسبق حيدر أبو بكر العطاس^(٢).

وفي حال جرى الاتفاق على مخرج نهائي ربما تُحسَم الأمور بشكل مفاجئ بعيداً عن وحي الثورة. فالشباب الذين استطاعوا بذر الثورة بإرادتهم، وسقوها بدمائهم، سيكونون آخر من يقطف ثمار الثورة حقيقة إذا لم يكونوا مشاركين في رسم ملامح مرحلة ما بعد الثورة؛ لا لشيء سوى أن الأنظمة رهنّت حاضر ومستقبل الشعوب بمصيرها هي، ورهنّت مصيرها بإرادة الخارج، فكانت وسيطاً في الاستبداد؛ إذا سقطت ظهر المستبد الأكبر.

الخليجية مجدداً، رغم تمنع صالح عن التوقيع عليها مراراً؛ وهذا ما أشار إليه القيادي في أحزاب اللقاء المشترك د. محمد المتوكل في حديث خاص أجرته معه «أبناء موسكو» هاتفياً. وأضاف المتوكل أن المعارضة تتطلق من ضرورة تنفيذ بنود المبادرة أو الانتقال إلى تأسيس مجلس انتقالي^(١).

وفي حال لم تتم استجابة بقايا النظام، بمن فيهم نائب الرئيس (عبد ربه منصور هادي) للتوقيع على المبادرة بشكل فوري والبدء في تنفيذها، فإن تشكيل مجلس انتقالي بالصيغة التي يذكرها رموز في المعارضة؛ أي مجلس يفرض سلطته وصلاحياته على كل المناطق التي لا تخضع للسلطة الحالية، و«يمارس مهامه تعبيراً عن السيادة الشعبية، ويقوم بتمثيل الشعب اليمني لدى الجهات المختلفة»، فإن ذلك سوف يُدخل اليمن فعلياً في النموذج الليبي الذي تنقسم فيه البلاد إلى جزأين: جزء خاضع لسلطة النظام البائد، وآخر خاضع لسلطة شعبية جديدة.

مسار الأزمة:

يبدو أن الأمور تتجه نحو المسار الثاني، فالجهود الدولية الرامية إلى التوصل إلى اتفاق لنقل السلطة انهارت؛ لأن نائب رئيس الجمهورية رفض الحوار مع المعارضة والتعامل معها؛ كما أن السفير الأمريكي في صنعاء «جيرالد فايرستون» أبلغ قيادات أحزاب اللقاء المشترك المعارضة رفض بلاده لأي خطوة لا تتوافق مع الدستور اليمني^(٣).

أما بقايا النظام السابق من الأبناء والأقرباء، الذين أصبحوا يحملون ثأراً يضاف إلى الصفة التي وجَّهتها الثورة الشعبية إليهم؛ فإنهم على الرغم من الحديث عن نقل أسرهم وتحويل مبالغ مالية لحسابات خاصة بهم إلى الإمارات في ترتيب سري لانتقالهم إليها، لا زالوا يدبرون لأعمال انتقام شاملة تستهدف رموز المعارضة والقوى السياسية والاجتماعية التي أيدت الثورة وكان

(١) التغيير نت: ٢٠١١/٦/١٢م.

(٢) مآرب برس: ٢٠١١/٦/١٢م.

(٣) برنامج «واجه الصحافة» لداود الشريان، قناة العربية: ٢٠١١/٦/١٠م.



عامر عبد المنعم

تعيش مصر معركة من نوع خاص؛ حيث ترفض أقلية كارهة للإسلام بناء النظام السياسي الجديد عبر الصندوق الانتخابي والاحتكام لرأي الشعب، وتسعى قوى علمانية وطائفية وليبرالية لتشكيل سلطة جديدة بعيداً عن الجيش وبعيداً عن أغلبية الشعب المصري، وتقوم هذه القوى المناوئة المدعومة بالإعلام والمال بمحاولات لفرض أجندة تغريبية قائمة على تغيير هوية مصر الإسلامية، وحذف المادة الثانية من الدستور التي تنص على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع.

يعرف قادة ورموز اللوبي العلماني الطائفي أن معركتهم لن توتّي أكلها إذا سارت الأمور بشكل طبيعي؛ كما جاءت في الخطوات التي وضعها المجلس العسكري الحاكم، والتي أقرها الشعب المصري في الاستفتاء على التعديلات الدستورية في ١٩ مارس الماضي، ولكن ما تهدف إليه الحملة الضارية التي يشنها اللوبي العلماني الطائفي، هي خضوع الجيش للابتزاز والضعف لتأجيل الانتخابات، ثم إبعاد الجيش من السلطة وتشكيل مجلس رئاسي مدني، يستطيعون من خلاله القفز على السلطة والاستعانة بقوى خارجية لتثبيت الوضع لصالحهم، ولصالح هذه القوى الخارجية.

عندما تناسى المصريون هذه الصراعات التي كان الإسلاميون هم ضحاياها في كل الأحوال، وبسبب هذا التوافق والتعالي على الخلافات والحد منها: حققت الثورة أهدافها، لكن يبدو أن النخبة التي ترعرت في ظل مبارك هي التي تفتعل المعارك الجديدة للالتفاف على الثورة.

لقد استطاع اللوبي العلماني الطائفي - بسبب سيطرته على الإعلام - إحداث حالة من البلبلة التي توحى أن البلاد مقبلة على الفوضى؛ خاصة تهديداتهم المستمرة بأنهم لن يسمحوا بالانتخابات إلا بعد صدور دستور جديد علماني، لكن في إطار هذه المعركة خسروا الشارع المصري ولم يفلحوا في كسب عقول المصريين. فالهجوم على نتائج الاستفتاء الشعبي الذي يعد الأول في مصر من حيث المشاركة والوعي أظهر هذه النخبة معادية للشعب، والأكثر من ذلك فإن الهجوم العلماني ضد الجيش والإسلاميين اتسع ليشمل الشعب المصري الذي اتهموه بأنه ساذج وتارة أخرى بأنه لا يفهم.

ولا يستحي اللوبي العلماني الطائفي من القول بأن سبب رفضه إجراء الانتخابات أن الشعب سيختار الإسلاميين. وهذا يجعلهم يرفضون الانتخابات في كل الأحوال، حتى لو دخلت البلاد في الفوضى، بل إن أحد زعمائهم (محمد حسنين هيكل) طالب المشير حسين طنطاوي بالبقاء رئيساً لمصر. وللعلم فإن تبرير رفض الانتخابات بالإسلاميين سيفوزون بها هو التبرير نفسه الذي كان يردده الرئيس المخلوع وابنه جمال، والذي بسببه كانت الدولة تقوم بتزوير الانتخابات.

إن الذين يتهمون الشعب بالسذاجة وعدم النضج يمارسون الديكتاتورية في أوضح صورها، وهؤلاء الذين يشككون في قدرة الشعب المصري على الاختيار إنما هم مجموعة من المستبدن الذين نصبوا أنفسهم أوصياء على الشعب. فالشعب المصري هو الذي ثار في ٢٥ يناير، وهو الذي قدم الشهداء في ميدان التحرير وفي الإسكندرية والسويس والمنصورة والإسماعيلية ومحافظات مصرية الأخرى، والشعب المصري هو الذي كان يبيت في الميادين حتى رحل الطاغية، وهو أكثر نضجاً من هؤلاء الذين يريدون تخريب الثورة وإشعال النيران لحرق كل شيء جميل في مصر.

يرفع اللوبي العلماني شعار «الدستور أولاً» (أي: قبل الانتخابات البرلمانية)، كما يرفعون شعار «الدولة المدنية» ضد ما يسمونه «الدولة الدينية» ويساندون الإعلام الذي تربي في عهد مبارك على ما يسمى محاربة «الإرهاب» وتتضمن إليهم الأحزاب العلمانية. كل هؤلاء يجمعهم خوف مفتعل من سيطرة الإسلاميين على البرلمان القادم.

والغريب أن هذه القوى التي تدعي الليبرالية هي التي تقف اليوم ضد «الديمقراطية» وترفض الانتخابات، وتريد إطالة أمد الفترة المؤقتة وتمديد زمن الفراغ السياسي الذي تعيشه مصر وهو الذي أدى إلى شيوع كثير من ظواهر الفوضى في مجالات شتى.

وأكثر من هذا فإن هذه القوى التي تدعي الليبرالية لا تريد مشاركة الشعب في تشكيل النظام السياسي الجديد، ولا تريد احترام إرادة الشعب الذي اختار ٧٨٪ منه إجراء الانتخابات البرلمانية أولاً، وأن يقوم من انتخبهم الشعب باختيار لجنة تأسيسية لوضع الدستور الذي يعبر عن أغلبية الشعب المصري المسلم، وتصرف هذه القوى المناوئة على إهدار نتائج الاستفتاء الشعبي وأن تقوم مجموعة مختارة من الكارهين للإسلام بوضع دستور لمصر «مدنية» لا «دينية» حسب توهمهم.

إن المتابع للشأن المصري لا يمكن أن يصف الوضع الجاري إلا بأنه محاولة للانقلاب على ٢٥ يناير وتفكيك الإجماع الذي بسببه نجحت الثورة، ويريد هؤلاء الانقلابيون إعادة الوضع على الساحة المصرية إلى المربع الأول قبل الثورة؛ حيث يتعارك المصريون، ويعادي بعضهم بعضاً، وتعود قوى سياسية وشخصيات متأمركة معروفة بميولها المتغربة والممولة من الخارج بافتعال معارك مع الإسلاميين لخدمة الحلف (الأمريكي الصهيوني): تارة باسم الإرهاب كما في التسعينيات من القرن الماضي، وتارة ضد الإخوان في العقد الماضي، والآن تشن الحرب على السلفيين. وما هي إلا مسميات لكن الهدف الذي يريدون القضاء عليه هو الإسلام.

وكما نعلم فإن الرئيس المخلوع حاول أن يُتسي المصريون أن «إسرائيل» هي العدو وأشعل حسني مبارك الصراعات بين النخبة التي صنعها وبين الإسلام، ورزَع الفتن الطائفية لإشغال الشعب المصري عن معارضة حكمه، وانتهت هذه اللعبة في الثورة

والسؤال الذي تفرضه هذه الهجمة العلمانية: هل من الممكن أن تتغير هوية مصر؟ وهل يستطيع هؤلاء الانقلابيون أن ينجحوا في تحقيق أهدافهم؟

يمكن القول: إن هذا الهجوم العلماني يسير عكس عجلة التاريخ، ولن يؤدي لوقف مسار التغيير الذي بدأ بالثورة؛ وذلك للأسباب التالية:

1 الجيش أعلن تمسكه بالهوية الإسلامية لمصر منذ اليوم الأول؛ عندما اختار المفكر الإسلامي الشهير المستشار طارق البشري رئيساً للجنة التعديلات الدستورية، واختار معه صبحي صالح وهو محام ينتمي للإخوان في اللجنة؛ وذلك لطمئنة الأغلبية المسلمة من الشعب المصري 95% بأن الهوية الإسلامية للدولة أمر لا نقاش حوله. بل أكد المجلس العسكري في ما بعد أن الهوية الإسلامية والمادة الثانية المتعلقة بالشريعة فوق دستورية. كما نص الإعلان الدستوري الذي أعلنه الجيش على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع وأبقى على المادة التي يفعل العلمانيون والنصارى حولها الجدل.

2 الشعب المصري لن يتخلى عن إسلامه، ولن تفلح الحملات الإعلامية في تخويف المصريين من الدين، وخير مثال على ذلك ما حدث في الاستفتاء على التعديلات الدستورية، فلم يستجيب المصريون للتحريض الذي شنه اللوبي العلماني الطائفي، وفشل البث الفضائي والإعلام المقروء في حشد الشعب المصري لرفض التعديلات الدستورية، وكانت النتيجة بالموافقة صادمة لهذا اللوبي المحارب لدين الأمة. ومن هنا، فإن أي دستور يحتاج إلى موافقة الشعب لإقراره، وبالتأكيد أي محاولة لصياغة دستور مجرد مصر من إسلامها فلن يقبله الشعب وسيكون مصيره الفشل.

3 الهجوم على الإسلاميين لإقصائهم، وعلى الجيش لإبعاده عن السلطة: سيجعل تحالف الاثني معاً هو الخيار المتاح والأقرب للتحقق. فالجيش القابض على السلطة لكونه المؤسسة الوحيدة المتماسكة الباقية بعد انهيار النظام، يحتاج إلى ظهور شعبي يسانده لفرض الاستقرار، والإسلاميون هم القوة الشعبية الكبرى في المجتمع. وفي المقابل فإن الحرب الشرسة ضد الإسلاميين والمؤسسة العسكرية أسقطت كل رموز الحلف العلماني الطائفي على المستوى الشعبي وأحرقت كل تكويناته وشخصياته. وسقطت أحزاب قبل تأسيسها بشكل رسمي مثل حزب (المصريون الأحرار) الذي أسسه رجل الأعمال المسيحي نجيب ساويرس، وهو ما اضطره لنشر إعلانات في الصحف

يؤكد فيها أنه ليس ضد الشريعة، وأن أغلبية أعضائه مسلمون. **4** الانقلابيون ليس لديهم امتدادات شعبية مؤثرة ويعتمدون في مجملهم على قوتهم الإعلامية وبعض فلول النظام السابق الذين لهم مواقف عدائية من الإسلام، ويستعينون بالدعم المالي الأمريكي والغربي، وبعض الشخصيات التي أرسلتها الولايات المتحدة وهبطت على الثورة بـ «الباراشوت»، بالإضافة إلى الكنيسة الأرثوذكسية التي تضغط بكل قوتها لـ «تفشيل» المجلس العسكري لاستدعاء الخارج ظناً منها أنه يحقق لها مصالحها. والحقيقة أن كل هؤلاء المتحالفين لا يستطيعون التأثير على أغلبية الشعب المصري (المسلم). وفي أي مواجهة حقيقية عبر صندوق الانتخابات سيندحر الانقلابيون ولن يكسبوا شيئاً. لا يمكن النظر إلى ما يحدث في مصر على أنه شأن داخلي؛ فأمرىكا تدير المعركة داخل مصر منذ اليوم الأول للثورة، وهناك غرفة عمليات تتابع بشكل يومي ما يحدث وتدير الصراع لاحتواء الثورة وتوسعي لإعادة الإمساك بزمام الأمور في أكبر بلد عربي. فمصر ليست مجرد دولة عادية؛ وإنما هي دولة محورية يترتب على تغيير نظام الحكم فيها انقلابات إستراتيجية بالمنطقة كلها. إن تشكيل نظام حكم مستقل عن الغرب في مصر سينيهي الهيمنة الغربية على المنطقة، وسيفرض أوضاعاً جديدة في العقد الجاري الذي يشهد تحولات كبرى. والمتابع للتحرك الأمريكي تجاه مصر يلحظ التدفق المالي باسم دعم الديمقراطية لتمويل صحف وفضائيات، ولتأسيس أحزاب وائتلافات وجمعيات ومنتديات؛ تبدو من بعيد أنها مدارس مختلفة، لكن مع قليل من التركيز نراها تتجمع وتصلف في جبهة واحدة، تضرب في اتجاه محدد وهو منع الشعب من ممارسة حقه في اختيار حكومته وتأسيس نظام حكم مستقل عبر الصندوق الانتخابي، والضغط على الجيش لابتعد عن السلطة وتسليمها للعلمانيين. إن هذا لا يعني عدم وجود بعض المخلصين يسرون مع الحلف العلماني الطائفي متأثرين بألة الإعلام الضخمة والطرق المتواصل على الأذان، لكن مع الوقت تتكشف الحقائق ويحدث التمايز.

وفي النهاية ستسفر المعركة عن بروز تيارين واضحين:

الأول: تيار وطني إسلامي، يتكون من الجيش والإسلاميين وقوى وطنية رافضة للهيمنة الغربية.

والثاني: تيار موالٍ للغرب يضم الكارهين للإسلام وأقليات طائفية متعصبة.

وسينتصر التيار الأول - بإذن الله - وسيتلاشى التيار الثاني ويدخل الجحور.

الرضيع

طفلي الرضيع
خصائصه - صحته - تربيته

مشروعنا
وظف مختلف
المتخصصين

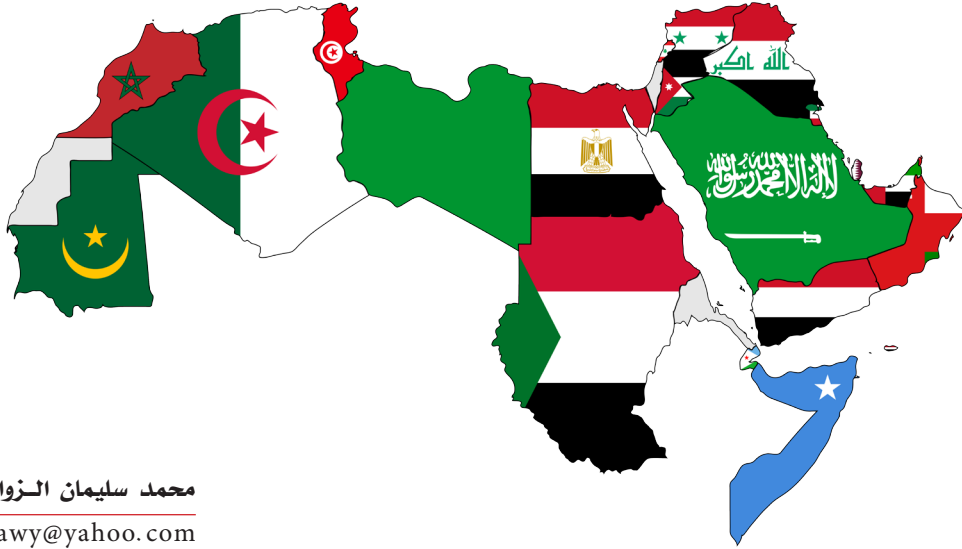


مشروعنا:

- بناء علمي منهجي.
- تنوع في شكل المعلومات.
- توظيف المتخصصين بكافة مجالاتهم في مراحل المشروع.
- توسيع دائرة المشرفين في منتجات المشروع.
- تنوع بيئات المشاركين وتجاربهم.

www.albayan.co.uk

الرياض: هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦



محمد سليمان الزاوي (*)
zawawy@yahoo.com

مستقبل النظام الإقليمي العربي في عصر الثورات

جديدة لهم، غير عربية أيضاً، بضغط على الدول العربية وغير العربية مثل تركيا وإيران. ففي السابق كان النظام الإقليمي العربي في حالة موت سريري، وكائن القمم تعقد وتتفرض دون أي أثر يذكر لها؛ فقد كانت اجتماعات جامعة الدول العربية بمثابة منتدى لقليل من الحوار وبعض من الدردشة ولكثير من الشجار والاختلاف، حتى صرَّح القذافي في إحدى (تجلياته) أنه لا يوجد ما يجمع العرب سوى غرفة اجتماعهم، ثم ينفذ الجميع ويعودون إلى حال سبيلهم، وتظل القضايا العالقة منذ عشرات السنوات - مثل القضية الفلسطينية وغيرها - تراوح مكانها، بدون أي أثر للعرب؛ سواء في السياسات الإقليمية أو الدولية؛ وذلك بسبب بنية النظام الإقليمي العربي وبسبب اختلاف رؤى حكومات الدول (أو الأفراد الحاكمين على الأرجح)، وكذلك بسبب عدم وضوح آلية صنع القرار في

تشهد المنطقة العربية تحولات كبرى من شرقها إلى غربها، فلم يكد العالم العربي يفيق من أزمة احتلال العراق وقرب انسحاب القوات الأمريكية منه حتى صحا على عصر الثورات العربية وما يحمله من تداعيات مفصلية على المنطقة بكاملها؛ فقد تغير النظام المصري ودخلت ليبيا في أزمة وحرب أهلية بتدخل عسكري أجنبي فيها، بالإضافة إلى تغيير النظام في تونس وترشح أنظمة أخرى من المرجح أن تسقط هي الأخرى في سوريا واليمن، مع انفصال ونشوء دولة جديدة جنوب السودان واقتطاع جزء هام من الوطن العربي لصالح القوى الغربية... في حين أن أزمات كبرى من المتوقع نشوبها في المستقبل القريب أيضاً مع السقوط المحتمل للنظام السوري وإغواء أكراد سوريا للانضمام إلى أكراد العراق لإنشاء دولة

(*) باحث ماجستير في العلوم السياسية.

أما المسار الثاني: فهو التحركات العسكرية التي تستخدم فيها الدول الغربية ألتها العسكرية في صورتين: الصورة الأولى: هي الإغراء بتمويل الأسلحة الغربية المتقدمة مقابل فرض أجنداتها على الدول العربية. والصورة الثانية: هي التدخل العسكري المباشر مثل الحالة الليبية من أجل ترسيخ أقدامها في المنطقة، ومن أجل رفع أسهمها في التحكم في الأوضاع في البلدان العربية بعد انقشاع غبار المعارك، وما سوريا عن ذلك ببعيد أيضاً مع تطورات الأوضاع في البلاد وحدث مزيد من الانشقاقات في صفوف الجيش وتحول الصراع إلى المرحلة التالية التي من المتوقع ألا تتحملها تركيا (عضو حلف شمال الأطلسي) بسبب نزوح اللاجئين إليها وتداعيات ذلك على القضية الكردية، ومن المرجح أنها سوف تدعن في النهاية لأي مطالبات بتدخل عسكري دولي كما أذعن من قبل في ليبيا.

والمسار الثالث: هو ورقة القوة الاقتصادية التي تلعب بها الدول الغربية أيضاً ذات الملاءة الاقتصادية الكبيرة: فمنذ زمن والاتحاد الأوروبي صاحب مصلحة أصيلة في دول الشمال الإفريقي، ومن أولوياته الكبرى التحكم في مسارات التحول الجاري الآن في كل من مصر وليبيا وتونس؛ فالمصلحة الأوروبية تتمثل في ربط تلك الدول اقتصادياً بالاتحاد الأوروبي من أجل انتشالها من أزماتها ومن ثم ربطها بالكيان الأوروبي لتقليل الهجرة من الجنوب إلى الشمال، وكذلك تقليل مخاطر الأرهاق وانتقاله إلى أوروبا وكافة أشكال الجريمة المنظمة، ومن أجل استقرار حوض البحر المتوسط بكامله، وهي من أهم أبعاد السياسة الخارجية والأمنية للاتحاد الأوروبي، وفرنسا هي التي تقود القاطرة الأوروبية في هذا المجال لمصلحتها في استقرار الجنوب بسبب الجالية المغاربية الكبرى لديها، وهي التي تسبب لها مشكلات اجتماعية واقتصادية وأمنية ضخمة، وكانت فرنسا من أولى الدول التي رعت اتفاقيات برشلونة والاتحاد من أجل المتوسط والشراكة (الأورومتوسطية) وغيرها، وكل تلك المبادرات تهدف في النهاية إلى إبعاد دول الشمال الإفريقي عن الفلك العربي ودورانه في الفلك الأوروبي (سياسياً واقتصادياً وثقافياً)، بتغيير طبيعة النظام الإقليمي، وبنهش دول الشمال الإفريقي من المنظومة العربية وضهما

الجامعة العربية، وهذا أدى إلى عدم التزام الجامعة بكثير من المعاهدات والاتفاقات البينية التي وقَّع عليها العرب، أو التي تحلم بها الشعوب، مثل: اتفاقية الدفاع العربي المشترك أو الاتحاد الجمركي العربي أو السوق العربية المشتركة وغيرها. لذا توقع الجميع (محللون وشعوب) سقوط النظام الإقليمي العربي لا محالة، ولم يكن الخلاف حول إذا ما كان النظام الإقليمي العربي سيسقط أم لا؟ ولكن السؤال كان: متى؟ وكيف؟ وما هي تداعيات ذلك؟ وهل هناك أمل في إصلاحه، أم أن الوقت قد فات؟

وفي عصر الثورات العربية ومع إعادة تشكُّل القوى في المنطقة، فإن الدول الكبرى تبيد هي الأخرى حساباتها وتعيد رصد مصالحها ونصيبها في الوضع الجديد؛ ففي أوائل القرن الماضي ومع سقوط الخلافة العثمانية دخلت المنطقة العربية في حالة مشابهة من السيولة والتقسيم بين المنتصرين في الحرب العالمية الأولى، وتحولت تركة الرجل المريض إلى سكنين جزار (سايكس بيكو) لإعادة تشكيل المنطقة بنشوء دول جديدة وبوضع مناطق تحت السيطرة البريطانية والفرنسية. واليوم فإن الدول العربية في حالة مشابهة وبأطماع للدول الغربية في التحكم في عمليات التحول السياسي التي تجري في العالم العربي؛ من أجل خروج أنظمة موالية لها من رحم تلك الثورات أيضاً؛ لذا فمن المتوقع أن تتحرك الدول الغربية على عدة مسارات من أجل تحقيق مصالحها العليا في تلك المنطقة الهامة من العالم.

أولى تلك المسارات هو مسار دعم التحول الديمقراطي في الدول الناشئة بتقوية الجماعات الليبرالية والمالية للنظم الغربية على حساب الحركات الإسلامية والقومية، وقد رأينا منذ زمن نشاط تلك الدول بدعم عمليات التحول الديمقراطي بتمويل للجمعيات الأهلية والمنظمات غير الحكومية ومنظمات المجتمع المدني، وتتفق الولايات المتحدة مليارات الدولارات على تلك النشاطات، بالإضافة إلى تقاطع مصالحها مع مصالح الجماعات الليبرالية وتحركات بعض الأقليات الدينية في الدول الكبرى مثل مصر، وبالإنفاق على المسارين (السياسي والإعلامي)، وبتطوير آليات للتواصل الجماهيري في تلك الدول استعداداً لتشكيل الرأي العام في حقبة ما بعد الثورات.



في تلك البلدان، وهو ما سيؤدي إلى انتقال المشكلات المختلفة داخل الوعاء الواحد الجديد، وكل ذلك سيتم في ظل ترقُّب من الشعوب على المستويات الأوسع لدول الخليج العربي.

وفي كل ذلك السياق تبرز قضايا أخرى مثل الصراع بين الأنظمة الملكية والجمهورية، كما كان في السابق في حقبة الستينيات، ودائماً كانت وستظل اليمن هي حجر الزاوية في ذلك الصراع بسبب الاختلاف في نظام الحكم الجمهوري عن بقية البلدان الخليجية وبسبب موجة الثورة التي تجتاحها الآن التي من المتوقع أن تسفر عن تحولات كبرى في ذلك البلد ذي الموقع الإستراتيجي على خليج عدن، وهو الذي يستدر الاهتمام الغربي بشدة، بوجود ثورانٍ شبابي يطالب بالتغيير وبمزيد من أسهم الشعوب في إدارة البلاد، هذا بالإضافة إلى طبيعة الدولة اليمنية الفقيرة من ناحية الموارد الاقتصادية التي تجعلها دائماً عرضة للقلق والاضطرابات ومن ثمَّ تدخلات عسكرية من الدول الأجنبية ذات المصلحة شرقاً وغرباً، من إيران ومن الولايات المتحدة، بعكس الدول الخليجية الأخرى التي ظلت الوفرة الاقتصادية فيها بمثابة الغمامة التي تحجب ولكن لاتمنع أية مشكلات سياسية تبرز على السطح.

ويظل البعد الخارجي للدول من خارج الإقليم العربي مثل تركيا وإيران والدول الغربية ذا أهمية خاصة في التأثير على مجريات الأحداث في العالم العربي وفي شكل البنية الهيكلية التي قد تخرج من رحم تلك المرحلة الهادئة، فالدور الإيراني محفز على مزيد من التمحور حول الذات العربية والخوف من أطماع تصدير الثورة إلى المنطقة، وهو دور دافع إلى مزيد من العمل العربي المشترك وإلى التمحور والتخندق والتعاون، بينما يظل الدور التركي راجعاً في مزيد من التعاون الإقليمي والاقتصادي بعيداً عن منظومة العمل العربي، ولكن بإنشاء كيانات جديدة تخدم المصالح التركية الاقتصادية ولمد نفوذها وقوتها الناعمة على المنطقة، بعقد اتفاقيات للتجارة الحرة وإنشاء منظمات إقليمية اقتصادية جديدة تكون نواة لمشروع اتحاد إقليمي بديل من وجهة نظر تركية، تكون فيها أنقرة قائدة ورائدة لعملية اتحاد جديدة على غرار الاتحاد الأوروبي، بدلاً عن رفض أوروبا لانضمامها. أما الدول الغربية فهي أمام فرصة سانحة قد لا تعود مرة أخرى بتشكيل المنطقة وفقاً لأهوائها؛ بتصدير مقومات

إلى المنظومة الأوروبية في إطار ما يسمى بسياسة الجوار الأوروبية، وبإفراغ النظام العربي من أهم لاعبيه في إفريقيا، وهو ما يؤدي في النهاية إلى انهيار النظام الإقليمي العربي، وتمحور الدول العربية الآسيوية في كيانات وتحالفات أخرى. والشطر الآسيوي هو الآخر يواجه مشكلات جمة في الشمال في العراق ورجبات تقسيمه ومشكلات الانقصال الكردية، والأوضاع في سوريا والنفوذ الإقليمي التركي، والتهديدات الإيرانية شرق الخليج، وكذلك مشكلة الأنظمة القبلية والملكية في بعض تلك البلدان، وتحديات جمة على شكل الأنظمة السياسية في عصر التحولات الثورية وحقبة استلام الشعوب زمام سيادتها من جديد، وتحديات على البنية الهيكلية السياسية لتلك الدول التي بدأت تشعر بالخطر وتأخذ بمبادرات للمتحور حول الأنظمة الملكية بمبادرة من مجلس التعاون الخليجي يضم الدول العربية الملكية الأخرى إليه وهي الأردن والمغرب، بالرغم من البعد الجغرافي والتركيبة الاجتماعية المختلفة، وهي خطوة تبدو أنها للتخندق حول الذات من أجل مواجهة العاصفة المتوقعة القادمة، وهي إن لم تكن ثورات فستكون مطالب أعلى من الشعوب للتحكم في مصائرها والمشاركة في إدارة الدول وعملية صنع القرار فيها ومحاسبة حكامها، ومزيد من العدالة الاجتماعية والعدالة في توزيع الثروة.

ويأتي ذلك أيضاً في ظل أطماع إيرانية والتهديد بإحراق المنطقة عن طريق التدخل الإيراني في البحرين على سبيل المثال، وهو ما جعل مفكرين سياسيين خليجيين يطرحون فكرة مبادرة الكونفيدرالية الخليجية، وهي خطوة رشيدة من حيث الدواعي الأمنية وبسبب الطبيعة الديموغرافية لشعوب الخليج وخاصة الشريط الشرقي منه، وفي ما يتعلق بدمج الدول ذات الغالبية الشيعية إلى كيان أكبر يحمي من الانفصال وتغيير طبيعة المنطقة، ولكنه خيار خطر من الناحية السياسية يضم دول ذات طبائع حكم مختلفة تحت مظلة واحدة، وسوف يؤدي ذلك إلى انتقال مشكلات السياسة والحكم من دولة إلى أخرى، فالدول الخليجية ذات طبيعة مختلفة في ما يتعلق بالانفتاح السياسي، ودرجات متفاوتة من الحكم الذي يتراوح ما بين الملكية المطلقة والملكية الدستورية، وما بين دولة القبيلة وما بين مستويات مختلفة من صلاحيات البرلمانات ومجالس الشورى

لستقبل أفضل للجميع، فالكل يعكف على إعداد بيته الداخلي والنظر في حزمات تتراوح ما بين تهديئة ومسكنات وما بين إصلاحات جذرية: ما بين نفحات مالية، وما بين التنازل عن بعض الصلاحيات السياسية للنظام، وما بين إفصاح مساحة أكبر قليلاً للشعوب، وما بين إصلاحات سياسية جذرية في بعض البلدان التي تقع تحت سيف الثورات أو التدخل العسكري الأجنبي، مثل حاليّ ليبيا وسوريا.

لذلك من الأهمية بمكان ما يحدث الآن من مخاض سياسي داخل الدولة المصرية التي تُعد حجر الزاوية في السياسات العربية؛ فمصر شاءت أم أبت تظل الدولة المحورية في منظومة العمل العربي، وسوف تحدد مخرجات العملية السياسية الجارية الآن في مصر إلى حد بعيد شكل منظومة العمل العربي القادمة، التي من المتوقع - بأي حال من الأحوال وبصرف النظر عن المنتصرين في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية القادمة - أن مصر ستعود للمُ الشمل العربي ولقيادة منظومة العمل العربي المشترك مرة ثانية، فهذه مصلحة عليا وهدف براغماتي يحث لأي زعيم مصري جديد، فالدائرة العربية ستكون من أهم دوائر التحرك والنفوذ الجديدة التي يجب أن يتحرك فيها الزعيم المصري القادم، بالإضافة إلى الدائرة الإفريقية والدائرة الإسلامية الأوسع وإلى إعادة ضبط شبكة تحالفات الدولة المصرية في حقبة ما بعد مبارك.

فمصر على المستوى الشعبي تتوق بشدة إلى مواصلة العمل العربي المشترك، وكانت سياسات عبد الناصر القومية العربية هي المحفز لكثير من الحركات المشابهة على مستوى العالم العربي، وكانت حقبة عبد الناصر بما فيها من سلبيات جمة هي حقبة اللُحمة العربية، ولكن خلفاءه جاؤوا ليحطموا تلك الإستراتيجية وولّوا وجه مصر نحو قبالات شتى انتهت بأن وضعوا وجهها إلى الحائط قبيل سقوط النظام، واستطلاعات الرأي تظهر أن الرأي العام المصري يريد ولادة جديدة لبلادهم، وأنهم يريدون المحافظة على هويتها العربية والإسلامية، ويظهر ذلك في تصريحات مرشحي الرئاسة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، انعكاساً بالتأكيد لنفض الجماهير، التي باتت لا تقبل بمزيد من الوصاية الغربية على العملية السياسية وأكثر ميلاً إلى تدعيم القضايا العربية،

حضارتها الغربية إلى العالم العربي، بأنظمة حكم غربية وبإجراء عملية تحول ثقافي وحضاري لشعوب المنطقة، وبمد يد العون الاقتصادية والعسكرية من أجل فتح أبواب الكيان العربي لأحصنة طرودة جديدة على مختلف المستويات، باستغلال أقطابها داخل الشعوب العربية من أجل تمرير أجنداتها التي تهدف إلى نزع البعدين الإسلامي والقومي عن السياسات العربية واستبدالهما بالبعد الليبرالي العلماني الذي لا يرى ضيراً من السلام مع إسرائيل وقبول كافة أشكال الحياة الغربية، من أجل التطبيع الكامل في العلاقات ما بين الغرب وإسرائيل من جهة، وما بين العالم العربي من جهة أخرى؛ وذلك تحقيقاً لمصالح الغرب العليا وفرض أجنداته الحضارية.



وفي ظل كل تلك الظروف الإقليمية العصبية، فإنه من غير المتوقع عقد قمة عربية قريبة بسبب المشكلات التي تمر بها المنطقة، وبسبب عدم انتخاب زعماء جدد في عدد من البلدان العربية في ظل الثورات التي تشل بعضها الآخر عن الالتفات إلى أية اجتماعات، وكل تلك الظروف تمثل فراغاً زمنياً مواتياً يمكن من تهيئة الساحة لمزيد من التدخلات الأجنبية من خارج الإقليم للضغط على بلدانه من أجل رسم السياسات العربية في ظل انهيار منظومة الاتصال بين القادة في الفترة الراهنة؛ فلا أحد من القادة العرب الآن يتمتع برهاية الجلوس والمحاورة ورسم السيناريوهات أو التخطيط



مثمًا أظهرت استطلاعات الرأي المصرية تجاه تمويل أمريكا للأحزاب السياسية الجديدة، حتى بين الجماهير التي ترى الولايات المتحدة على أنها نموذج سياسي جيد لمصر الحديثة. فقد نشر معهد جالوب لاستطلاعات الرأي استبياناً حول إذا كان الشعب المصري يفضل أو يعارض إرسال الولايات المتحدة مساعدات للجماعات السياسية في مصر، فكانت النتيجة كالتالي:

المصريون الذين يرون الولايات المتحدة نموذجاً	المصريون عامة	
١٠٪	١٣٪	يفضلون
٨٨٪	٧٥٪	يعارضون
٢٪	١٢٪	لا أعلم

• استطلاع أجراه معهد جالوب في مصر في الفترة من ٢٥

مارس إلى ٢ أبريل ٢٠١١م^(١).

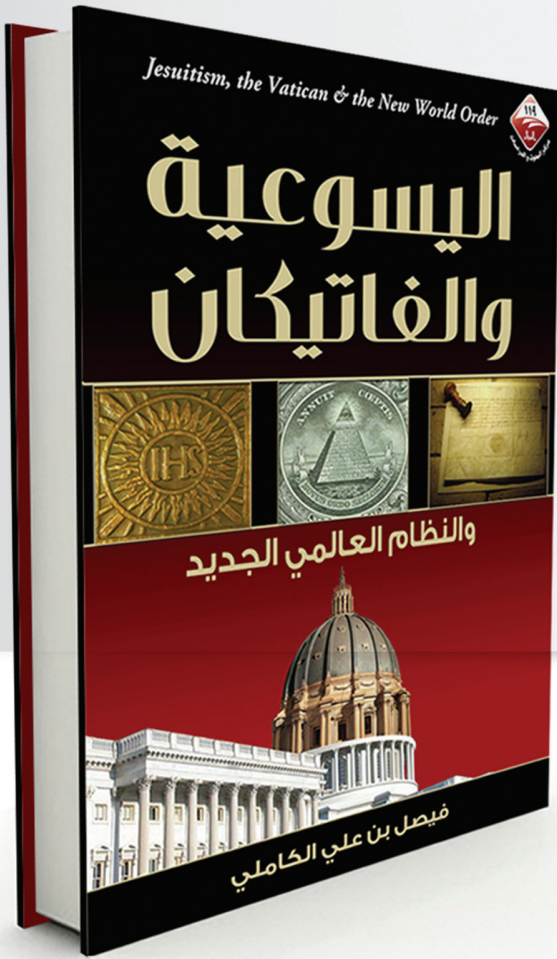
وهذا الاستطلاع يؤكد أن الشعب المصري يريد استقلالية عن الولايات المتحدة حتى بين أولئك الذين يرونها نموذجاً من ناحية النظام السياسي، كما أظهر الاستطلاع نفسه أن ثلثي المصريين متشككون من الدور الأمريكي في مصر ما بعد الثورة، وأن أمريكا ستدعم ديمقراطية حقيقية في بلادهم؛ وذلك في ما يبدو بسبب الموقف الأمريكي من تجربة حماس الديمقراطية في غزة، وقال ٦٩٪ من المصريين أيضاً: إنهم يريدون من القادة الدينيين أن يقدموا النصح للقادة السياسيين، في ما يبدو أنه رغبة مصرية في توسيع دور الدين في الحياة العامة في البلاد، وهو ما يعني الرغبة في العودة إلى الأصول العربية والإسلامية. وفي ما يتعلق بالبعدين (العربي والإسلامي) صرح ٦٨٪ من المصريين بأن صورة الولايات المتحدة لديهم ستتحسن إذا ضغطت على إسرائيل لوقف المستوطنات، و ٦٦٪ إذا سحبت قواتها من العراق و ٦٠٪ إذا سحبت قواتها من أفغانستان، وهذا يشير أيضاً إلى قوة الوعي لدى الشعب المصري واهتمامه الكبير بقضايا أمته العربية والإسلامية. كما أن تلك الاستطلاعات ضاغطة على الإدارات الأمريكية الحالية والقادمة من أجل تغيير سياساتها في المنطقة للحفاظ على حليفها الكبرى مصر^(٢).

(١) معهد جالوب، على الرابط التالي:

<http://www.gallup.com/poll/147953/Egyptians-Oppose-Aid-Political-Groups-Country.aspx>.

(٢) معهد جالوب.

وفي النهاية سيظل مستقبل النظام الإقليمي العربي مرهوناً برغبة وقدرة الشعوب العربية عامة من المحيط إلى الخليج على استلامها لزام المبادرة والتحكم في مصائرهما؛ فكلما زادت حصة الشعوب العربية في إدارة بلدانها، زادت احتمالات التقارب العربي واحتمالات إنعاش النظام الإقليمي بضع مزيد من الأوكسجين للجامعة العربية التي ترقد في غرفة العناية المركزة منذ عقود، وبإجراء عملية إصلاح شاملة لها. كما أن استلام الشعوب العربية زمام المبادرة سوف يزيح جانباً كبيراً من أمراض العمل العربي المشترك السابقة، التي كانت تتمحور حول الأشخاص وليس المصلحة العليا للدول العربية، ويظل التحدي هو مدى وعي الشعوب العربية وإدراكها للمصالح الجامعة لها، ووعي قادة الرأي والمصلحين والمتحكين بوسائل الإعلام العربية وإدراكهم للمصالح العليا المشتركة للدول وللإقليم ككل، وقيادة الرأي العام العربي نحو مزيد من التكامل والتلاحم لترشيد العمل العربي المشترك، كنقطة انطلاق نحو الخطوة التالية: ترشيد العمل الإسلامي المشترك.



اليسوعية والفاتيكان و النظام العالمي الجديد.

جديدنا

اكتشف السر بعد خمسمائة عام من نذور الكتمان !

- ما أخطرُ الجماعات السرية على الإطلاق ؟ ولم لا نعلم عنها شيئاً ؟
- ماذا تعرف عن ((أصحاب الأيكة)) الجدد ؟
- هل الماسونية حقاً صناعة يهودية ؟ فمن تخدم إذن ؟
- لم لا تتغير سياسة أمريكا بتغير الزعماء ؟ ومن هو الموجه الحقيقي لهذه السياسة ؟
- ما حقيقة التحالف البابوي - الصهيوني ؟ وماذا يراد للقدس ؟
- وثائق سرية وحقائق مزعجة تقرؤها لأول مرة بالعربية في كتاب ((اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد))!

الرياض: هاتف: ٤٥٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٢٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٥٠٢٢١٠٩٢٠ - ٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة: ٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة: ٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٥٠٢٢٢٠٦١٦



جلال سعد الشايب
galal_elshayp@hotmail.com

برلسكوني كان يدفع إتاوة للمافيا

أكد عضو سابق من المافيا الإيطالية أن رئيس الوزراء الإيطالي (سيلفيو برلسكوني) كان يدفع بانتظام ستمائة مليون ليرة إيطالية قديمة شهرياً «إتاوات» للمافيا؛ حفاظاً على حياته وحياة أسرته. وقالت وكالة الأنباء الإيطالية آكي: إن جوفاني بروسكا قال أمام محكمة: إن برلسكوني كان يدفع إلى زعيم المافيا (ستيفانو بوننادي)، وبعد موت هذا الأخير أصبح يدفع إلى قائد المافيا الشهير (سالفيتوري توتو رينا) الذي كان يُطلق عليه لقب «زعيم الزعماء»، وهو الذي اعتقل في عام ١٩٩٢م، وكان بروسكا أحد مساعديه. ومثّل بروسكا أمام المحكمة للاستماع إلى أقواله في القضية المعروفة إعلامياً بالمفاوضات التي جرت بين الدولة والمافيا، بغرض إقناع الأخيرة بوقف تفجيرات شنتها أوائل تسعينيات القرن الماضي.

وقد تعرّض برلسكوني فعلاً لهجوم حسب بروسكا، الذي تحدث أيضاً حسب إل كوريري دي لا سيرا عن مفاوضات كانت تجري بين مافيا (كوزا نوسترا) وعضو مجلس الشيوخ (نيكولا مانتشينو) الذي شغل حينها منصب وزير الداخلية.

[يو بي آي، والصحافة الإيطالية ١٨/٥/٢٠١١م]

نائب أمريكي: على العراق أن تردّ لأمریکا نفقات غزوها!

اقترح النائب دانا روراباخ (العضو بمجلس النواب عن الحزب الجمهوري من ولاية كاليفورنيا) أنه على العراقيين أن يردّوا الأموال التي أنفقتها الولايات المتحدة في غزوها واحتلالها بعد أن يعودوا بلداً ثرياً؛ وذلك خلال زيارة قام بها إلى بغداد ضمن وفد مع نواب أمريكيين آخرين، خلال هذا الشهر.

وقد أثار هذا التصريح غضباً عارماً في الأوساط السياسية والشعبية العراقية التي لم يكن لها كلمة في الغزو؛ فبينما فرح معظم العراقيين للإطاحة بنظام الرئيس صدام حسين، إلا أنهم يحملون الولايات المتحدة مسؤوليّة الفوضى والعنف الطائفي الذي تلا الغزو والاحتلال.

كما وصف رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس النواب العراقي همام حمودي هذه التصريحات «بالغبية» وقال: إنه ينبغي على الأمريكيين أن يعوّضوا العراق وليس العكس، مضيفاً أن هذه الأقوال تدفع الشعب العراقي إلى المطالبة بالتعويض لما لحق ببلاده جراء الغزو الأمريكي الغاشم.

[مواقع ١١/٦/٢٠١١م]

يساريون إسرائيليون لأوروبا: اعترفوا بدولة فلسطينية

دعت مجموعة من الشخصيات اليسارية البارزة في إسرائيل في خطاب أرسلته إلى دول الاتحاد الأوروبي إلى ضرورة الاعتراف بدولة فلسطينية في الاجتماع القادم للجمعية العامة للأمم المتحدة في شهر سبتمبر القادم.

وقالت فيه: «في مواجهة الماطلات التي تبدو بلا نهاية، وانعدام الثقة المتبادل بين الجانبين، فإن إعلان دولة فلسطينية مستقلة ليس أمراً مشروعاً فحسب، بل خطوة إيجابية وبناءة تصبّ في مصلحة الشعبين».

وجاء في الخطاب: «إن فشل المجتمع الدولي - وبخاصة الولايات المتحدة - في إعادة الحياة لمفاوضات السلام يعكس حقيقة محزنة لا يمكن إنكارها، وهي: أن السلام بات رهينة لدى «عملية السلام» بدلاً من أن يكون هدفاً لها».

وعلّقت المجموعة بأن «مشهد الرعب الذي قدّمه نتنياهو في واشنطن والتأييد غير المشروط الذي حظي به من جانب الكونغرس الأمريكي، قد يعني في الواقع إسدال الستار على عملية السلام برمتها؛ وإلا فإن البديل الوحيد المتاح أمام الفلسطينيين هو الدفع في اتجاه إعلان دولتهم مع كل ما يحمله ذلك من مخاطر اندلاع موجة جديدة من العنف في المنطقة».

[شبكة السبي إن إن العربية، ومواقع الجزيرة]

[مواقع ١١/٥/٢٠١١م]

دحلان: لن أكون كبش فداء لفساد عباس

اتهم عضو اللجنة المركزية لحركة فتح (محمد دحلان) الرئيس الفلسطيني محمود عباس (أبو مازن)، بالفساد المالي والإداري في رسالة خطيرة بعث بها إلى اللجنة المركزية لحركة فتح. وقال دحلان في رسالته: «إن المسألة ليست مجرد تقارير مدموسة أعدها صغار وبيث فيها الحاقدون سمومهم، بل نية دفينية وإرادة حقيقية من جهة الأخ رئيس حركة فتح لاستبعاد محمد دحلان بأية طريقة كانت وبأي ثمن، معتقداً وموهوماً برؤى مستشاريه: أن هذه المعركة ستقويه ضد هذا الفراغ السياسي الشامل، وأن دحلان سيكون موقفه ضعيفاً، ومن ثمَّ تكون الفرصة مواتية لتقديمه كبش فداء عن كل الأخطاء والجرائم السياسية والتنظيمية والمالية التي ارتكبت تحت إدارته تمهيداً لتصفية حساباته مع حركة فتح ورجالها المخلصين».

وقال دحلان: «إن قرارات الرئيس الفردية وسلوكه هو الذي أضاع غزة؛ من خلال إهمالها وتجاهلها وغياب أية رؤية أو خطة إستراتيجية حولها على مدار أربع سنوات».

وختم رسالته بقوله: «إنها لثورة حتى النصر... شعار كدنا نساها في عهد الرئيس أبي مازن».

وعلى إثر هذه المذكرة، كشفت مصادر في اللجنة المركزية لحركة فتح الفلسطينية، أن اجتماعاً عقد في مقر الرئاسة الفلسطينية في رام الله، كان قد اتخذ قراراً بفصل عضو اللجنة محمد دحلان من عضوية الحركة بالكامل، وتحويل ملفه وبعض من مساعديه للقضاء الفلسطيني للنظر في اتهامات جنائية وتجاوزات مالية وقضايا خطيرة أخرى.

[العربية و الـ BBC العربية ١١ - ١٢/٦/٢٠١١م]

رفض أممي لمشاركة إسرائيل في مؤتمرها السنوي

قالت شبكة «إسرائيل ناشيونال نيوز» الإخبارية: إن ما يسمى بـ منظمة «مكتب القانون الدستوري الإسرائيلي» تلقى إشعاراً من «المنتدى الدائم للسكان الأصليين» يوضح أنه تم رفض طلب تسجيل مشاركته في مؤتمره السنوي لهذا العام، بسبب عدم أهليته لذلك.

وقد اتهمت المنظمة في بيان لها رئيس الأمانة العامة للمنتدى الدائم لقضايا السكان الأصليين (تشانديا روي هنريكسن) بانتهاك قوانين دولية بحرمانها من المشاركة. ويُشار إلى أن المنتدى الدائم لقضايا السكان الأصليين يُعد هيئة استشارية تابعة للأمم المتحدة، وهي مخوَّلة بمناقشة قضايا الشعوب الأصلية في مجالات مختلفة مثل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافة والبيئة والتعليم والصحة وحقوق الإنسان.

[قدس برس ١٧/٥/٢٠١١م]

الكشف عن دور إيراني في سوريا

نقلت صحيفة الـ «واشنطن بوست» عن مسؤولين أميركيين أن إيران ترسل مدربين ومستشارين إلى سوريا للمساعدة في قمع الاحتجاجات المطالبة بالديمقراطية، وهي تهدد بالإطاحة بأهم حليف لطهران في المنطقة، مؤكدين على أن التدفق الإيراني إلى سوريا يضاف إلى سلسلة المساعدات التي تتلقاها دمشق من طهران، منها: الأسلحة والعتاد لمكافحة الشعب، فضلاً عن أجهزة مراقبة لتعقب المعارضين عبر حساباتهم على مواقع التواصل الاجتماعي، مثل: فيسبوك وتويتر.

وأكدت منى يعقوبيان (الخبييرة السابقة في شؤون الشرق الأوسط لدى قسم المعلومات التابع لوزارة الخارجية الأميركية) على أن سوريا تُعدُّ أهم بوابة للعالم العربي بالنسبة لإيران، وخطٌّ مواجهة مع إسرائيل، وأنه إذا ما خسر الإيرانيون النظام السوري، فإن ذلك سيشكل نكسة كبيرة لطهران».

[واشنطن بوست ٢٨/٥/٢٠١١م]

حركة حماس اقتصادياً، أو تجفيف منابع وصول المال إليها خلال حكمها لقطاع غزة.

وزعمت الدراسة التي أصدرها مركز «بيرس للسلام» أن الوضع المالي لحماس تحسن كثيراً، وأن ميزانيتها المالية قد تضاعفت من ٤٠ مليون دولار عام ٢٠٠٦م إلى نحو نصف مليار دولار عام ٢٠١٠م.

وأوضحت الدراسة أن سياسة الحصار الصهيوني على القطاع قد أنعشت العمل عبر الأنفاق، مدعية أن رجال أعمال يسيطرون على تجارة الأنفاق بعدما وطدوا علاقتهم بحماس.

[المركز الفلسطيني للإعلام ٢٠١١/٦/١٣م]

كشفت دراسة أجراها المجلس القومي للأمم المتحدة والطفولة أن نسبة الأطفال دون الثامنة عشرة الذين لم يلتحقوا بالتعليم وصلت إلى ١٠,٤٪، في الوقت الذي وصلت فيه نسبة الأطفال الذين التحقوا بالتعليم ثم تسربوا منه في وقت لاحق لـ ٤,٢٪، كما تبلغ نسبة الأطفال خارج المؤسسة المدرسية إلى ما يقرب من ١٤,٦٪ من إجمالي عدد السكان في مصر.

[جريدة اليوم السابع ٢٠١١/٦/١٤م]

أعلن مكتب المركزي للإحصاء السوري أن معدل التضخم في سوريا وصل إلى ٤,٤٪ في عام ٢٠١٠م مسجلاً ارتفاعاً قياساً بالنسبة لمعدل التضخم لعام ٢٠٠٩م الذي وصل إلى ٢,٨٪.

وذكر المكتب في تقريره أن معدل النمو الاقتصادي الحقيقي وصل إلى ٢,٢٪ عام ٢٠١٠م بينما في عام ٢٠٠٩م كان معدل النمو ٦٪ وجاء معدل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي ٢٥٦٩,٧ دولار عام ٢٠٠٩م.

[شبكة محيط الإخبارية ٢٠١١/٦/١٥م]

أعلن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء المصري ارتفاع معدل البطالة في البلاد خلال الربع الأول من العام الجاري بثلاث نقاط مئوية؛ مقارنة بالربع السابق ليصل إلى مستوى ١١,٩٪.

وذكر رئيس الجهاز المركزي للتعبئة (أبو بكر الجندي) أن إجمالي عدد العاطلين في مصر بلغ ٢,١٢٩ مليون فرد، بزيادة قدرها ٧٩٩ ألف عن الربع الأخير من عام ٢٠١٠م. وأوضح الجندي أن عدد العاطلين ارتفع خلال الربع الأول من العام الجاري؛ مقارنة بالربع الأول من عام ٢٠١٠م بزيادة قدرها ٧٤٢ ألف فرد بنسبة ٢١,٦٪. وتقدّر مصر أن اقتصادها انكمش بنحو ٧٪ خلال الشهور الثلاثة الأولى من العام الجاري.

[موقع الإسلام اليوم ٢٠١١/٥/٢٥م]

أكد متخصصون فلسطينيون أن ٩٥٪ من المياه الجوفية في قطاع غزة غير صالحة للشرب، مطالبين خلال ورشة عمل نظمها مركز الميزان لحقوق الإنسان في غزة يوم الخميس ٥/٢٦ بعنوان: «المياه المحلّة في قطاع غزة... الواقع والآفاق»، على ضرورة العمل على إيجاد مصدر بديل للمياه المحلّة في القطاع، وتحديد كميات المياه الراجعة من عمليات التحلية.

[مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ٢٠١١/٥/٢٦م]

أشار تقرير للأمم المتحدة حول الوضع في أفغانستان أن مايو الماضي كان الأكثر دموية على صعيد الخسائر البشرية بين المدنيين منذ عام ٢٠٠٧م؛ إذ سجّل مقتل ٢٦٨ شخصاً، ولفت التقرير النظر إلى أن هذه الأرقام مخيفة للغاية؛ لأنها تُظهر تزايد وتيرة العنف.

[جريدة المصريون الإلكترونية ٢٠١١/٦/١١م]

أفرت دراسة صهيونية بالفشل الصهيوني في «تقويض»



اعتقالات في بلد الحريات!

تعرّضت ناشطة أميركية يهودية للضرب قبل أن تعتقلها الشرطة؛ لأنها قاطعت خطاب رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في الكونغرس. وقد نُقلت الناشطة رائي أيليا، إلى مستشفى جامعة جورج واشنطن وهي تعاني من إصابات بعد أن انهال عليها أعضاء من أيباك بالضرب وطرحوها أرضاً.

وبعد خروجها من المستشفى، جرى اعتقالها لعدة ساعات؛ حيث وُجّهت إليها تهمة تعطيل جلسة للكونغرس.

وقالت أيليا التي يحمل والدها الجنسية الإسرائيلية: إنها زارت غزة قبل سنة ونصف وشاهدت الدمار الهائل الناجم عن عملية «الرصاص المصوب» العسكرية التي تم شنّها بمساعدة أسلحة أميركية أعطيت هدية لإسرائيل على حساب دافع الضرائب في الولايات المتحدة.

[موقع يديعوت أحرونوت ٢٥/٥/٢٠١١م]

الغرب يتحكم في الغيوم الممطرة!

اتهم الرئيس الإيراني أحمددي نجاد الدول الأوروبية بالعمل على منع الغيوم الممطرة من الوصول إلى إيران، مستنداً إلى مقال لدبلوماسي غربي.

وذلك في مراسم افتتاح سد ومنشآت «كمال صالح» المائية بالقرب من مدينة أراك في مركز إيران.

وأضاف نجاد أن «المعلومات المؤكدة بخصوص الوضع المناخي تفيد بأن الدول الأوروبية تستخدم أجهزة خاصة بإمكانها تفريغ الغيوم، ومنع الممطرة منها من الوصول إلى المنطقة ومن ضمنها إيران».

[موقع خبر أون لاين، والعربية ١٩/٥/٢٠١١م]

س: هل سيغير فوز العدالة والتنمية تركيا؟

نجح حزب العدالة والتنمية التركي بتحقيق الفوز الثالث له في الانتخابات البرلمانية التركية بعد حصوله على ٢٢٥ مقعداً من أصل ٥٥٠ مقعداً، وبذلك تتجه تركيا إلى مرحلة إصلاحات جديدة بقيادة الحزب المعروف بجذوره الإسلامية، وفي هذا الصدد فإن الخبير في الشأن التركي الدكتور محمد العادل يصرح لمجلة البيان: أن أبرز الأسباب التي ساهمت بفوز (العدالة والتنمية) هي الإصلاحات الداخلية والخارجية التي استطاع تحقيقها؛ حيث قام على المستوى الداخلي بتعديل ٢٦ مادة دستورية حدت من صلاحيات المؤسسة العسكرية، وكذلك شملت عملية التنمية الاقتصادية كافة المدن التركية ولم تتركز في المدن الرئيسية، بالإضافة إلى نجاح سياسة الحزب الخارجية التي نقلت تركيا إلى موقع سياسي متقدم في العالم.

ويتوقع الخبير في الشأن التركي أن ينجح حزب العدالة والتنمية في إجراء استفتاء لإعادة صياغة الدستور التركي من أجل فصل السلطات وإبعاد المؤسسة العسكرية عن القضاء، وبرز الدكتور العادل هذا التوقع بأن أحزاب المعارضة وعدت الناخب التركي بأن تقوم بإعادة صياغة الدستور، بالإضافة إلى حالة الضعف والتشرذم التي تعانيها أحزاب المعارضة؛ الأمر الذي سيسهل على حزب العدالة والتنمية التحالف مع أحد هذه الأحزاب.

ويظهر من كلمات رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان الذي قال فيها بأن هذا النصر (الفوز في الانتخابات) هو ليس لتركيا فقط؛ بل إنه لدمشق والشرق الأوسط. وأن تركيا تسعى لتعظيم دورها في العالم العربي والإسلامي، وكذلك لعب دور أكبر في السياسة العالمية.

كما أشار الخبير في الشأن التركي إلى أن الحكومة التركية لا يتوقع منها - بقيادة حزب العدالة والتنمية - أن تحسّن علاقتها مع (إسرائيل)؛ بل إنها ستشهد خلال الفترة القادمة حالة ضعف أكبر من الوضع الحالي، وتوقع أن تكون العلاقة طبيعة كأي علاقة بين بلدين ولن تحتفظ تركيا باتفاقيات الشراكة الإستراتيجية مع (إسرائيل)؛ وذلك نتيجة حالة الغضب الشعبي بعد أحداث سفينة مرمرة التي قتل فيها عدد من الأتراك أمام سواحل قطاع غزة قبل عام.

[مجلة البيان]

الأقلية المسلمة في رواندا

د. أحمد محمود السيد

mr.ah54@hotmail.com

مشكلات يواجهها المسلمون:

كان للمسلمين دور فعال وإيجابي خلال الصراع العرقي الدموي بين قبيلتي «الهوتو والتوتسي» في منتصف التسعينيات من القرن الماضي؛ وذلك لعدم مشاركتهم فيها من جهة وتوفير الأمن لكل من التجأ إليهم من الأطراف المتضاربة من جهة أخرى، وبذلك أصبح المسلمون أكثر قدرةً على تفعيل الجهود السلمية ونشر التسامح بين القبائل، وقد فتح المسلم بيته لكل من لجأ إليه وكانت المساجد هي الأمان لكل من نزل بها، وقد ساعد ذلك على نشر تعاليم الإسلام بين القبائل، وكان من ثمرته إنشاء العديد من الجمعيات والاتحادات. ومن هذه المؤسسات - مثلاً - (جمعية مسلمي رواندا) التي تتولى حالياً نشاط العمل الإسلامي والتنسيق بين الاتحادات والجمعيات المسلمة وتوجه جهود العلماء والتنسيق بينهم والاستفادة منها، وتم تشكيل هيئة تضم خريجي الجامعات الإسلامية والعربية لتتصرف على شؤون الدعوة ومتابعة القضايا التي تهم المسلمين، وأيضاً يوجد للمسلمين محاكمهم الشرعية؛ وذلك بعد أن تم تأسيس مجلس العلماء الذي خرج منه القضاة الذين ينظرون في القضايا الخاصة بالطلاق والميراث.

أما المشكلات التي تواجه مسلمي رواندا فمن أهمها:

التعليم: فالجهود في نشر التعليم - خاصةً تعليم الدين - لا تزال في بدايتها وتحتاج إلى الجهد والمال، وأيضاً المجال الصحي فليس هناك أي نشاط في هذا المجال «إلا القليل» برغم أن المؤسسات التصيرية تعتمد على المؤسسات الصحية والتعليمية. وهناك أيضاً حاجة إلى الدعاة المتخصصين الذين يفهمون اللغة المحلية ويتقنونها حتى يجوبوا البلاد كلها (مدنها وقراها): لأن المناطق الريفية في رواندا متعطشة إلى فهم الإسلام، وهناك إحصائية تدل على تزايد عدد مسلمي رواندا؛ ففي عام ١٩٨٢م كانت نسبة المسلمين فيها ٥% والآن تصل نسبتهم من ١١% إلى ١٥%.

ويرجع بعض المحللين هذه الزيادة إلى دور الإذاعة «راديو رواندا» الذي يقوم ببث بعض البرامج الدينية. وأيضاً إلى اتصالهم بالمؤسسات والجمعيات الإسلامية في العالم الإسلامي، مثل: الأزهر والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ورابطة العالم الإسلامي بمكة وغيرها.

ومما يبشر بالخير أن مسلمي رواندا استطاعوا إقامة ١٥٥ مدرسة ابتدائية و ٦٠ مدرسة ثانوية، و ١٢٠ مسجداً لكنهم ما زالوا يحتاجون إلى الكثير.

المصادر والمراجع:

- د. محمد عاشور، دليل الدول الإفريقية، جامعة القاهرة، معهد البحوث الدراسات الإفريقية، ٢٠٠٧م، ص ٣٣.
- مجلة الأزهر، القاهرة، عدد رجب ١٤٢٢ هـ - ٢٠١١م.
- موقع مسلم أون لاين.

رواندا إحدى دول حوض النيل تقع وسط القارة الإفريقية شرق بحيرة فيكتوريا، يحدها شرقاً تنزانيا، وغرباً الكونغو الديمقراطية، وشمالاً أوغندا، وجنوباً بوروندي. وأشهر مدنها «كيغالي» العاصمة و «جيتاراما» و «جيسيبي».

عدد السكان ١٠ مليون نسمة حسب تقديرات عام ٢٠١٠م، وعدد المسلمين حوالي مليون ومائة ألف نسمة.

الجماعات العرقية: الهوتو ٨٤٪، التوتسي ١٥٪، التوا (الأقزام) ١٪.

الاديان: الكاثوليك ٥٦,٥٪، البروتستانت ٢٦٪، المسلمون ١١٪، مسيحيون آخرون ٤,٦٪، معتقدات تقليدية ٢,٧٪.

اللغات: الكينيارواندا والفرنسية والإنجليزية والسواحلية.

كانت دولتا رواندا وبروندي تكتونان بلداً واحداً مع الكونغو لكن المستعمر والاستعمار البلجيكي عمل على تقسيمها إلى أربع دول، هي: رواندا - بروندي - الكونغو ليوبو لدفييل «زائير حالياً» - الكونغو برازافيل.

وقد استعمرت ألمانيا رواندا قرابة عشرين عاماً، ثم انتقلت إلى أيدي البلجيكي وظلت تحت أيديهم أربعين سنة. والاستعمار البلجيكي هو أخطر أنواع الاستعمار؛ إذ عمل على تمزيق البلاد وتركها خراباً.

عاش الشعب الرواندي تحت هذا الاحتلال من عام ١٨٩٦م حتى عام ١٩٦٢م بعدما أشرقت شمس الحرية على البلاد.

دخل الإسلام رواندا عن طريق التجار المسلمين والطرق الصوفية بالإضافة إلى المسلمين المهاجرين، ومرت الجالية المسلمة بمراحل صعبة في رواندا فأيام المستعمر البلجيكي نالت أشنع أساليب التعذيب؛ حتى محاربتها في أوقاتنا، وحاول التفرقة بينها بزرق الفتن والأحقاد؛ فقد كان يمنع الأسر المسلمة من السكن متجاورين لدرجة أنهم كانوا لا يسمحون لثلاث أسر مسلمة بالسكن متجاورة فإذا خالفوا ذلك أصر المستعمر على تبيد بيوتهم وتشريدهم وقتلهم؛ لذا كان المسلمون يؤدون شعائرهم في الخفاء والسر، كما قام المبشرون بدور إرهابي ضد المسلمين؛ فقد كان حكم البلاد فعلياً بأيديهم متمثلاً في الكنيسة ومراكز التبشير الصليبي الحاقدة.

وفي البلاد طائفتان نصرانيتان، هما: (الكاثوليك والبروتستانت) ومع الاختلاف بين المذهبين الصليبيين إلا أن أفرادهما اتفقوا على تكوين جبهة ضد الإسلام والمسلمين في هذه البلاد، فعمدوا المسلمين في رواندا من التعليم والتوظيف ومن أي عمل سوى الزراعة البسيطة التي عاشوا عليها في كفاف، كما مارسوا كل أنواع البطش والتسلط ضد المسلمين الذين لم يستطيعوا الاجتماع مع بعضهم إلا في عام ١٩٧٢م، حينما قام الحكم الوطني واعترف بالعقائد الثلاث.



الرؤيا

عبد المنعم فرج ناصر الدلعه

تغن عنه وزاراته، و «قارون» لم تغن عنه كنوزه وثروته. فلماً رجع إلى منزله رآه مهدوماً، فرجع بصره إلى السماء ونادى بصوت مكلوم: يارب! داعياً الله أن يهبه الصبر، ويفرّج كربته. بعدئذ توجه غاضباً لمقابلة العمدة، وفي منتصف الطريق - تقريباً - استوقفه «بائع اللبن»، ليقص عليه رؤياه، فقال: بعد انقضاء صلاة الجمعة مباشرة، أخذتني غفوة، فرأيت (موسى بن عمران) واقفاً على مشارف القرية.

فجذبته بقوة، وقال متلفهاً: لو كنت صادقاً في ما تقول، فإن ظالماً سيهلك قريباً، وما أرى أظلم من العمدة. وبالفعل لم تغرب شمس ذلك اليوم، حتى اغتيل «العمدة» على يد ابنه الأشقى.

لم تستقر الأحوال بمقتل العمدة كما تمنى الناس، بل تفاقمت سوءاً، وتلظّوا على جمر صبر: ذ (العمدة الجديد) كان أظلم وأطغى بل إن ظلم أبيه بجوار ظلمه يُعدُّ رحمة.

لكن بعد مرور أقل من شهر واحد على جلوسه على الكرسي رأى رؤيا أفزعته بشدة وأقضت مضجعه، فلم يجرؤ على أن يذهب إلى الشيخ ليحكىها له بسبب العداوة القديمة، لكنه أرسل واحداً من خدمه، وطلب منه ألا يُخبره أن العمدة هو الذي رأى الرؤيا.

ذهب الخادم وقص الرؤيا كاملة فأطرق الشيخ قليلاً ثم سأله: أنت الذي رأيت أم العمدة؟ قال: بل أنا. فقال له: كذبت، ارجع إلى صاحبك وقل له: إن مصيرك مثل مصير والدك.

بمجرد أن سمع الخادم ما سمع انتفض على الفور، وأصفر وجهه، وولى مُدبراً!

وقبل وصوله إلى هناك ببضعة أميال، سمع بمقتل العمدة. في صبيحة يوم عيد الفطر كان الصياد قد اشتاق لرؤية أصدقائه ومحبيه! فدخل القرية على حين غفلة من أهلها. فراودته نفسه بالرجوع؛ خشية أن يُفُرد عليه العمدة أو أن يطغى، لكنه سمع هرجاً ومرجاً وفوضى عارمة، فتوقع أن العمدة ارتكب حماقة أخرى، أو أن مصيبة ما حلت بالقرية بالبائسة! فهزول نحو الجموع المحتشدة على طول الطريق العام. وبمجرد أن رآه، تسابقوا نحوه فرادى وجماعات، واستقبلوه بشوق عارم، وحفاوة بالغة.

هناك علم أن القرية كلها كانت تبحث عنه، وتتمنى عودته. فاختاروه في الحال عمدة لهم، وعانقه «الشيخ» مبتهجاً ومهنئاً وقال - ووجهه يتهلل، وقلبه يخفق بحكايات قديمة -: هذا تأويل رويك التي رأيتها قبل ثلاثين عاماً.

لم يكن سعيداً كما كان بعضهم يتخيل؛ فقد سكنه الرعب، وطاردته المخاوف. بل سجن نفسه بنفسه، وكتب شهادة وفاته بيده، وحضر قبره بأظفاره منذ أن أطاح بسلسفه؛ فكان إذا أكل شيئاً خاف أن يكون قد وُضِع له فيه السم، وإذا نام خاف أن يُغتال، وكثيراً ما كان يحجم عن المشاركة في المناسبات العامة، وإن خرج ظل متوجساً من أقرب الناس إليه؛ لأنه كان يعي تماماً أنه انتزع حقاً ليس له، ونصّب نفسه (عمدة) بالقوة والإكراه.

لم يكتف بهذا، بل وصل به الجشع أن استولى على مزرعة لطفلين يتيمين، كما اغتصب أرضاً تابعة لمدرسة القرية، ثم ما لبث أن هدم جزءاً من المدرسة نفسها ليعلمه إلى أملاكه.

وفي سبيل ذلك استخدم كل أساليب التخويف لإرهاب خصومه ومناوئيه، فلم يسلم منه أحد، حتى أقرب الأقرباء بمن فيهم أخوه (الصيد): الذي أنفق كل شيء من أجله؛ فقد استولى على ميراثه، وأهانته أمام الناس، وأمهله حتى الصباح ليغادر القرية إلى الأبد!

وأثناء خروجه من القرية مُنكسراً حزيناً، مر على «شيخ الجامع» ليقص عليه رؤياه كان قد رآها، فوجده قائماً يصلي في المحراب، فانتظره حتى فرغ من صلاته، ثم حكى له ما رأى. فسكت برهة، ثم سأله: متى رأيت ذلك؟ قال: الليلة الماضية. فقال: أبشر - أيها الحبيب - ربما يصيبك بعض الأذى، لكن ستتصبر في نهاية الأمر، وسيكون لك شأن كبير.

عندما علم الناس باختفاء الصياد فجأة أصيبوا بخيبة أمل شديدة، وصدمة عنيفة، لفقدهم النصير والمعين الذي طالما ضحى بالكثير من أجلهم. فلم ينسوا أبداً شهامته ومواقفه الجريئة؛ فقد كان يضرب نفسه لينفع غيره، ولن ينسوا كرمه الذي صار مضرب الأمثال؛ فكان إذا اصطاد سمكاً، أهده لأبي عابر سبيل.

لقد مرت سنوات عجاف، والقرية تترجح في العنت والاستبداد حتى بلغ اليأس بالناس مبلغه. فالعشرات بل المئات هجروا القرية دون رجعة، ومن بقي استسلم لجبروت العمدة وبطاناته الفاسدة؛ خاصة بعدما رأوا ما حدث لناظر المدرسة الذي جلده العمدة في الطريق العام، ثم أمر بحبسه شهراً كاملاً، كما تورط في قتل طبيب الوحدة الذي أبى أن يبيع ضميره.

ولما استنفل طغيان العمدة لم يستطع الشيخ السكوت بحال من الأحوال، فحرّض الناس عليه، وانتقده بشدة في آخر خطبة من شعبان، وقال بالحرف الواحد: ليت هذا المفتري يتعظ ممن هو أشد منه بطشاً، وأكثر جمعاً؛ ف «فرعون» لم يغن عنه سلطانه، و «هامان» لم

الشيخ عبد الغفار عزيز في حوار مع **البيلان** : الشعب الباكستاني يرفض التعاون العسكري مع أمريكا. الجماعة الإسلامية تنتظر الانتخابات للقضاء على حكومة «زرداري».



زادت عملية اغتيال زعيم تنظيم القاعدة (أسامة بن لادن) في إحدى البلديات شمال باكستان على يد قوات أمريكية من حدة التوتر بين الحكومة الباكستانية والمعارضة، كما أثارت هذه العملية انتقادات لاذعة ضد الحكومة بسبب ما وصفته المعارضة بالانتهاكات الأمريكية المتكررة لسيادة باكستان. وللحديث عن هذا الموضوع ومستقبل باكستان في ظل تعقيدات الوضع السياسي القائم، ودور الجماعة الإسلامية في المرحلة السياسية القادمة حاورت مجلة **البيلان** الشيخ (عبد الغفار عزيز) مسؤول العلاقات الخارجية في الجماعة الإسلامية والمتحدث الإعلامي باسمها، وكان الحوار التالي:

أجرى الحوار: أحمد أبو دقة

اعتراف دولي بحكومته، وعندما شنت الولايات المتحدة الأمريكية حربها ضد أفغانستان وجد الجنرال بغيته. وعندما رفع الرئيس الأمريكي السابق (جورج بوش) شعاره: «من ليس معنا فهو ضدنا» كانت باكستان أهم الدول التي استهدفها هذا الشعار ووجد فيه برويز تهديداً وكذلك فرصة له لكي ينال الدعم العالمي لحكومته؛ لذلك قرر برويز مشرف الوقوف مع الأمريكان وفتح أمامهم جميع مجالات التعاون؛ إلى درجة أن مكّنتهم من تكوين شبكاتهم الاستخبارية الخاصة بهم. وبما أنه من ديدن الولايات

البيلان : ما تفسيركم للتدخل الأمريكي العسكري في باكستان؟ هل هو نتيجة ضعف الحكومة الباكستانية؟ أم هو في إطار التعاون مع الحكومة للتخلص من القاعدة؟

عبد الغفار عزيز: هما معاً؛ إن ضعف الحكومة يجعلها تستند على الدعم الأمريكي، والتوجه العلماني يوفر لها فرصة ضرب العصفورين بحجر واحد.

وهنا لا بد أن نعود إلى الوراء قليلاً؛ فقد كان الجنرال برويز مشرف حديث عهد في الحكم بعد إطاحته بحكومة نواز شريف، وكان يحتاج إلى



أمريكية تتغلغل في معظم المناطق، وكلما تنفذ أمريكا عملياتها العسكرية تتصاعد نداءات العمليات الانتقامية خاصة من المناطق القبلية ذات ثقافة الثأر القديمة، ثم كلما برزت المجموعات القبلية الانتقامية تتذرع أمريكا بالأحداث وتكثف من عملياتها وتزيد من الضغوط الكبيرة على الحكومة الباكستانية. بمعنى آخر: لقد دخلنا في دائرة مفرغة من عمليات إراقة الدماء، والخروج من هذه الحلقة الدامية يأتي من الخروج من التحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية وإيقاف غاراتها الجوية؛ وإذا لم تتخذ الحكومة الباكستانية خطوات جريئة في هذا المجال فسيظل العالم يتلقى أنباء بروز الجماعات العسكرية المختلفة وتحت مسميات مختلفة ولن يحول دونها مقتل شخص أو أشخاص مهما كانوا.

البيان: كيف تنظرون للتفجيرات التي تتبناها طالبان بشكل شبه يومي في باكستان؟

عبد الغفار عزيز: شهدت باكستان منذ بدء الاحتلال الأمريكي لأفغانستان آلاف التفجيرات ومعظم هذه العمليات؛ إما نُسبت إلى الطالبان أو تبنتها حركة طالبان، كما أن معظم الهجمات وُصفت بأنها عمليات انتحارية. والحقيقة أن أكثر من ٩٠٪ من هذه الأدعاءات ليست صحيحة. صحيح أن هناك عمليات كثيرة

في البرلمان. وبفضل هذه الجهود أصدر البرلمان قرارين مُجمَع عليهما وبالنص الصريح على إيقاف أمريكا عند حدودها، وإعادة النظر في تعاون باكستان معها، وكذلك قطع خطوط الإمدادات أمام القوات الأمريكية إذا استمرت الهجمات الجوية بطائرات دون طيار. كما تقوم الجماعة بمسيرات واعتصامات شعبية كبيرة في جميع أنحاء البلاد.

إنه بإمكان الجماعة أن تقرر إسقاط الحكومة عبر هذه الاعتصام والمسيرات؛ ولكننا لا نريد أن نقوم في المرحلة الراهنة بخطوة تأتي ببدل أسوأ. لذلك نستعد لمرحلة الانتخابات المقبلة في العام المقبل، وإنما على يقين أن الشارع الباكستاني يرفض من يتبنى السياسات الأمريكية أو يستمر فيها.

البيان: هل القاعدة انتهت في باكستان بمقتل بن لادن حسب توقعاتكم؟

عبد الغفار عزيز: أظن أن الأحداث التي شهدتها باكستان بعد مقتل أسامة بن لادن خير جواب على هذا السؤال. فوتيرة الأحداث الدامية تصاعدت بصورة غير مسبوقة. هناك مئات من القتلى من المدنيين. وهنا لا بد أن نتطرق إلى حقيقة ما تواجهه باكستان من تحديات جسيمة. فنحن نواجه الاعتداءات الأمريكية من كل نوع؛ هناك غارات جوية عبر طائرات بدون طيار وهناك شبكات تجسس

المتحدة الأمريكية أنها تستخدم الأفراد والحكومات لتحقيق مصالحها وبعد أن تقضى منها وطَهرها ترمي بها في مزبلة التاريخ، فإن الأمر نفسه حدث مع برويز مشرف وتسارعت وتيرة الأحداث في هذا الاتجاه بعد توقيع اتفاقية التعاون بينه وبين بنازير بوتو تحت الرعاية الأمريكية. ورثت بنازير بوتو عنصري الطمع في الحكم والعداء للأصولية من برويز مشرف واستمرت اللعبة الأمريكية دون أدنى تغيير؛ وهذه هي كلمة السر في السياسات الراهنة لزوج بوتو.

البيان: هل تضغطون على الحكومة لقطع تعاونها مع الأمريكان؟ وما هي وسائل الضغط التي تتبعونها لتحقيق تأثير في هذا الملف؟

عبد الغفار عزيز: الجماعة الإسلامية هي أهم الأحزاب السياسية والدينية في البلاد وترفض هذا التدخل والتغلغل الأمريكي في باكستان. ليست الأحزاب فقط بل الشارع الباكستاني كله يرى التدخل الأمريكي بمثابة الاحتلال الفعلي لباكستان، خاصة في المناطق القبلية. من أهم مظاهر هذا الرأي الشعبي لفظ الشارع الباكستاني حكم برويز مشرف، وكذلك رفضه لسياسات حكومة زرداري وحلفائه. وتقوم الجماعة الإسلامية بتوجيه الشارع وبالتعبير الفعلي عن رأيه، كما تقوم بطرح قضية الاحتلال الأمريكي

نفذتها حركة الطالبان وكثير منها كانت عمليات انتحارية؛ لكن من المؤكد ومن الثابت بالأدلة والشهود أن عمليات كثيرة جداً من عمليات العنف وإراقة الدماء هي من تدبير وكالات الاستخبارات الخارجية. الجميع يريد أن يصفى حساباته مع باكستان أو أن يخلق في باكستان وضعا يخدم مصالحه! على سبيل المثال تابعا معي تصريح السفارة الأمريكية لدى باكستان الذي قالت فيها: «إن أغلبية الشعب الباكستاني كانت ضد العمليات العسكرية الأمريكية؛ ولكن بعد أن شهدت باكستان تفجيرات ضد المدنيين أصبح الشارع الباكستاني مقتنعاً بأن هذه الحرب حرب باكستانية ضد الإرهاب».

ثم شاهدوا معي الأعمال الإرهابية الكبيرة في مدينة كراتشي وفي غيرها من المدن المكتظة بالسكان؛ حيث أعلنت السلطات الباكستانية بعدها أن العملية نفذها انتحاري وجدنا أشلاءه، وأن حركة الطالبان هي وراء العملية؛ ولكن بعد يوم أو يومين كشفت كاميرات الإعلام أو كاميرات الهواتف الجوال أن قتالاً أو الغاماً كانت مزروعة هناك وفجرتها آلات التحكم عن بُعد. والغريب أنه بعد معظم هذه الحالات تأتي التصريحات والأدعاءات على لسان وزير الداخلية

الذي يعتبر الساعد الأيمن للرئيس آصف علي زرداري وعندما تفضح الكاميرات لا يكلف السيد المغوار نفسه عناء الخجل أو الندم أو الحياء أو ما شابه ذلك.

آخر هذه الأحداث المخجلة والمؤسفة كانت في مدينة كوتا حين أعلن السيد الوزير أن إرهابيين أجانب أربعة كانوا بصدد تنفيذ عملية انتحارية إذ اكتشفتهم قوات الأمن وأردتهم قتلى وبذلك نجونا ونجت مدينة كوتا من حادثة انتحارية ضخمة. وأضافت المصادر الرسمية أن الأجانب الأربعة كانوا إرهابيين شيشانيين وكانوا يحملون ذخائر وأحزمة ناسفة.

بعد هذه الزوبعة الإعلامية والانتقادات اللاذعة لطالبان والقاعدة، كشفت عدسات الإعلام وكذلك عشرات الكاميرات للهواتف الجوال أن القتلى كانوا مدنيين عاديين وكانوا يعبرون نقاط التفتيش حيث حدث بينهم وبين قوات المخافر نزاع أدى إلى مشادة كلامية ومن ثم فتح «أبطال» الأمن فوهات الرشاشات عليهم. لقد تحولت الانتقادات الإعلامية من «الإرهابيين» إلى الحكومة وقوات الأمن وبدأ ضباط الأمن الذين ظهروا في مؤتمرات صحفية بصفة الأبطال يتصلون من تصريحاتهم، ولكن مع هذا ظل اسم «الشيشانيين» ملتصقاً بالقتلى،

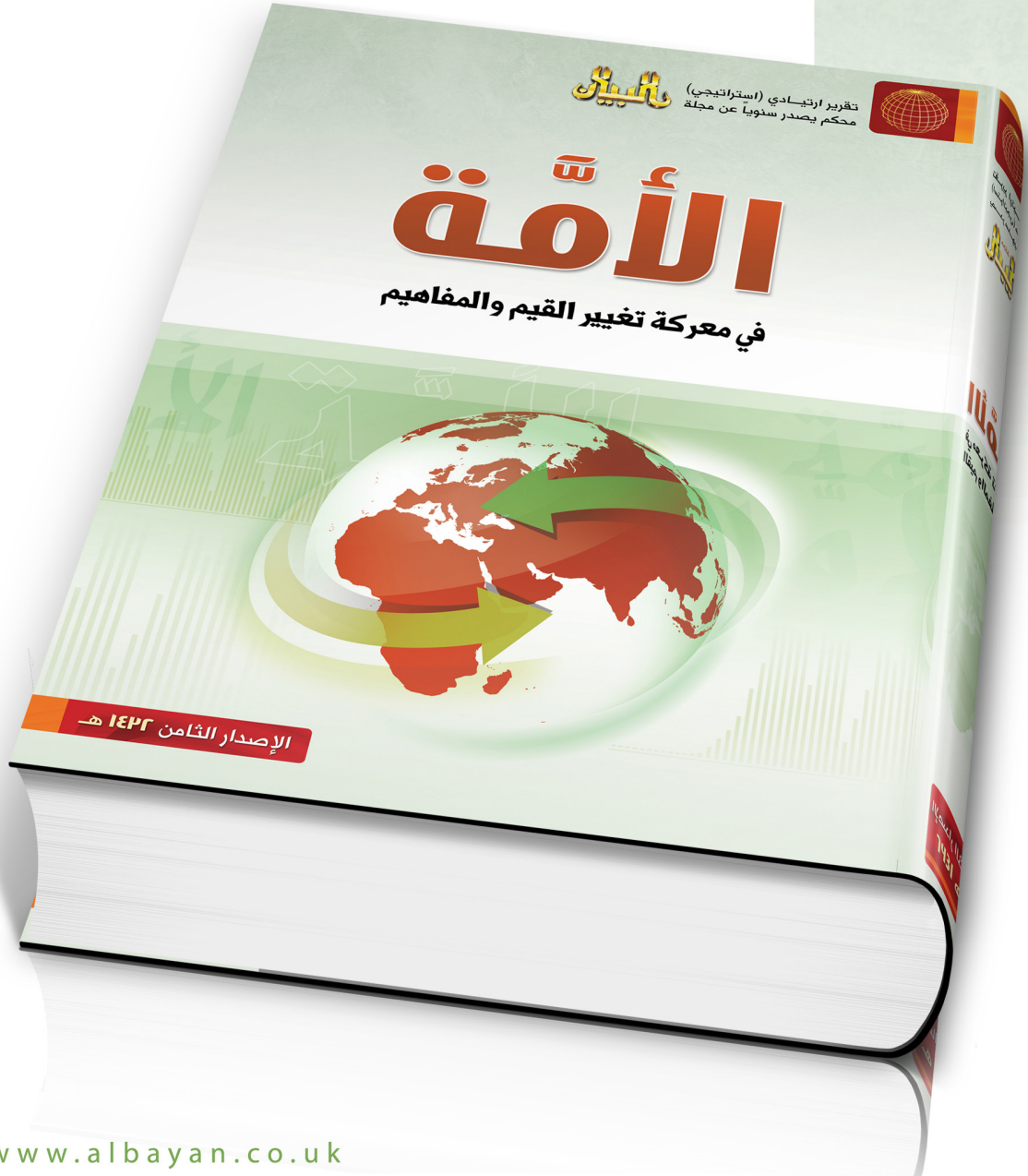
لتبقى احتمالات انتمائهم إلى مخيم من مخيمات الإرهابيين حية وقوية. وبعد ٢٧ يوماً من الحادث وصل مسلم عجوز برفقة زوجته المتحجبة من طاجيكستان ليتعرفا على جثة ابنهم نعمان (أحد القتلى) وعلى زوجته الروسية التي اعتنقت الإسلام قبل أشهر وتزوجت بنعمان، وكانت تحمل في أحشائها جنيناً في شهره السابع. أخبرت الأم التلكي أن ابنها كان يعمل في موسكو في مجال التجارة ولم تعلم شيئاً عن سفره إلى باكستان عن طريق أفغانستان. أما الشخصان الآخران فأكدت السفارة الروسية أنهما من رعاياها. وإلى الآن لم تُحل معضلة وجودهم في المنطقة؛ ولكن ثبت بدون أدنى شك أن قضية الإرهاب والشيشانيين والذخائر والأحزمة الناسفة كل ذلك كان هراءً ليس إلا.

البيلان: ما هي خيارات الجماعة الإسلامية للتعامل مع وضع باكستان؟ وهل هناك طموحات سياسة تسعون لتحقيقها في المرحلة القادمة؟

عبد الغفار عزيز: الخيارات كلها مفتوحة لكن كما ذكرت سوف تبقى جهودنا متركزة حول الإعداد للانتخابات المقبلة وفي هذا المجال نقوم بحملة تسجيل مزيد من أعضاء الجماعة والهدف أن نرفع عدد الأعضاء إلى ١٥ مليوناً، بإذن الله. كما نقوم في هذه المرحلة ونستمر - بإذن الله - في الاعتصامات والمسيرات وغيرها من الأنشطة الشعبية لممارسة الضغط على الحكومة للخروج من التحالف الأمريكي الذي دمر البلاد وأباد العباد. كما تجدر الإشارة إلى أن الجماعة تقوم بفعاليات شعبية كبيرة تحت شعار «الرجوع إلى الله» التي تستهدف إلى أن نجعل المجتمع الباكستاني يتوب إلى ربه حتى يلف بنا - عز وجل - ويكشف عنا ما نحن فيه.



في الأسواق .. التقرير الاستراتيجي الثامن ١٤٣٢ هـ



www.albayan.co.uk

الرياض: - هاتف: ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة: ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس: ٤٥٣٢١٢١
التوزيع والمبيعات: ٠٥٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٠٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٠٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٠٥٠٦٤٦١٠٦٥
مكة والمدينة: ٠٥٠٧٢٦٦١٢٠ المنطقة الجنوبية: ٠٥٠٦٤٦١٠٥٨
المنطقة الشرقية: ٠٥٠٦٢٩٢٦٨٩ منطقة القصيم: ٠٥٠٢٢٢٠٦١٦



دوافع القلق الصهيوني من فتح معبر رفح

د. عدنان أبو عامر(*)

adnanaa74@hotmail.com

وحذر رئيس الوزراء الصهيوني (بنيامين نتنياهو) من سيطرة منظمات معادية على جزيرة سيناء، مدعياً أن مصر تواجه صعوبة حقيقية في السيطرة عليها، وأن حركة حماس تزداد قوة في الأراضي المصرية، ولقرب سيناء من غزة، وهو ما قد يفتح المجال لزيادة الأخطار الأمنية ضد «إسرائيل». من جانب آخر، زعم نائب رئيس الوزراء الصهيوني، وزير الشؤون الاستخباراتية (دان مريدور) أن توسيع ساعات الدوام في معبر رفح يؤكد أن قطاع غزة لا يخضع لحصار ولا لاحتلال «إسرائيلي»، مدعياً أن كل من يزور القطاع يدرك أنه لا نقص في المنتجات، وأن الادعاء بأن «إسرائيل» تقوم بتجويد سكانه لا يمت للواقع بصلة، معتبراً أن لا حاجة لتنظيم قوافل سفن إنسانية، أملاً ألا يسهل فتح المعبر على المنظمات المسلحة تهريب الأسلحة إلى القطاع.

تغيير دراماتيكي:

تواصل القراءة الصهيونية: أن حماس طالبت بفتح المعبر بدون قيود، لتسهل من معاناة الطبقات الواسعة ومحدودة الدخل في غزة، مشيراً إلى ما أسماه «عملية قياس» بمفهوم الخسارة والمكسب على النحو التالي:

الأبعاد السلبية:

١ - سلطة حماس حصلت على الشرعية والاعتراف السياسي من النظام (الجديد - القديم) في مصر، مقابل

رأت أوساط سياسية صهيونية في القرار المصري بفتح معبر رفح على الحدود الجنوبية لقطاع غزة «تغيراً مصرياً دراماتيكياً» في السياسة الحالية مختلفاً عن عهد مبارك، و «نذير شؤم» لـ «إسرائيل»؛ رغم أن فتحه كان له بوادر مسبقة، لكنّ واضعي السياسة الصهيونية اختاروا تجاهله.

وقال «رون بن يشاي» المحلل العسكري: إن هناك سبباً آخر للقلق الصهيوني يتمثل في التأثير السياسي الكامن في فتح المعبر؛ حيث يشرف من أحد جانبيه ممثلون رسميون من مصر على ما يخرج ويدخل، ومن الناحية الأخرى ممثلون لحماس؛ وهو ما يعني أنها خطوة تشكّل اعترافاً عملياً بشرعية سلطة حماس في القطاع، وهذا الأمر يعتبر نصراً سياسياً واضحاً لها، ومنح الشرعية الدولية للمنظمة.

فبعد أن سيطرت حماس على القطاع، أراد حسني مبارك [الرئيس المصري المخلوع] بإغلاقه الجزئي للمعبر أن ينوّه لحماس أنه لا يرى فيها سلطة شرعية في القطاع، وليضغط عليها لإعادة السلطة الفلسطينية إلى المعبر والقطاع بأسره، على أنها مصدر سلطوي قانوني؛ ولهذا السبب طالب المصريون بأن يتزود مواطنو القطاع الذين يستخدمون المعبر بتصريح مصري للدخول أو الخروج من القطاع.

(*) كاتب فلسطيني.

موافقتها على المصالحة التي لم ترى النور بعد، وهذا اعتراف يمهّد الطريق أمام حماس للحصول على شرعية دولية.

٢ - تستطيع حماس والمنظمات الأخرى إدخال نشطاء وسلاح خفيف بسهولة كبيرة - وهو ما يمكن وضعه في حقيبة كبيرة - إلى قطاع غزة، وإخراج النشطاء للتدريب، ويستطيع النشطاء الغزيون الخروج بسهولة لتنفيذ عمليات من سيناء.

٣ - العبور السهل في رفح سيسمح لنشطاء الجهاد العالمي بالوصول إلى قطاع غزة بسهولة وبأعداد كبيرة عن طريق المعبر، وهو من شأنه أن يؤدي إلى زيادة الأنشطة المسلحة من القطاع ضد «إسرائيل»، وليس فقط ضدها، ولكن أيضاً ضد حماس التي توجد في صراع مع تلك المجموعات؛ لذا من المعقول الافتراض أن حماس ستبتذل قصارى جهدها لكي تقلص من الظاهرة من خلال السيطرة على الجانب الحمساوي من المعبر.

٤ - السماح للإخوان المسلمين في مصر بإجراء اتصال جيد جداً مع حماس، وتسهيل مبادرات القيام بمسيرات جماعية غير مسلحة مشتركة من قِبَل مصريين وفلسطينيين باتجاه السياج الأمني مع «إسرائيل».

الأبعاد الإيجابية:

١ - حقيقة أن مواطني القطاع يستطيعون الخروج منه والدخول إليه من خلال معبر حدودي مصري منظم، تُحرّر «إسرائيل» - إلى حدٍّ ما - من المسؤولية عن مصيرهم، وتسحب البساط الأيديولوجي من تحت ادعاءات المنظمات والنشطاء الموالين للفلسطينيين الذين يطالبونها برفع الحصار عن غزة، والاعتراف بحقيقة: أنه من الممكن تفرغ وتصدير بضائع بشكل شرعي من غزة وإليها، وحتى الأفراد بدون إزعاج في ميناء العريش الذي يبعد كيلو مترات معدودة من القطاع، وهو ما يجب أن ينتبه إليه منظمو أساطيل الحرية بأنواعها.

٢ - المرور الحر نسبياً في معبر رفح سيشجع العلاقة الطيبة والاتصالات الشخصية الوثيقة بين القيادة السياسية لحماس الموجودة في دمشق ونظيرتها الغزية الأكثر اعتدالاً، فغياب الاتصالات بينهما يزيد من الخلاف بين أجنحتها، ويزيد من مواقف القيادة الخارجية تعنتاً.

٣ - تزايد فرص مفاوضات صفقة التبادل لإطلاق سراح «جلعاد شاليط»؛ كون قيادة حماس ملتزمة الآن برد الجميل

للمجلس العسكري المصري بعد فتح المعبر - وعلى رأسهم وزير المخابرات - الذين جددوا تدخّلهم بشأن الصفقة، وينبغي الافتراض أنهم سيحاولون استغلال تأثيرهم لتلطيف مواقف حماس، وعلى رأسهم الذراع العسكري ممثلاً بأحمد الجعبري وخالد مشعل الذي يؤيد موقفه.

٤ - فتح المعبر لا يغيّر كثيراً في مجال قدرة المنظمات الغزية على نقل الأسلحة والأفراد للقطاع، لكنه يخلق علاقة وثيقة جداً - سواء سياسية أو إنسانية - بين مصر ومواطني القطاع، واختصار للطريق لنقل مسؤولية مصر عن غزة، وهو ما كان يشكّل حلاً لكثير من رؤساء الحكومات السابقين وعلى رأسهم «شارون».

٥ - النظام الحالي في مصر اجتهد كثيراً ليهدي من المخاوف «الإسرائيلية»، والتسويق معها قبل فتح المعبر، وهو ما يدل على نوايا مصرية واضحة لعدم كسر القواعد مع «إسرائيل» والولايات المتحدة الأمريكية التي تؤيدها.

وأضاف «بن يشاي»: أن فتح معبر رفح في حد ذاته لا يزيد ولا ينقص كثيراً في ما يتعلق بأمن «إسرائيل»، لكن ما ينبغي حقاً أن يقلقها في المجال الأمني هو حقيقة أن قوات الأمن المصرية فقدت السيطرة على سيناء؛ الأمر الذي يسهل اليوم على نشطاء المنظمات المسلحة والشحنات العسكرية التي وصلت إلى سيناء بطريقة أو بأخرى، أن تدخل قطاع غزة، أو تخرج منه عبر الأنفاق.

وزعم أن قدرات المنظمات المعادية على نقل (النشطاء، والسلاح، والأموال) إلى القطاع ومنه، وتنفيذ عمليات في سيناء، تزايدت جداً بعد الثورة في مصر؛ حيث فقدت خلالها قوات الأمن السيطرة عليها، بعد أن شهدت الأرض أسفل محور «فيلاذلفيا» الحدودي عشرات الأنفاق التقليدية الضيقة، التي لم تسمح بنقل بضائع وأشخاص بأحجام وكميات كبيرة.

كما أن الخطورة القادمة من سيناء برأي الصهاينة تتمثل في مئات الأنفاق بأحجام وأنواع مختلفة حضرها الفلسطينيون منذ عام ٢٠٠٥م تحت محور «فيلاذلفيا» بين رفح المصرية ورفح الغزية، سمحت لهم بنقل الأفراد والبضائع والسلاح من كل نوع وحجم من سيناء إلى غزة، كما شمل الأمر نشطاء مسلحين خرجوا وعادوا بقذائف، وصواريخ مضادة للدبابات والطائرات، وكذلك مواد متفجرة وأموال.



بين المفهوم القانوني والاستخدام السياسي المزدوج

د. أكرم عبد الرزاق المشهداني*

العسكرية وغيرها على دراسة هذا الموضوع أكثر من أي ظاهرة أخرى في عصرنا، وخلال العقود الثلاثة الأخيرة صدرت آلاف من عناوين الكتب والبحوث والمقالات كلها تبحث في الإرهاب، وصار هناك كتّاب متخصصون في شؤون الإرهاب، واستحدثت وحدات إجرائية مختصة بموضوع الإرهاب، وبيات الإرهاب ومكافحة الإرهاب في صدارة أجندة لقاءات رؤساء الدول والمؤتمرات الدولية والإقليمية؛ سواء ما يتعلق منها بالأمن وسواها، كما تم تأسيس كثير من المعاهد التي تتبع الجامعات أو الحكومات لدراسة الإرهاب، واقتراح الإستراتيجيات المضادة للإرهاب، وتحليل شخصيات المتهمين بجرائم الإرهاب وغير ذلك؛ وكأنما الإرهاب هو الشغل الشاغل الوحيد لعالم مليء بالعُقد والمشاكل.

على الرغم من أن الإرهاب قديم قدم التاريخ، كعمل يؤدّ حالة من الرعب والفضع؛ إلا أن الحملة الإعلامية العالمية التي تقودها أميركا والصهيونية، وما كتب وما يزال يكتب وبيث عن الإرهاب، جعلت كثيرين يعتقدون أننا نعيش في حقبة (هوس الإرهاب)، وأصبح بعض الناس يصدق أن الإرهاب (وليس الاستعمار الجديد، ولا التفرقة العنصرية، ولا إبادة الجنس البشري، ولا سباق التسلح، ولا الانتهاك المروع لحقوق الإنسان والحريات الأساسية بما في ذلك حق الشعوب في تقرير مصيرها...) أن الإرهاب وحده هو الخطر البادي للعيان وهو التهديد الرئيس لوجودنا، ووجود البشرية. والأدهى من ذلك أن كل تلك الجهود التي بذلت وما تزال في سبيل الإشارة إلى خطر

مقدمة:

في العلاقات الدولية المعاصرة قلّما استُعملت كلمة أو أسىء استخدامها، أو استُعملت على نحو تعسفي مثل كلمة الإرهاب. ولعل مفهوم أو مصطلح (الإرهاب) **TERRORISM** هو من أكثر المفاهيم التي كانت وما زالت عرضة للتلاعب والاستخدام المزدوج من أطراف كثيرة في مقدمتها الولايات المتحدة والغرب والصهيونية وكثير من الأنظمة التسلطية والتعسفية والدكتاتورية؛ محاولين تطويع هذا المفهوم واستخدامه ذريعة للبطش بالمانوئين والمعارضين والتكثيف بحركات التحرر من الاستعمار والظلم والعبودية. وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م في الولايات المتحدة لتكون ذريعة لحملة عدائية سياسية شرسة ومنظمة ضد العرب والمسلمين؛ هدفها ربط الإرهاب بالعرب والمسلمين، كما أن سلطات الاحتلال الصهيوني الغاشم تستخدم ما يسمى بـ (مكافحة الإرهاب) ذريعة لتصفية المقاومة والانتفاضة الفلسطينية الجهادية المشروعة. وفي العراق ما زالت السلطة تصم المقاومة العراقية المناوئة للاحتلال بأنها (إرهاب).

فمنذ أوائل السبعينيات من القرن الماضي وكلمة (الإرهاب) ومشتقاتها (إرهابي - حركات إرهابية - تنظيمات إرهابية - حكومات إرهابية) وغيرها تغزو ميدان الاستخدام السياسي، ولحقتها حقول أخرى، فقد انكب المؤلفون في علوم النفس والقانون والاجتماع والفلسفة والإجرام والإستراتيجية والعلوم

(* خبير بالشؤون القانونية والأمنية.)

الإرهاب قد فشلت؛ ليس في استئصال شأفة الإرهاب فحسب، وإنما فشلت في تحديد هذا المفهوم الغامض، وتقف في وجه محاولات دول العالم لتحديد مفهوم موحد للإرهاب الولايات المتحدة التي تريد إبقاء هذا المفهوم غامضاً لخدمة أغراضها العدوانية والدفاع عن حليفها الدائم الكيان الصهيوني الغاصب.

التعريف اللغوي للإرهاب:

الإرهاب في اللغة من مصدر (رَهَبَ) (أَرْهَبَ) أخاف وأفزع، ويشتمل هذا الخوف على التعظيم والتوقير حينما يتوجه إلى الله - تعالى - فيقال: أصابته الرهبة من الله. يقصد بها الخوف مع التعظيم. وقد ورد الفعل باشتقاق عدة في القرآن الكريم؛ حيث تكررت كلمة رَهَبَ ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة، منها قوله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤].

وقوله - تعالى -: ﴿وَإِيَّا فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقوله - تعالى -: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾.

[القصص: ٣٢]

وقوله - تعالى -: ﴿قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦].

وقوله - تعالى -: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ

الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوا لِلَّهِ وَعَدُواكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وبمعنى آخر فإن معظم الإشارات القرآنية لكلمة رهب تدل على الخوف والتعظيم عدا الآية الأخيرة ﴿وَأَعِدُوا﴾ التي تعني إرهاب الأعداء؛ أي إخافتهم وبث الرعب بينهم، لذلك يذهب بعض المتخصصين في اللغة العربية إلى أن استخدام كلمة (الإرهاب) ترجمة عربية مقابلة للمصطلح الأجنبي (Terrorism) غير صحيح؛ لأن الرهبة وردت في عدة مواضع من القرآن الكريم بمعنى الخوف المقترن بالاحترام والخشية، والدعوة إلى مخافة الله؛ وليس الخوف المقترن بالذعر والتفزع، وانتهوا إلى أن الترجمة الصحيحة يفترض أن تكون هي (الإرعاب) وليس (الإرهاب) على الرغم من أن مجمع اللغة العربية قد أجاز استخدام المعنى الاصطلاحي للإرهاب وهو التخويف والترجيع والفزع.

نبذة تاريخية:

تعود فكرة الإرهاب إلى أيام الثورة الفرنسية ودعوة روبسبير الشهيرة إلى (إرشاد الشعب بالنطق، وأعداء الشعب بالإرهاب، وأن الإرهاب ما هو إلا العدالة الفورية). وارتبط الإرهاب بتحقيق الأهداف السياسية، وتعود أولى محاولات تعريف الإرهاب قانونياً إلى أيام عصبة الأمم، وتحديداً بعد اغتيال ملك يوغسلافيا في ٩/١٠/١٩٤٢م في فرنسا؛ حيث دعت فرنسا إلى مشروع ميثاق دولي حول الإرهاب وصدر الميثاق الدولي لمكافحة

الإرهاب في ١٦/١١/١٩٣٧م، وعرف الإرهاب بأنه: (الأفعال الجنائية الموجهة ضد دولة ويكون الغرض منها، أو يكون من شأنها إثارة الفزع والرعب لدى شخصيات معينة أو جماعات من أو لدى الجمهور). إن من أهم المشاكل التي واجهتها المنظمة الدولية للأمم المتحدة منذ انبثاقها هما مشكلتا تحديد مفهومي (العدوان) و (الإرهاب) نظراً لأن ميثاق الأمم المتحدة في مادته (٥٠) سمح للدول أن تستخدم قواتها المسلحة بصورة جماعية أو منفردة، لرد العدوان الذي تتعرض له، وهذا أوجب بالضرورة تحديد مفهوم العدوان من أجل أن تتمكن الدول من أن تستخدم قواتها المسلحة ضد دولة أخرى تحت غطاء الشرعية والدفاع الشرعي، ولم تتمكن الأمم المتحدة من التوصل إلى تعريف (العدوان) إلا من خلال القرار (٣٢١٤) في عام ١٩٧٤م، ومع ذلك بقيت القوى المتفترسة في العالم، وبخاصة الولايات المتحدة المدافع العنيد عن الصهيونية، تستخدم هذا المفهوم استخداماً مزدوجاً؛ بما يخدم مصالحها وأهدافها الخبيثة.

أما مفهوم (الإرهاب) TERRORISM - سواء الداخلي منه أو الدولي - فقد ظل عصبياً على التعريف من قبل المنظمة الدولية، وخاصة بسبب تدخل الولايات المتحدة التي تصر على (تحريم جميع أنواع الإرهاب مهما كان ومن أية جهة يصدر، وبغض النظر عن الهدف أو الأهداف التي تكمن وراءه. وهذا يعني حرمان الشعوب من استخدام حق تقرير المصير، ومنعها من الكفاح المشروع ضد الاستعمار والاحتلال). ولهذا لم تحدد الأمم المتحدة مفهوم الإرهاب، وبقي موضوعه مختلطاً مع مفهوم (العدوان وحق الدولة في مقاومة العدوان)، وهو ما يخدم المصالح الأميركية والصهيونية، وأصبحت أميركا والصهيونية تستخدم هذه الذريعة في العدوان على الدول بحجة إيوائها للإرهاب أو دعمها للإرهاب، علماً أن المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة لا تجيز لأي دولة الاعتداء على دولة أخرى بذريعة الدفاع الشرعي إلا في حالة صدور العمل العسكري العدواني من القوات المسلحة للدولة ذاتها. أما في حالة اتهامها بإيواء أنشطة إرهابية وثبت ذلك فإن الطريق القانوني الصحيح لمعالجة هذه الحالة هو تطبيق اتفاقيات تسليم المجرمين المعقودة بين الدول. وما قامت به الولايات المتحدة ضد أفغانستان يتناقض وأحكام القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهو يشكل جريمة ضد الإنسانية بكل معانيها.

المحاولات المبذولة من أجل التوصل لتعريف

الإرهاب:

لقد بُدلت خلال العقود المنصرمة من القرن العشرين محاولات كثيرة لتعريف الإرهاب، منها تعريف العالم القانوني (شميد) الذي عرّف الإرهاب بأنه: (أسلوب من أساليب الصراع الذي تقع فيه الضحايا الرمزية كهدف عنف فعال من خلال

الاستخدام السابق للعنف أو التهديد به).

ومنها تعريف (لاكور) وهو: (عمل سياسي يتم توجيهه إلى هدف محدد ويشمل استخدام التهديد المبالغ فيه ويكون ضحاياه مجرد رموز ليسوا معنيين بشكل مباشر. والإرهاب يحتمُّ الاستخدام المقصود للعنف أو التهديد باستخدامه ضد هدف وسيط يؤدي في المستقبل إلى تهديد هدف أكبر وأكثر أهمية؛ وبذلك المعنى يهدف إلى إثارة الخوف أو القلق الداخلي لكي يتم إجبار الهدف على الاستسلام أو على تعديل موقفه). ومنها التعريف الذي يذهب إلى أن الإرهاب: هو الأفعال الجرمية الموجهة ضد السلطة والمتمثلة في إشاعة الرعب لدى شخصيات معينة أو جماعة من الأشخاص أو عامة الشعب.

لقد عدّدت الكتب والأدبيات الصادرة عن الإرهاب أكثر من مائة تعريف للإرهاب بعضها قانوني وأغلبها سياسي يخدم وجهة النظر التي ينطلق منها أو الأيديولوجية التي يحملها. أما الإرهاب في القوانين الوطنية فإنه كان موضع نظر رغم أن دراسة حديثة صادرة عن المركز الحقوقي للإرهاب في القوانين الوطنية تشير إلى أن حوالي ٥٣ دولة سنّت قوانين خاصة ضد الإرهاب وخصوصاً في العقد الأخير في حين أن دولاً كثيرة اكتفت بقوانين العقوبات النافذة ولا ترى أن هناك داعياً لإصدار قانون خاص لمكافحة الإرهاب، وما زالت الولايات المتحدة تقف بشدة ضد أي محاولة لاستصدار تعريف أممي من خلال الأمم المتحدة يحدّد معنى (الإرهاب)؛ منعاً للاستخدام المزدوج الذي تمارسه بعض الأطراف - وخصوصاً الولايات المتحدة والكيان الصهيوني - في استخدام العنف والعدوان بذريعة مكافحة الإرهاب.

خطف الطائرات أبرز صور الإرهاب:

لقد برزت الحاجة الماسّة إلى تعريف مانع شامل للإرهاب وضرورة الفصل بينه وبين ما قد يختلط به من حالات الاستخدام المشروع للقوة دفاعاً عن النفس، والكفاح ضد الاحتلال. وقد توصلت دول العالم إلى عقد كثير من الاتفاقيات في محاولة للخروج بتعريف موحد لمفهوم الإرهاب؛ وخاصة في فترة الستينيات والسبعينيات بعد أن تزايدت حالات خطف الطائرات، ويلاحظ أن معظم هذه الاتفاقيات كان بمبادرة من منظمات الطيران العالمي بهدف وضع حد لحوادث خطف الطائرات التي برزت في تلكم الفترات.

وقد كان أول حادث خطف طائرة قد حدث عام ١٩٣٠م بخطف طائرة تعود لحكومة بيرو من قِبَل معارضين، ثم ظهرت موجة من حوادث خطف طائرات عائدة لدول أوروبا الشرقية بين عامي ١٩٤٧م - ١٩٥٣م بلغت ١٤ حادثاً، ثم بدأت حوادث اختطاف طائرات أميركية باتجاه كوبا بعد عام ١٩٥٨م، ثم بدأت موجة خطف الطائرات من قِبَل فصائل المقاومة الفلسطينية بهدف

لفت أنظار العالم إلى المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، ثم أعقبتها عمليات خطف طائرات مختلفة الجنسيات ومن قِبَل مختلف التشكيلات، والفئات ولإغراض مختلفة.

ولعل من المناسب أن نذكر أن أول حادث خطف لطائرة عربية حصل عام ١٩٥٤م حين قامت القوات الصهيونية الجوية باعتراض طائرة مدنية سورية في الجو وإجبارها على الهبوط في اللد، وكانت العملية منظمة من قِبَل موشي ديان؛ بهدف الحصول على رهائن لضمان إطلاق سراح جواسيس صهيانية لدى السلطات السورية. كما قامت طائرات حربية فرنسية بخطف طائرة مدنية مغربية تُقَلُّ عدداً من قادة جبهة التحرير الجزائرية واعتقالهم ومن بينهم أحمد بن بللا. ونذكر هنا عملية القرصنة الصهيونية ضد الطائرة المدنية الليبية أثناء تحليقها في سينا عام ١٩٧٣ وكذلك حادث اعتراض الطائرة المدنية المصرية من قِبَل الصهاينة عام ١٩٧٥م.

الجهود العربية لتحديد مفهوم الإرهاب:

على نطاق الوطن العربي بذلت جهود من أجل التوصل إلى تعريف موحد للإرهاب يلغي الإشكاليات الحاصلة في المفهوم الدولي السياسي والاستخدام المغرض من قِبَل بعض الأطراف لموضوع الإرهاب؛ وبما يؤكد حق الشعب العربي الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الصهيوني، وواصل العمل العربي مسيرته في تحديد مفهوم واضح للإرهاب وأصدر مجلس وزراء الداخلية العرب خلال دورته ١٣ في عام ١٩٩٦م مدونة طوعية لسلوك الدول الأعضاء لمكافحة الإرهاب، وفي دورته ١٤ في عام ١٩٩٧م وضع الإستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب، وتواصلت الجهود العربية على نطاق كل من مجلس وزراء الداخلية العرب ومجلس وزراء العدل العرب إلى وضع (الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب) التي أقرها الاجتماع المشترك للمجلسين المذكورين بالقاهرة في أبريل من عام ١٩٩٨م بحضور وزراء العدل والداخلية العرب.

تعريف الإرهاب وفق الاتفاقية العربية:

عرّفت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، الإرهاب بأنه: (كلُّ فعل من أفعال العنف أو التهديد به - أيّاً كانت بواعثه أو أغراضه - يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم إلى الخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، وتعريض أحد الموارد الوطنية للخطر).

من الملاحظ أن هذا التعريف قد تمت استعارته من تعريف المشرّع المصري في قانون العقوبات بالمادة (٨٦) من القانون رقم (٩٧) لسنة ١٩٩٢م، الذي نص على أن (الإرهاب... كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع، يلجأ إليه الجاني تنفيذاً لمشروع إجرامي (فردي أو جماعي)؛ بهدف الإخلال بالنظام

أعمال إرهابية بحق العراقيين منذ فرض الحصار الاقتصادي والغزو الأمريكي للعراق وتدمير البنى التحتية والمدن العراقية، وقتل المدنيين، واستخدام اليورانيوم وأسلحة الدمار الشامل التي أزهقت أرواح مئات الآلاف من أبناء الشعب العراقي. وما تمارسه كذلك سلطات الاحتلال الصهيوني العاشم: من اعتداء وتكيد بحق شعبنا العربي الفلسطيني، وما تفعله أميركا من نظرة مزدوجة المعايير؛ فهي تنظر إلى ما يفعله الكيان الصهيوني الغاصب على أنه دفاع مشروع عن النفس وأن ما يقوم به الشعب الفلسطيني البطل هو إرهاب. ويقع ضمن هذا المسلك ما تتبعه الولايات المتحدة من إصاق تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين، وهذا ما صرّح به (نتنياهو) رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق في كتابه (محاربة الإرهاب) واتهم فيه الإسلام والمسلمين بالإرهابية، مؤلِّباً الغرب على ما أسماه بحركة الإرهاب الإسلامي.

أمتنا ترفض الإرهاب وتؤكد حق المقاومة:

إن أمتنا العربية والإسلامية ترفض الإرهاب بكافة أشكاله وصوره وتعدّه مخالفاً لتعاليمنا الدينية وتراثنا الحضاري وضاراً بأمننا واستقرارنا، ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نوافق على وصف النضال الذي يخوضه الشعبان (العراقي والفلسطيني) بالإرهاب؛ لأنه وصف متحيز وبعيد كل البعد عن الحقيقة؛ فالأعمال المقاومة للاحتلال إنما تعبّر عن حالة الإحباط التي يعانيها الشعبان (العراقي والفلسطيني) من قتل واضطهاد واحتلال؛ تشكل بمجملها إرهاب الدولة الذي هو أخطر أشكال الإرهاب.

وأخيراً نقول: إن الإرهاب والتطرف لا يمكن أن ينشأ من فراغ؛ إنما هما ردُّ فعل يبوره فعل متشدد بلا مسوغ، أكثر مما ينضجه الفعل الواعي القادر على أن يسمع ويرى ويتأمل كما ينبغي. إننا في الأمة العربية (كما هو حال المسلمين في كل بقاع الدنيا)، نمقت الإرهاب ونستكره؛ لأنه ليس من شمائل العروبة والإسلام، ولأننا نحن العرب والمسلمين أكبر ضحايا الإرهاب الأمريكي والصهيوني.

لقد كانت أمريكا تتشدد بمكافحة الإرهاب حين أتى حصارها الظالم على العراق بقتل أكثر من نصف مليون طفل عراقي خلال فترة الحصار الجائر وهو أعتى أنواع الإرهاب، كما أن أمريكا ذاتها التي تتشدد بأن احتلال العراق كان من ضمن حملة ضد الإرهاب، فإن كانت عملية ١١ سبتمبر المشبوهة أودت بحياة ٥٠٠٠ شخص (كما يزعمون) فإن حرب أمريكا على العراق وأفغانستان - بذريعة الحرب على الإرهاب - قد أودت بحياة أكثر من مليوني إنسان بريء معظمهم من الأطفال والنساء؛ فهل هذه هي العدالة؟ وبأى تروى من هو الإرهابي الحقيقي في العالم؟

العام أو تعريض سلامة المجتمع وأمنه للخطر؛ إذا كان من شأن ذلك إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو بالمواصلات أو بالأموال أو بالمباني أو بالأماكن (العامّة أو الخاصّة) أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو منع أو عرقلة ممارسة السلطات العامّة أو دور العبادة أو معاهد العلم لأعمالها، أو تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح) ويلاحظ عليه توسُّع المشرع في تحديد صور ووسائل الإرهاب.

الفصل بين الإرهاب والكفاح المسلح ضد الاحتلال:

لقد نص ميثاق الأمم المتحدة في مادته الأولى على (حق الشعوب في تقرير مصيرها) وأكدت الجمعية العامة ذلك بقرارها (١٥١٤) في ١٤/١٢/١٩٦٠م على حق جميع الشعوب في تقرير مصيرها وأن لها حقاً أصيلاً في الكفاح بجميع الوسائل الضرورية التي في متناولها ضد الدول الاستعمارية التي تقمع تطوعها نحو الحرية والاستقلال.

كما تضمّنت الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب، تمييزاً بين (الإرهاب) و (حالات استخدام القوة التي تقتضيها ضرورات النضال الوطني والدفاع عن النفس وتحقيق الاستقلال؛ حيث نصت الاتفاقية على ألا تُعدّ من الجرائم الإرهابية حالات الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير وفقاً لمبادئ القانون الدولي، واستثنت من ذلك كل عمل يمس الوحدة الترابية لأية دولة عربية.

إن حق تقرير المصير يعني أن يكون لكل شعب السلطة العليا في تقرير مصيره دون أي تدخل أجنبي، وقد ورد مبدأ تقرير المصير في ميثاق الأمم المتحدة مع إنشائها عام ١٩٤٥م في الفقرة الثانية من المادة الأولى، الخاص بأهداف الأمم المتحدة، وهو اليوم أحد المبادئ الأساسية في القانون الدولي.

ويعد الكفاح المسلح للشعوب وحركات التحرر الوطني من الوسائل المشروعة خصوصاً الشعوب التي تخضع لهيمنة الأجنبية، ومع ذلك فقد حصل خلاف شديد بين المشاركين في اجتماعات الدورة ٢٧ للهيئة العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٧م في إطار اللجنة الدولية الخاصة بالإرهاب الدولي، فقد أشارت بعض الدول إلى ضرورة استبعاد الأعمال المرتكبة من حركات التحرر الوطني المعروفة بكفاحها من أجل الاستقلال وتقرير المصير من أعمال الإرهاب.

إرهاب الدولة أخطر أنواع الإرهاب:

أن أخطر أنواع الإرهاب هو ذلك الإرهاب الذي تمارسه الدول، وخاصة حين تقوم القوات المسلحة النظامية لدولة ما بالهجوم على دولة أخرى، أو شعب آمن؛ بهدف خلق حالة من الذعر والرعب والهلع لتحقيق أهداف ومآرب سياسية مصلحية، وفي مقدمة الأمثلة على ذلك ما تمارسه الإدارة الأميركية من



القومية والوحدة والانفصال... رؤية شرعية

د. توفيق البدرى (*)

تبرز في الساحة الإسلامية والعربية دعوات قومية تنهض على أسس التعدد الثقافي والخصوصية الاجتماعية والفروق اللغوية. والتعبير عن هذه المطالب في كثير من الحالات يأخذ صوراً مختلفة؛ فثمة فريق يناضل من داخل الدولة القطرية باهتمام حقيقي ولموس بالمسألة مع الإقرار بضرورة الحفاظ على الوحدة الوطنية والترابية، وفريق آخر يرى أن السبيل لإثبات الهوية القومية بأبعادها المختلفة لا يتحقق إلا في إطار نوع من الحكم والتسيير الذاتيين، وهناك من يتطلع إلى أبعد من ذلك؛ حيث يرنو إلى إنجاز انفصال تام عن الوطن الأم والدولة المركزية؛ بوصف هذا الأمر الوضع الجدير بصيانة الحقوق الكاملة للأقليات القومية. وهذه المقالة لا تروم الموازنة بين هذه المشاريع السياسية، وبيان أيها أصلح للتطبيق في الوطن العربي والإسلامي؛ وإنما الغرض بحث القضية القومية وما شاكلها، وما يتصل بها من دعوة للاتحاد أو الانفصال، انطلاقاً من رؤية شرعية بحتة، بغض النظر عن اتفاق أو اختلاف خلاصات ونتائج هذه الدراسة مع رؤى سياسية قائمة في هذا الشأن.

وقبل الخوض في صلب الموضوع، يحسن بنا أن نعرّف ابتداءً دلالة كلمة (القومية). لقد ورد في اللسان العربي أن قَوْمٌ كل رجلٍ، يعني: شيعته وعشيرته. والقوم لفظ يذكر ويؤنث كما في قوله - تعالى -: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] (١).

(*) باحث في الفكر الإسلامي.

(١) انظر هذا المعنى في لسان العرب: ١١ / ٣٦١.

والقوم الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها^(١). وفي القرآن الكريم يطلق لفظ القوم فيراد به جماعة محددة من الرجال والنساء^(٢). قال - تعالى - : ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ [النساء: ٩٠]، وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٢٠]، وقال - جل شأنه - : ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢].

يستفاد من هذه النصوص أن القومية في جوهرها: صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع، وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة^(٣). وحقيقة القومية وما يندرج تحت معناها قائمة في القرآن الكريم؛ حيث وردت آيات تترى تبين وجود تنوع عرقي وقبلي ونعوي، وجعل ذلك سبباً لتحقيق التواصل والتعارف الإنسانيين؛ وأنه لا ينبغي أن يكون هذا الاختلاف الطبيعي الضروري من دواعي الصراع والتضاد، وفي هذا يقول الله - تعالى - : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، وقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. فهذان النصان وغيرهما كثير، يقرران بجلاء سُنَّة اجتماعية سارية ومطرّدة في البشر، مفادها: أن الأصل في الأمم والجماعات والأفراد التنوع والتعدد والاختلاف، وأن العلة في خلق الناس على هذا النحو، هي تحقيق التعارف بينهم، الذي يعدُّ مدخلاً لحصول التكامل والتضامن والائتلاف البشري. وبهذا المعنى لا يوجد في نظر الشرع جنس راقٍ ابتداءً (أي خلقاً وإنشاءً)، وآخر وضع (طبعاً وسجياً)، فالجميع عند الله سواء، ولا تفاضل بين الأجناس والقوميات إلا بما يقدمه كل فصيل من عمل صالح وجهد نافع لذاته ولغيره ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٣].

وإذا كان هذا التواصل والتلاقح والتناقض والتناقض مطلوباً بين الناس أجمعين، فإنه بين أهل الإسلام يكون أكد وواجباً ولازماً، ويتخذ صوراً أرقى بكثير من مجرد التعارف: كالتوحد، والتحاب، والتساند، والتعاقد، والتآزر؛ وذلك في سائر الأحوال، في السراء والضراء؛ لأن أصرة العقيدة والملة التي تؤلف بينهم، والتي تعدُّ أوثق الراوابط وأعلاها شأنًا، هي التي تفرض عليهم الشعور بمعاني الوحدة والعمل بمقتضاها في

الواقع العملي. ومصداق هذا نجده في القرآن ذاته؛ حيث يقول - تعالى - : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويحسن بنا هنا تحليل هاتين الآيتين؛ لأنهما تتطويان على قيم ومعانٍ رفيعة: فالأولى أشارت إلى حقيقة تاريخية كانت قائمة بين أهل يثرب (الأوس والخزرج) قبل مجيء الإسلام؛ وهي حالة الشقاق والصراع والعداوة السارية بينهم منذ زمن سحيق، ولكن لما استقر الإيمان في قلوبهم، أضحّت تلك العداوة محبةً خالصةً وألفةً صادقةً وأخوةً حقيقية، وهذه هي النعمة التي يذكرهم الله - تعالى - بها حتى يظلوا أوفياء لها مدى الحياة. أما الآية الثانية فدلّت بأسلوب الحصر الذي يفيد عند أهل البلاغة التأكيد والتقرير، على أن المؤمنين إخوة في جميع الحالات، وهذا هو الأصل الذي لا ينبغي المحيد عنه. وحين قال - عز وجل - : ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ﴾، فإنه يشير إلى احتمال نشوب خلاف وصراع وحرب بين المؤمنين، وهذا يقتضي - عند حصوله - المبادرة إلى الإصلاح والتوفيق بينهم، لحفظ الوحدة وصيانة الائتلاف ودفع ما يفرضها إلى تقويضها.

ومن الأمور التي عالجهما الشرع الحكيم: مسألة (العصبية)؛ فالقرآن الكريم الذي هو رحمة وهداية للعالمين، نزل في أول الأمر إلى العرب ولسانهم، ومعلوم أن العرب على اختلاف قبائلهم تعدُّ العصبية إحدى مقومات شخصيتهم؛ فهي تجري منهم مجرى الدم، ومن العسير نزعها؛ لذا سعى الإسلام إلى تهذيب هذا النزوع المتأصل فيهم، ووظفه ليصير عنصراً من عناصر تقوية الوحدة بين المسلمين، فأقر بالاعتزاز للانتماء القومي أو القبلي أو اللغوي؛ لكن دون استعلاء أو فخر أو كبر يصل إلى حد التعصب للذات وتمجيدها ونفي الآخر وتحقيرها، فهذا أمر رفضته الشريعة وكانت واضحة في تحريمه. قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد»^(٤). وقال أيضاً: «ليس منّا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية»^(٥). لا شك أن العصبية أمر طبيعي وإيجابي وعنصر قوة كما أشار إلى ذلك العلامة ابن خلدون^(٦)؛ لكن العصبية الممقوتة في الإسلام، وهي تلك التي

(٤) أخرجه مسلم.

(٥) رواه أبو داود في سننه.

(٦) انظر المقدمة، ص ١٦٠.

(١) انظر المعجم الوسيط، ص: ٧٦٨.

(٢) انظر مفردات الراغب الأصفهاني، ص: ٤١٨.

(٣) المعجم الوسيط، ص: ٧٦٨.

تفرّق ولا توحد، وتمزق ولا تؤلّف، وتهدم ولا تبني، وتضعف ولا تقوي، وتبعد ولا تقرب.

تأسيساً على ما سبق يمكن القول: إن القومية بوصفها رابطة نفسية واجتماعية وثقافية وجغرافية: شعور أصيل في الإنسان، والإسلام باعتباره رسالة عالمية لا تختص بقوم دون قوم أو بجنس دون جنس أو بفتنة دون فتنة، عمل لأجل تحقيق توازن مضبوط بين انجذاب المسلم لشعوره القومي العميق في كينونته، وبين الوفاء لمستلزمات انتمائه الإسلامي الأرحب، وهذا التوازن الفريد تجلّى في كون كثير ممن خدم الإسلام وأسهم في تنمية العلوم والثقافة والحضارة الإسلامية بوجه عام هم من غير العرب، مثل: الإمام البخاري الذي برع في الحديث، وسيبويه الذي برز في اللغة، وصلاح الدين الأيوبي الذي قاد تحرير القدس، وغيرهم كثير لا يتسع المجال لذكرهم كلهم. وفي التاريخ المعاصر، اتخذت قضية القومية ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر صورتين اثنتين. فمن جهة كانت القومية (قوة تجمع)، ومن جهة أخرى كانت (قوة تفتيت): لقد حملت قوة التجمع الشعوب التي تنتمي إلى قومية واحدة وتعيش في دول مختلفة، إلى الاتحاد في دولة واحدة. وأما قوة التفتيت، فقد دفعت الشعوب الخاضعة لسيطرة دول أجنبية عنها إلى التحرر من نير هذه السيطرة وإقامة الدولة القومية، أو حال بلد احتله الأجانب فتقاسموه واختص كل واحد منهم بجزء منه^(١).

ويعلم المؤرخون قبل غيرهم أن الذي أسهم في تعجيل سقوط الإمبراطورية العثمانية، هو الانفصال الذي قام به الشريف حسين باسم القومية العربية بدعم من بريطانيا وفرنسا؛ بغية بناء خلافة عربية خالصة موحدة، لكن لا شيء من ذلك تحقق؛ لأن الأمر سار في واقع الحال كما خطط له أصحاب اتفاقية (سايكس - بيكو) فأل المشروع إلى دول عربية عديدة، أورها الاستعمار صراعات مزمنة شغلها عن تحقيق وحدتها، وفرقت بينها، ورسّخت فيها التجزئة والتشظي، ولا يزال بعضها مهدداً بالتفتيت والانقسام باسم الخصوصية الثقافية والقومية والطائفية وهلم جراً؛ مثل ما يجري في العراق وإقليم كردستان، واليمن والحراك الجنوبي، وتركيا والأكراد، والسودان ودارفور والجنوب، والمغرب ونزاع الصحراء المفتعل، والجزائر والقبائل... إلخ. لقد علّمتنا التاريخ أنه كم من مشكل بسيط في منطقتنا العربية والإسلامية صار

معضلة كبيرة؛ خاصة عندما يوظفه الأجنبي لمصلحه ويذكي النعرات والعصبية، ويعين طرفاً ضد طرف آخر من أجل الإضعاف والتفتيت، وهكذا إعمالاً لمقولة (فرّق تسد).

إن المدخل الصحيح لتطويق هذه الظاهرة في ساحتنا الإسلامية، يكمن في تفعيل التوجيهات الشرعية التي تحت وتؤكد بصورة حتمية على الحفاظ على اللّحمة ولزوم الوحدة والائتلاف بين عموم الأمة الإسلامية وشعوبها المختلفة، ولا يعني الحرص على هذه الوحدة المذكورة إلغاء الهوية الذاتية للقوميات القائمة في المجتمعات المسلمة، بل من صميم الاتحاد والالتحام مراعاةً لهذا الاختلاف والتنوع والتعدد. والناظر في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يلفي هذه الحقيقة، حتى في الفقه الإسلامي نجد أن الفتوى تتغير بحسب تغير الزمان والمكان والعرف. والعرف عند الفقهاء ما تعارف عليه الناس، وهو عندهم شريعة مُحَكَّمَة. وكثير من الأحكام الشرعية في الفروع بُنيت على المعطى الثقافي والاجتماعي المتنوع؛ فالحكم الذي يصلح لهذا المجتمع قد يجد فيه مجتمع آخر عنناً وحرماً؛ إذن التعدد الثقافي واللغوي والاجتماعي والقومي لا يتعارض مع مقاصد الشريعة، ولم يكن قط مشكلة، ولم يكن الإسلام في لحظة ما ليلغي هذا التنوع؛ لأنه أول من نبه إلى وجوده، وأول من أرشد إلى استثماره في بناء الأمة المتنوعة الموحدة. قال - تعالى - : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

والذي يدعو بوعي أو بغير وعي إلى تميّز وتفرّد قومي بعيداً عن هذه الصورة التي يقدمها الدين الإسلامي، فهو لا محالة يتناقض مع توجيهاته وأحكامه ومراميه. صحيح أن ثمة قوميات داخل الأوطان العربية والإسلامية بخس حقها ولحقها ظلم كبير، ولم يُلتفت إلى حاجاتها المادية والمعنوية، لكن هذا الوضع لا ينبغي أن يكون مدعاة للمطالبة بالانفصال عن هذه البلدان، ولا يصح تصحيح الخطأ وبخطأ آخر؛ لأن التشظي والانشطار والانقسام لم يقد الأمة في شيء، بل زاد من إضعافها. وفي هذا السياق يمكن أن نفهم فتوى الشيخ يوسف القرضاوي التي حرّمت على المسلمين في جنوب السودان التصويت لفائدة الانفصال؛ لأن ذلك إسهام في تفتيت دولة عربية مسلمة وتمزيق لوحدها، وهذا - كما لا يخفى - أمر يتعارض مع قيم الوحدة والتساند والالتحام التي يوصي بها الإسلام.

(١) انظر نور الدين حاطوم: تاريخ الحركات القومية: ١٢ / ١.



إلى أحبتي في الشام

د. وفاء إبراهيم

لشغور، وفي دير الزور والقامشلي، وفي سائر مدن الشام وقراها، يخلج في قلبي الفرح؛ ها قد عاد الإيمان حياً في القلوب، وها هم أبناء شعبي رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً، يلبون نداء الإيمان، ويعلنونها ثورة على الطغيان؛ يتحدون ألوان القهر والعدوان، ثقة بالله وإقبالاً عليه.

الله الله، ما أروع هتافات أهل الحق وقد صغرت الدنيا في أعينهم! لقد تبينوا حقارتها، وأعلنوا صدقهم مع الله؛ فهم لا يريدون إلا نصرة الحق؛ لقد ثاروا لا للسلطة، ولا للجاه؛ بل من أجل مرضاة الله مهما كانت التضحيات. إنه هتاف يملأ عنان السماء يجعل القلب في طمأنينة؛ فالثورة لله، قائدها حب الله ومنهجها قوله ﷺ: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»^(١).

بوركتكم يا سادة الشهداء، بوركتكم يا أحبتي؛ يا من يعلو صوتكم بالهتاف: «على الجنة راحين. شهداء بالملايين»، دموع الفرح تغلبنى كلما رأيتم تتدفق صدقاً وعزماً وتصميماً هتافاتكم. كلما رأيت البسّمات على وجوه شهدائكم. كلما سمعت كلمات تعيد لنا ذكرى الخنساء على لسان أمهاتكم: «يا ابني! يا إما النصر يا إما الشهادة».

استمروا أحبتي فإني ألمح في قلب الدياتجير خيطاً فجرى. استمروا فإني أرى من لونه الوردي رايات نصري. استمروا فقد صحت أمة الإسلام من كبت وذعر. استمروا وغداً ترى بلاد الشام كتائبها تقود الجحافل إلى كل خير.

فها قد غسلت دموع فرحي
ما كان من ألي
فيا شام كبري وهلي
النصر آتٍ واعلمي
أن الإله تكمل بشامنا
فقري عينا واسلمي

(١) السلسلة الصحيحة.

يا شام كبري وهلي

وقري عينا واسلمي

كم امتلأت الماقي بالدموع وهي ترى أهلنا في بلاد الشام وقد عمق الخوف ألسنتهم، وحل اليأس في قلوبهم، ورضوا بعيش ذليل تجبر فيه الطواغيت، وتفرعن فيه البعثيون يعيثون في الأرض فساداً؛ حتى إن أحدهم ما كان ليجرؤ على أن يقول: آمين. لدعوة صدرت من قلب مغترب مجروح هجر وطنه فراراً بدينه يدعو على الطغاة الظالمين. يا الله، كم كانت تلك الصور القائمة تقطع نياط قلوبنا فتنهمر الدموع حرى من أعيننا!

أهكذا آل الحال في أوطاننا؟ أهكذا أصبح رجال الشام الذين طردوا فرنسا المعتدية الغاشمة؛ يقفون موقف المؤيد الصامت على جرائم الأسرة الحاكمة وزبائيتها في سورية؟

أهكذا يرضى الأحرار بأن يسمعوا هم وأهلهم وأبنائهم ألوان الكفريات في دوائر الحكومة من السقطة الذين تحكّموا في العباد، ونشروا في البلاد الفساد؟

أحقاً أصبح هم أفراد الشعب في سورية الحبيبة تأمين متع الحياة ولقمة العيش؛ ولو ممزوجة بالذل والمهانة؟ وتمر السنوات العجاف، والقلوب المؤمنة واجفة؛ قد ألقى في روعها أن الأمة على أرض الشام الطاهرة قد تخدرت؛ بل ماتت.

ونعيش حيرة ممزوجة بالألم؛ كيف السبيل إلى عودة الحياة إلى أمة الإسلام في أرض الشام الحبيبة؟

ويسطع فجر يملأ القلوب بضح لم يقتله الألم... يا الله ما أروع أن تعود الحياة لأمة زعموا أنها ماتت!

اسمعي يا دنيا واشهدي أن أمة الإسلام في بلاد الشام لم تمت، ولن تموت؛ فها هي تسطر ما لم تسطره أمة في الإصرار على الثورة ضد الطغاة، ألا يلوح لكم من خلال ثورتها قصة أصحاب الأخدود، وهم يعلنون التوحيد لا تخيفهم ولا تردهم عن عقيدتهم النار ذات الوقود؟

وكلما عرّضت صور الشهداء في درعا وحماة، وفي حمص واللاذقية والرسن وتبليسة، وفي دمشق وادلب والحرة وجسر



تعدد الزوجات

في ميزان الأخلاق

د. أحمد إبراهيم خضر



الله ﷺ أن يمارسوه.

ويستند الشيخ مصطفى صبري في بيان رأيه أن البديل عن تعدد الزوجات ليس إلا الزنا إلى ما يأتي:

أولاً: يؤكد (الشيخ) على ضرورة الفصل

بين مبدأ تعدد الزوجات، وبين وجود زوجات

ابتلين بأزواج ظلمة قساة المعاملة لا يرعون الله فيهن،

ولا يلتزمون في معاملتهن بأوامر الله ونواهيه، ولا ينفذون وصايا رسول الله ﷺ فيهن. ويرى (الشيخ) أن الشرع قد وضع الضوابط اللازمة لحماية حقوق النساء من مثل هذا النوع من الأزواج، وأنه ليس بعاجز عن تأديبهم مهما كانت صفاتهم.

ثانياً: يركز المعارضون لمبدأ تعدد الزوجات على ما يسمونه بالمحاذير أو الاعتبارات الاجتماعية. وهذا أمر معروف؛ لكنه من المعروف أيضاً أن الزنا منتشر في البلاد التي لا تأخذ بهذا المبدأ اتقاءً لهذه المحاذير. لكن الحقيقة هي أن مبدأ تعدد الزوجات لا يسد فراغه إلا الزنا. فمن يرى في نفسه من الرجال حاجة إلى امرأة ثانية فهو يتحصل عليها؛ إما خليلة أو عشيقة إن لم يحصل عليها بالحلال.

ثالثاً: حقيقة تعدد الزوجات هو تقسيم النساء المتبقيات بلا زواج - من مجموع النساء من ذوات الأزواج؛ إما لكثرة أعداد النساء عن أعداد الرجال، أو لعدم رغبة طائفة من الرجال في الزواج، ويحتجن إلى الزواج؛ إما بسبب الرغبة الجنسية أو الحاجة إلى النفقة - بين الرجال المتزوجين

يؤكد الشيخ (مصطفى صبري) آخر شيخ للإسلام وآخر مفتٍ لآخر دولة للخلافة الإسلامية أن موضوع (المرأة) هو أعظم ما تفتقر به الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية. وأن موضوع (تعدد الزوجات) كان ولا يزال أول ما ينتقد به الغربيون الإسلام، رغم أن أدباءهم يقولون: (في الإسلام يمكن للرجل أن يفترش أربع نساء، أما في الغرب فإن الرجل يفترش ما شاء له من النساء).

ويعتبر المتأثرون بالثقافة الغربية من المسلمين أن تعدد الزوجات هو أبرز نقاط الضعف في الإسلام. وهو ما يدفعهم إلى القول: إنه (أي تعدد الزوجات) ليس بضروري في الإسلام، وأن جوازه محاط بشروط تجعله مستحيل الوقوع. ولذلك نجدهم قد رتبوا قياساً منطقياً مؤلفاً من مقدمتين كلتاهما مأخوذة من كتاب الله - عز وجل - في قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]، وقوله - تعالى -: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، وكلا القولين في سورة النساء. وبمقتضى هذا القياس ألغوا الجواز الشرعي المعروف في تلك المسألة، المأخوذ هو الآخر من كتاب الله - تعالى - متصلاً بالقول الأول مما قبله؛ وهو قوله - تعالى -: ﴿فَأَنْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣]. وهو معمول به منذ صدر الإسلام إلى يومنا هذا. إن هذا الموقف هو في حقيقته انهزامية من هؤلاء المثقفين في الدفاع عن دينهم؛ فالاعتراف بجواز تعدد الزوجات ضروري للمسلم، وأن الشروط الخاصة بالتعدد لا تجعله مستحلاً؛ وإلا كان تشريعه عبثاً ولغوياً، وكان من المستحيل على صحابة رسول

أو مخاصرتهن أو حتى النظر إليهن. والإسلام لا يبيح أن يستمتع الرجال بالنساء دون أن يكون بينهم عقد شرعي؛ فإذا شعروا بحاجتهم إلى ذلك فلا بد أن يأتيه من بابه عن طريق عقد ثانٍ؛ فيعلم الناس جميعاً أن هذه المرأة زوجة ثانية لهذا الرجل؛ ذلك أن الإسلام عفيف، ولا يقبل أن تكون علاقات الرجال بالنساء سرقات، أو يدع النساء صيداً سهلاً للرجال أو ملعبة للفاسق منهم.

خامساً: (الزوجة الثانية) لفظ يثقل على كثير من النساء قبله. وهذا في الواقع - كما يرى (الشيخ) - من آثار التأثير والافتتان بثقافة الغرب وآدابه. لكن مجرد مقارنة هذا اللفظ بلفظ (المزني بها) أو (الخليلة) أو (العشيقة) وهي الألفاظ التي يتهامس بها الزناة في ما بينهم، يوضح مدى رقي وشرف لفظ (الزوجة الثانية) عن هذه الألفاظ شديدة السوء.

سادساً: ينتشر بين النساء مبدأ: (أنه من الأفضل أن يكون للزوج ألف عشيقة، عن أن يكون له زوجة ثانية غير زوجته؛ فقد يعود إلى صوابه ثم يعود إلى زوجته الأولى ويصير لها وحدها). يرى (الشيخ) أن مثل هذه المرأة التي تتبنى هذا المبدأ هي امرأة فقدت الحس والشعور وتقويم الرجال، بالإضافة إلى أنها لا تقدر العفة قدرها. ومن ثم لا تصلح مثل هذه المرأة التي تحمل مثل هذا المبدأ أن تكون حكماً في مسألة اجتماعية هامة. فهل يمكن أن يقول أحد الرجال: أنا لا أمانع أن تخادن زوجتي ألف رجل، فغسى أن تعود إلى صوابها يوماً وتعود إليّ وحدي. كما أنه لا يعذر في قبول هذا المبدأ تقشي الفسق بين الرجال؛ لأنه لو عم هذا البلاء للزم ألا تجد المرأة أمامها من سبيل للزواج إلا الزواج من رجل فاسق، ولأصبح الفسق شيئاً عادياً عند الرجال.

سابعاً: إن فجور الأزواج يستفز الزوجات، وقد يؤدي إلى فجورهن من ثم. فقد تقول المرأة لزوجها الذي يخونها مع امرأة أخرى: (إنك لو ضمنت إلى صدرك امرأة أخرى، فإني سأضرم إلى صدري رجلاً آخر غيرك، والعين بالعين والسن بالسن). وإذا تمسكت المرأة بفكرتها بأن تقبل أن يكون لزوجها ألف عشيقة في الحرام، ولا تكون له زوجة في الحلال، فقياساً على ذلك يكون من حقها أن تضم إلى صدرها ألف رجل؛ لأن العين بالعين والسن بالسن. قد تقول المرأة ذلك، لكنها لا تستطيع أن تقول - مطلقاً - : (إذا تزوجت امرأة ثانية، فإني سأزوج رجلاً

فتصبح الواحدة منهن زوجة ثانية؛ وذلك للمحافظة على عفتهم، وعفة الراغبين فيهن بغير طريق الزواج. هنا يؤدي مبدأ تعدد الزوجات إلى مصلحة المرأة والمحافظة على كرامة جنس النساء بصفة عامة. فهؤلاء الذين يعترضون على مبدأ تعدد الزوجات على اعتبار أنه ضربة قاسية لشعور المرأة وكرامتها يقصدون بالمرأة الزوجة الأولى التي هي في الواقع بعض النساء وليس كل النساء؛ ويعني هذا أن هؤلاء المعترضين يحتكرون كل المحافظة على الشعور بالكرامة لبعض النساء على حساب بعضهن الباقي. وهذا البعض الباقي مهدد بضيايع عفته؛ فأى من الفريقين أولى بالمحافظة عليه: نساء كرامتهن مهددة بالضيايع أم نساء عفتهم مهددة بالضيايع؟

يقول الشيخ: (مهما ثقل تعدد الزوجات على الزوجة الأولى وأضرَّ بها، فإن فيه منفعة لأخريات من جنسها؛ لأنه حول هؤلاء الأخريات من خليلات وساقطات إلى نساء شريفات. ومن هنا يمكن القول بأن الإنسانية إذا نظرت إلى التعدد المشروع والتعدد غير المشروع (أي الزنا) لوجدت أن الأول يقوم مقام الثاني [لو قال: يغني عن الثاني لكان أحسن]، ويملاً فراغه في الحاجة البشرية. ومن ثم فإن النظرة بعين الإنصاف إلى تعدد الزوجات المشروع تجعله أوفق لمصلحة النساء عامة. أما معارضته فإنه يكون لمصلحة بعض النساء دون البعض الآخر).

رابعاً: أن أهم مقاصد الزواج في الإسلام هو النسل وإشباع الرغبة الجنسية بطريق مشروع. وليس هناك من دين أو حضارة في الوجود (يمكنه أن يعلن معارضة) هذا المقصد من الزواج. كما أن العقل والدين يجمعان على أن هذا المقصد من الزواج لا يمكن أن يتم بطريق غير مشروع؛ أي بطريق الزنا. ومن ثم لا سبيل إلى ذلك إلا الزواج. فإذا كان هناك رجل في هذا العالم لا يستطيع لإشباع رغبته الجنسية الإكتفاء بزوجة واحدة، ويريد أخرى لإشباع هذه الرغبة، فلا سبيل أمامه إلا الزواج من امرأة أخرى، وليس له أن يزني بها، فإذا زنى شذ عن طريق العقل والدين، وعن المسلك الحضاري ذاته، فمن يقول: إن الزنا سلوك حضاري؟

ومما يؤكد ذلك هو أنه لا يمكن لأحد أن ينكر وجود زناة بين الرجال المتزوجين، ولا يمكن لأحد أن ينكر أيضاً أن رجالاً متزوجين يستمتعون بنساء غير زوجاتهم؛ إما بتقبيلهن

آخر وأجمع بينك وبينه كما تجمع أنت بيني وبين امرأة أخرى). لا تستطيع المرأة أن تفعل ذلك؛ لأن القانون لا يسمح لها، كما أن فطرتها لا تأذن بذلك؛ لأن المرأة لا تستطيع أن تجمع في بطنها ولدين من رجلين مختلفين دون أن تختلط الأنساب. أما الرجل فيمكنه أن يتزوج بعدة نساء وينجب العديد من الأطفال دون أن يحدث أي التباس في أيهم أو أمهاتهم. وهذه أبرز ميزات الرجل عن المرأة. إن وجود رجال فاجرين أمر لا يمكن إنكاره بالكتمان؛ ولهذا فلا بد من تداركه بتعدد الزوجات حتى لا ينتشر الفجور والفسق.

وإذا قيل: كيف يكون تعدد الزوجات هو السبيل إلى معالجة الفسق بين الرجال، وهناك من الفساق من العزاب الذين لم يتزوجوا أصلاً؟ يقول (الشيخ): من رأى في نفسه أنه على وشك الوقوع في الزنا وكان أعزباً فليتزوج، ومن كان متزوجاً فليتزوج ثانية وثالثة ورابعة؛ حتى يستطيع الاكتفاء وإشباع رغبته دون الوقوع في الحرام. وإذا قيل: أين المال لهذه الزوجات؟ يكون الرد: إن المال الذي ينفق على الفسق أكثر من ذلك. وقد شهد الواقع كيف يدفع بعض الرجال ملايين من الدولارات من أجل الاستمتاع بامرأة واحدة، وكان بإمكانه أن يدفع أقل القليل ويتزوج زوجاً مشروعاً من أربعة نساء يفقنها جمالاً وجسداً.

ثامناً: يستند بعض الناس في معارضته لمبدأ تعدد الزوجات إلى أن الرجل الذي ينجب أولاداً من زوجته الثانية، إنما يدخل أعداء على أولاده من زوجته الأولى. ويجب (الشيخ) على هذا القول بأن الأب إذا فعل غير ذلك فسوف يدخل على أسرته أولاد زنا، وهل يمكن تصور أن الزوجة الأولى تقبل أن يكون لأولادها إخوة وأخوات من زنا؛ اللهم إلا إذا كانت تقبل من الأصل أن يكون لزوجها عشيقته أو خليفة. ومن المعروف أن الإسلام يرى في الزنا قتل نفس وإعدامها.

كما يرى (الشيخ) كذلك أن العداء المفترض بين الأبناء من زوجتين إنما ينشأ من نقصان التربية الدينية، وهو نقص يجب تداركه. كما أنه لا يمكن تصوّر أن تسن الدولة قانوناً يمنع المرأة المطلقة أو التي توفي عنها زوجها من الزواج بزواج آخر خشية إنجابها أولاداً قد يكونون أعداء لأولادها من زوجها الأول، أو تصدر قانوناً يمنع الرجال من الزواج مرة أخرى بعد وفاة زوجاتهم أو مفارقتهم بالطلاق حتى لا يلدن أطفالاً

يكونون أعداء لأولاده من زوجته الأولى التي طلقها أو ماتت. **تاسعاً:** أوضحنا سابقاً أن هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى زيادة أعداد النساء. من هذه العوامل عدم رغبة بعض الرجال في الزواج، أو رغبة بعض النساء في الزواج من نوع معين من الرجال. فإذا تساوى عدد الرجال بالنساء، وكانت هناك امرأة واحدة قبلت أن تكون زوجة ثانية فلن تكون هناك حاجة إلى التعدد، ولكن كيف يكون الحال إذا كانت هناك أعداد وفيرة من النساء تزيد عن عدد الرجال؟ إن الدليل الذي لا يحتاج إلى إثبات في وجود أعداد من النساء تزيد عن أعداد الرجال هو أنه يوجد في كل بلدة نساء يعشن على بيع أعراضهن.

ومن المعروف أنه إذا فُكّرَت أمة من الأمم في زيادة نسلاها لاكتساب القوة، ولم يكن لديها رجال كثيرون، فلا سبيل أمامها إلا على الاعتماد على قدرة الرجال في الانتاج فتسمح للرجل الواحد بأن يتزوج بأكثر من امرأة؛ أي العمل بمبدأ تعدد الزوجات.

إن الرجال يتحملون أقسى وظائف الحياة وهي الحرب، وإذا كانت الدول الكبرى تعمل إلى إشراك النساء في الحروب لتحقيق مساواة المرأة بالرجل فهذا أبعد الأمور عن المساواة. إن الرجال هم الذين يتحملون أهوال الحروب بدمائهم وهم الذين يتحملون تضحياتها، ويجب ألا تتعرض النساء للحرب حتى لا تخسر الأمة نساءها بالقتل أو الاغتصاب؛ فمن يربي الجيل الناشئ إذا ماتت النسوة في الحرب؟ الحل بالطبع: هو أن تقوم النساء بتضحية تعادل تضحيات الرجال؛ وهي أن يقبلن بمبدأ التعدد، وبذلك تتلافى الأمة ما يحدث لها من نقص الرجال بسبب الحرب.

وتبدو أهمية مبدأ تعدد الزوجات في أن الأمة إذا خسرت الحرب ومات رجالها، ووافقت نساؤها على مبدأ التعدد بعد الهزيمة ستحتاج إلى ما يقرب من عشرين سنة حتى يكبر الأطفال ويصبحون جنوداً، ومن هنا ترزخ البلاد تحت نير احتلال العدو لبلادها وعبثه بنسائها عشرين سنة. أما إذا كانت الأمة جاهزة فإنها بإمكانها أن تخوض حرباً بعد حرب بفضل توافر الرجال القادرين على حمل السلاح للدفاع عن الأمة.

عاشرًا: يدعو (الشيخ) كل رجل يريد أن يزني بامرأة أن يتزوج بها. ويرد على من يعترض على ذلك بحجة أن هؤلاء

أن يتولى الرجل الطلاق، وتتولى المرأة باشتراطها عند عقد الزواج، وبالمخالعة، وقد يتولى الحكمان المبعوثان من أهليهما لإصلاح ذات البين؛ لأن دوام رابطة النكاح بين الزوجين مهما كان مطلوباً ومحموداً في الإسلام فهو مشروط بعدم مخالفتها ألا يقيما حدود الله. وقد فسر العلماء ذلك بحقوق الزوجية التي لهن مثل الذي عليهن بالمعروف مع ما للرجال عليهن من درجة. ومن الواضح أن المحافظة على العفة من الطرفين تدخل في ما هو مطلوب حدوته بين الزوجين من إقامة حدود الله دخولاً أولياً، فعند مخالفة التعدي لحدود الله يتعين الطلاق بلطف ومعروف وإحسان، ولا يعقل أن يقضي الزوجان حياتهما في نكد وضيق. كما يعتبر تعدياً لحقوق الله من جانب المرأة أن تمنع زوجها من العمل بمبدأ تعدد الزوجات الذي هو من حقوق الزوج عند حاجته إليه).

ثالث عشر: هناك عامل هام آخر من شأنه أن يؤدي إلى الحد من انتشار الزنا وتقليل الحاجة إلى تعدد الزوجات، هذا العامل هو عدم تصعيب الزواج بتحديد سن معين له، أو إرجاء الزواج بعد سن البلوغ ببضع سنين. الواقع أن المسلمين تأثروا في ذلك بالغربيين الذين لا يتزوجون في عنفوان شبابهم فقلدهم المسلمون غير مبالين بأن شباب الغرب يقضي حاجته الجنسية بأساليب لا تتفق مع آداب الإسلام الاجتماعية من مخالطة الفتيان بالفتيات والصحة بينهم وتبادل الحب والعلاقات الغرامية. وكثير من الأسر المسلمة تصر على عدم تزويج فتيانها وفتياتها إلا بعد استكمال تعليمهم. ولا تدري هذه الأسر كيف يقضي أبنائها وبناتها هذه الفترة الموافقة لريعتان شبابهم، وغيلان دماثهم في تبتُّل وتعفُّف أم غير ذلك؟ كما لا يعني كونهم في مرحلة التعلم انشغالهم وعدم التفكير في مسائل الجنس. ويرى (الشيخ) أن اعتقاد الآباء أن مرحلة تعلم الأبناء تغني عن التفكير في زواجهم ليس عذراً، فالآباء في الواقع يعاملون أبناءهم وبناتهم بصورة فيها من التسامح والتغاضي عما يقضون به حاجتهم الجنسية. الحقيقة أن الأبناء والبنات في هذه المرحلة بالغون مكلفون، ولا يؤذن لهم بالفسق بحجة أنهم في دور التعلم، ولا يمكنهم الزواج. إن قانون الإسلام يفرض الزواج على كل من يخاف على نفسه الوقوع في الزنا، ولا يبيح لأحد الوقوع فيه بحجة التعلم. وأنه يجب على المسلمين أن يدبروا الوسائل التي تسمح

النسوة قد يكتن من المومسات أو اللاتي يقمن في بيوت دعارة جهرية أو سرية يعرضن أنفسهن على كل من يطرق أبوابهن، وكرامة الرجل لا تجعله يقبل الزواج من مثل هؤلاء النسوة فيقول (الشيخ): إن مثل هذا الزواج سيجعل العفة مقابل النفقة. كما أن الزواج بمثل هؤلاء النسوة لا يخل بالكرامة الإنسانية بقدر ما يخل الزنا بهذه الكرامة. والرجل مهما بلغ من الكرامة فهو يسقط في درك امرأة يريد أن يزني بها، ولكن الزواج لا يحط من كرامة الرجل؛ وإنما يعلي المرأة ويجنبها السقوط في الزنا.

حادي عشر: يعتبر مبدأ تعدد الزوجات أحد أكثر الوسائل للحد من انتشار الزنا، فإذا أضيف إليه اتباع أوامر الدين في تستر النساء وعدم اختلاطهن بالرجال، فإن هذا سوف يهدئ من حدة الإثارة والشهوة، ويشترك مع تعدد الزوجات في التغلب على انتشار الفسق في المجتمع.

ثاني عشر: من العوامل الهامة التي تؤدي إلى الحد من انتشار الزنا، وتساهم من ثم في التقليل من الحاجة إلى تعدد الزوجات هو تيسير الطلاق إلى حد ما. يقول (الشيخ): (إن الإسلام شرع الطلاق كما شرع النكاح، ولكن القوانين الحديثة جعلت الطلاق من المحالات؛ رغم أن الغرب الذي يقيد الطلاق أصلاً، ويعيب على المسلمين سهولة الطلاق اتجه إلى تسهيله، فأخذ الغرب منا التوسعة فيه وأخذنا منه نحن مبدأ التضيق. وترتب على ذلك أن الرجل المسلم الذي يضيق ذرعاً بامرأته يضطر إلى العيش معها طول الحياة، فإذا خرج من بيته تدور عينه على النساء، وربما يضطر إلى الزنا الذي يتحمل إثمه، ولا يتحمل عار تطليقه لامرأته. فلو أن مثل هذا الرجل استفاد مما حلله له الإسلام باستبدال زوج مكان زوج، فإنه سيجد في هذا الحل منجاة له من الوقوع في ما نهى الله عنه، ومن الدخول في دائرة تعدد الزوجات، وربما يجد سعادته في زواجه الثاني، وقد تجد زوجته التي طلقها سعادة في زواجها الثاني... إن الإسلام يريد اليسر في المعاملات، وتدور خطته في معاملة الأزواج للزوجات على إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان كما عبر به القرآن. والنكاح وإن كان ميثاقاً غليظاً، وإن كان أبغض الحلال إلى الله، فإن هذا لا يعني أن يلصق أحد الزوجين بالآخر؛ بحيث لا يتمكنان من الافتراق كما في أنكحة سائر الملل غير الإسلام، بل يجب

لها؛ رغم حاجته إلى ذلك. لكنه (أي الشيخ) لا يفهم رفض الكثيرين لمبدأ تعدد الزوجات على أساس ظهورهم بمظهر الرعاية والاهتمام بقلب وحب الزوجة لزوجها، وتسامحهم مع الخيانة الموجهة إليها، وهو يخادن امرأة غيرها بدلاً من أن يتزوجها؛ علماً بأن الاعتداء على القلب هو أشد في حالة الخيانه بالزنا عنه في حالة الزواج الثاني المشروع.

سادس عشر: يركز المعارضون لمبدأ تعدد الزوجات على أن هذا المبدأ يُخلّ بمبدأ المساواة بين الجنسين الذي يدافع الرجال أنفسهم عنه لحاجة في أنفسهم تقريباً إلى النساء. ولكن الحقيقة هي: أن المطالبة بالمساواة إنصافاً للمرأة، فيه ظلم للرجل الفائت في فطرته عن المرأة. ويضرب (الشيخ) مثلاً يقول فيه: (إن المرأة تريد أن تطاول الرجل فتطيل كعب حذاءها، هي مطاولة مبنية على التكلف وتغيير الخلقة؛ لأنها إذا سابقت الرجل وهي بمثل هذا الحذاء ستسقط على الأرض بعد أقل من خطوتين). إن فطرة المرأة - كما أوضحنا سابقاً - تأبى أن تجاري المرأة تعدد الزوجات بتعدد الأزواج. إنها لا تستطيع أن تلد في عام واحد إلا مرة واحدة في حين أن قوة الإنتاج في الرجل تتجدد كل يوم ولا يشغلها شاغل، وهو يستطيع أن ينتج من الأولاد ما لا يستطيعه أكثر من مائة امرأة لكن المرأة يمكن أن تستغني عن الرجل أيام محيضا ونفاسها، وتهرم قبل الرجل، فتقطع عن الولادة، ويعتريها القدم قبل الهرم، فتكون بكراً وثيباً ووالدة تفتقد من طراوتها كلما مر عليها دور من هذه الأدوار. ومعنى هذا: أننا لو وقفنا الرجل والمرأة في حد المساواة نكون قد ظلمنا الرجل الفائت في فطرته. والدليل هنا أن المولود يفضل عادة أن يكون ذكراً حتى عند أمه، وهذا اعتراف من جانب المرأة بفضل الرجل.

المصادر:

- ١ - مصطفى صبري، قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ، ص ١ - ٢٢.
- ٢ - مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٤٨٩ - ٤٩١.

بالتأليف بين التعلم والزواج للمحافظة على عفة المتعلمين. هذا بالإضافة إلى أن الفطرة لا تسمح بأن تتعطل فترة ثوران الشباب بالعقم، أو الإنتاج بطريق غير مستقيم وهو الذي ينتهي إلى العقم أيضاً.

رابع عشر: عند مقارنة أضرار الزنا بما يعتقد أنه أضرار تعدد الزوجات، يتبين أن أضرار الأول لا تقاس بأضرار الثاني مطلقاً. ويمكن بيان أضرار الزنا على النحو التالي:

- ١ - ضرر يصيب الزوج الزاني؛ وهو فقد عفته.
- ٢ - ضرر يصيب المرأة المزني بها؛ وهو فقد عفتها.
- ٣ - ضرر يصيب زوجة الرجل الزاني؛ وهو أنها أصبحت زوجة لرجل غير عفيف.
- ٤ - ضرر يصيب هذه الزوجة أيضاً باحتمال أن تصبح غير عفيفة إذا ما فكرت في الانتقام من زوجها الذي خانها وتقوم هي بخيانتها.
- ٥ - ضرر يصيب زوج هذه المرأة بأنه زوج لامرأة غير عفيفة، بالرغم من أنه غير عفيف.
- ٦ - ضرر يصيب زوج المرأة التي زنى بها الرجل؛ إن كانت متزوجة.
- ٧ - ضرر يصيب زوجة الرجل التي زنى بها زوج المرأة المنتقمة إذا كان متزوجاً.
- ٨ - ضرر يصاب به أبناء كل هؤلاء الزناة والزواني.
- ٩ - أضرار احتمالات إصابة كل هذه الفئات بالعدوى من جراء انتقال الأمراض الجنسية إليهم.

١٠ - أضرار ناتجة عن احتمال انتقال عدوى الإصابة بالأمراض الجنسية للأزواج وللزوجات: إليهن وإليهم. هذه عشرة أضرار، تكفي الأضرار الثلاثة الأخيرة منها في إفساد حال الدنيا الحاضرة. ويرى (الشيخ) أنه من حكمة الله - تعالى - أن يسلط معضلات الأمراض على العلاقات غير المشروعة، مقابل ضرر واحد يصيب الزوجة؛ وهو أن زوجها تزوج عليها. وهذا الضرر وإن كان قد انحصر في أن هذا الزواج أخل باستئثارها بزوجها لكنه لم يخل بشرفها؛ لأن زوجها استعمل حقه الذي أعطاه له الإسلام.

خامس عشر: لا يهمل (الشيخ) أن هناك من الرجال من يحب زوجته ويقدرها، ولا يتزوج عليها رحمة بها، وتقديراً



علاقة العلم بعمل القلب

أ. د. محمد أمحزون^(*)

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٤﴾ [الحج: ٣٥ - ٣٤].
وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]: أي يخافه ويخشاه حق خشيته العلماء الريانيون العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة القلبية للخالق البارئ فاطر السموات والأرض، العليم القدير، الموصوف بصفات الكمال والمتفرد بنعوت الجلال أتم والعلم أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر.

ولذلك قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: «ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية»^(١). وفي هذا السياق قال مالك - رحمه الله -: «إن العلم ليس بكثرة الرواية؛ وإنما العلم نور يجعله الله في القلب»^(٢).

وخلاصة القول: إن القلب موضع الإيمان والنية والعمل؛ لأن كل حركة أو موقف لا يكونان إلا بإرادة قلبية. ولذلك ينبغي أن نعتني بأعمال القلوب، ونضعها في أعلى سلم الأولويات، ونهتم بتزكية قلوبنا وترويضها على الصدق والإخلاص والإخبات والرضا والخشية والإنابة إلى الله - عز وجل - لأن العالم إذا نوى بعلمه طلب الدنيا والرياء حبط عمله وتبدلت المثوبة في حقه عقوبة وعذاباً، نسأل الله - تعالى - السلامة، وهو ما يدل على الأهمية الخاصة لعمل القلب.

(٢) المصدر السابق: ٦ / ٥٤٥.

(٣) المصدر السابق: ٦ / ٥٤٥.

إن العلم هو أساس ومنطلق معرفة الحق وسلوك الصراط المستقيم، وهو المصباح الذي يضيء للإنسان الطريق كي يبتعد عن الشبهات والشهوات والأهواء. ولذلك إذا لم يصاحب العلم إخلاص وتقوى وخشية يُدفع بها الهوى لم يكن للعلم فائدة، بل يصبح وبالاً على صاحبه قائداً له إلى نار جهنم، عياداً بالله تعالى. ومردُّ ذلك أن الحق يتضح للعالم فيتركبه متعمداً؛ لهوى وشهوة في نفسه. وليزكو العلم ويعود بالنفع على صاحبه ويقوده إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، ينبغي ربطه بعمل القلب.

والقرآن الكريم يبيِّن تلك العلاقة العضوية بين العلم النافع وعمل القلب في قوله - تعالى -: ﴿وَلْيَعْلَمِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

ومعنى الآية الكريمة أن الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل متيقنون أن ما أنزله الله - تعالى - على نبيه ﷺ هو الحق، فيصدقوه وينقادوا له؛ لأن القلب هو موطن الإقرار والخضوع والإخبات لله، عز وجل^(١).

وفي السورة نفسها يفسر القرآن الكريم الإخبات في قوله - تعالى -: ﴿وَنَبِّئِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمَا

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مكناس.

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٥ / ٤٤٦.

الآن...



في بيان غريب

القرآن



” من لم يتبين معنى الألفاظ
المفردة من القرآن أُغلق عليه
باب التدبر“

بدر
٥٠٨٩٤٨٩٤٧

الرياض - هاتف ٤٥٤٦٨٦٨ تحويلة ٥٠٠ و ٥٠٢ فاكس ٤٥٣٢١٢١
المشاريع ٥٠٠٤٤٧٨٩٣٢ - ٥٠٠٢٢١٠٩٢٠ - ٥٠٣٤٠٩٨١٦ - ٥٠٣٨٩٦٣٦٥ - ٥٠٦٤٦١٠٦٥
جدة ٥٠٦٤٦١٠٥٧ مكة والمدينة ٥٠٧٢٦٦١٢٠ الجنوبية ٥٠٦٤٦١٠٥٨
الشرقية ٥٠٦٢٩٢٦٨٩ القصيم ٥٠٢٢٢٠٦١٦